AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

A.U.B. LIBRARY

مكتبة أمين المميز
AB-54
AMIN AL-MUMAYIZ LIBRARY

CA
892.78
K239dA
V.2
c.1

المجموعة الثانية

ديوان الكاظمي

شاعر العرب

حققها ونشرها

حكمت الجادرجي

قنصل المملكة العراقية بالإسكندرية

طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية
لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه

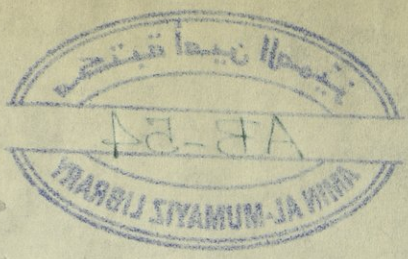

« حقوق الطبع محفوظة للناشر »

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م

أعان على تصحيح بعض ملازم هذه المجموعة الأستاذان

عبد الرازق محيي الدين

جعفر همدر

أبى ،

إلى روحك الطاهرة فى ملكوتها العلىّ ، أتقدم بهذه المجموعة من شعرك لعلّى أقوم ببعض ما يحتّمه الواجب علىّ نحو أبوّتك البارة ، وهأنذا أهديها إلى أمتك العربية النبيلة ، والله أسأل أن يوفقنى إلى جمع وإظهار ما تبقى من تغاريدك العذبة ؟

رباب الكاظمى

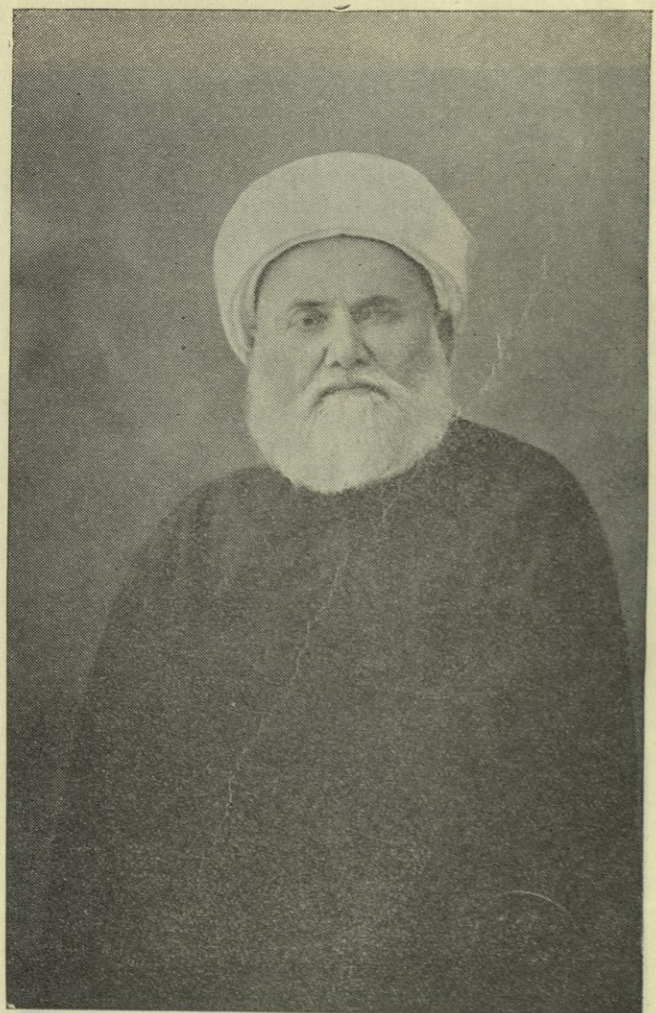

شاعر العرب (عبد المحسن الكاظمي)

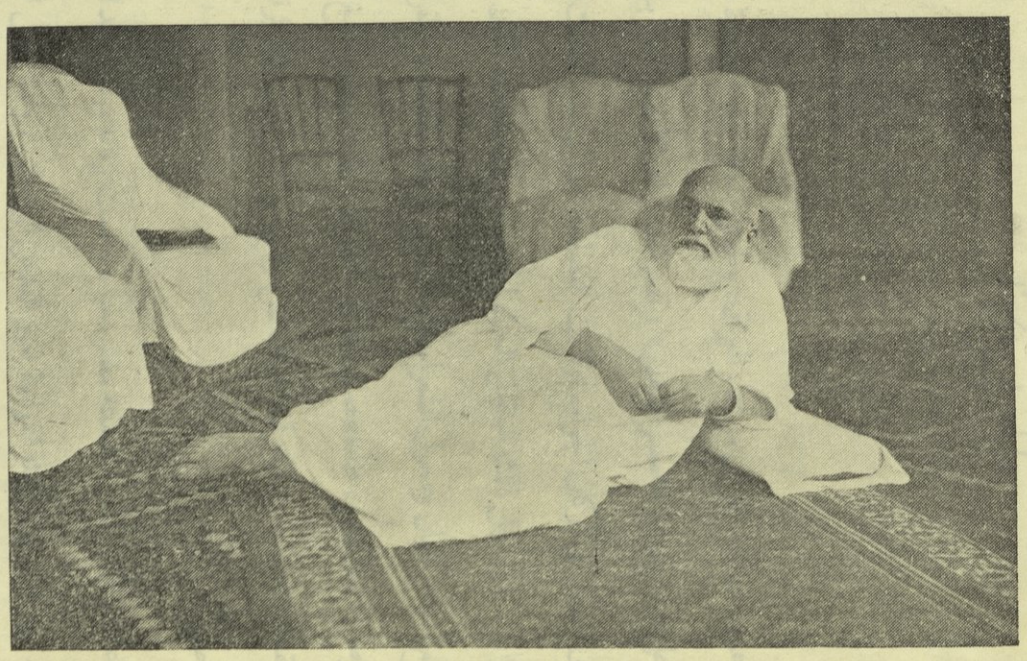

(صورة يتيه للـكاظمى)

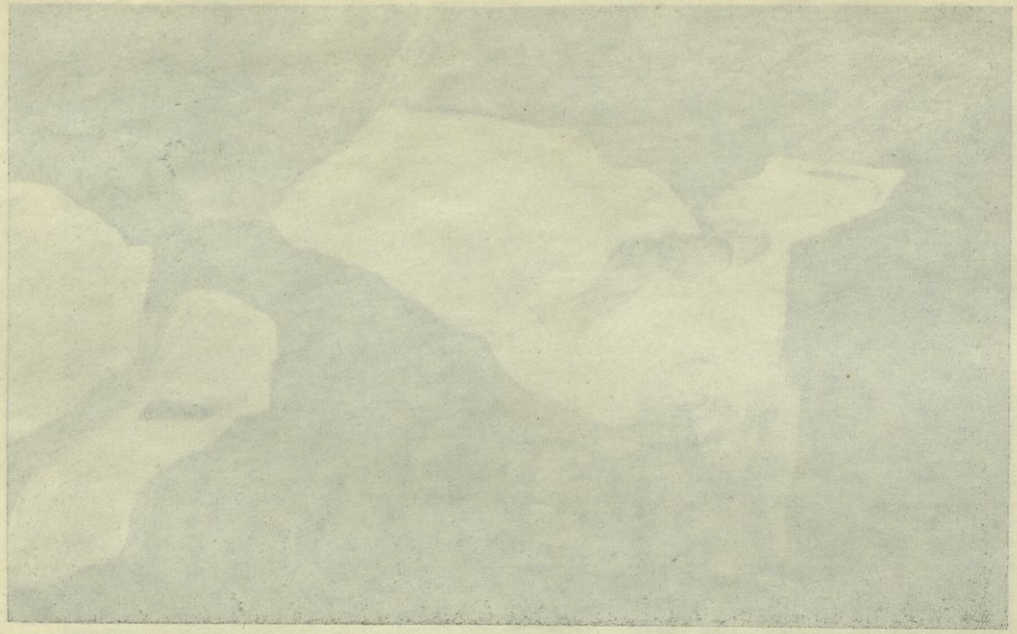

عبد المحسن الكاظمي

بقلم الأستاذ رفائيل بطي

بعد أن هوى نجم المجد العربي من سماء العراق، وطوى بساط تلك الحضارة الزاهرة التي خلعت على الدنيا عنوان «العصر الذهبي» ، تصوحت أزاهر الأدب ، وخربت دور العلم ، فانزوى الفكر في أركان الجوامع ، ولاذت الفصاحة بجوانب من حلقات الدرس ومجالس العزاء . من أجل ذلك استقبل البعث الجديد ، في منتصف القرن التاسع عشر ، طلائع أشياخ البيان وفحول الشعراء من مجاوري المراقد المقدسة في الفرات ، ومساجد الموصل . ولا عجب فهذه مصادر مفاخر الشرق ، كما تفجرت ينابيع المعرفة الحديثة ، وثقافة الغرب ، من حجرات الكنائس وصوامع الأديرة في عهد الرنسانس في أوربا المعاصرة .

وهذا شاعر العراق ، الذي احتضنته مصر حياً ، وضمت رفاته ميتاً ، عبد المحسن الكاظمي ، من نبت تلك البيئة الفواحة بعبير القدس الروحاني ، وسنا العقل المشع .

وهو أبو المكارم عبد المحسن بن محمد بن علي بن المحسن بن محمد بن صالح ابن علي بن الهادي النخعي ، وكان يوصل نسبه من أسرة أمه إلى الإمام

موسى الكاظم عليه السلام . ولد فى حى الدهانة ببغداد سنة ١٨٦٥ ، ونشأ فى الكاظمية من أعمال الزوراء ، ولهذا سمى بها . وكم حلا له أن يتحدث عن طفولته المبكرة ووعيه فى تلك السن .

روى الرجل فى شيخوخته للصحفى المصرى طاهراً الطناحى عن أول لقانته ما محصله : « أخذنى أهلى فى طفولتى إلى كتاب فقيهة فى البلد ، انتقلت من عندها إلى معلم عجمى يعلمنى الفارسية ، لأن أبى تاجر ، ولتجار العراق صلات وثقى بفارس والأفغان والهند ، والمكاتبة التجارية تجرى أبهذا اللسان ، فدرست عنده ستة أشهر حتى إذا ترك مهنته قصدت إلى مدرس عربى لم أثابر على التعلم عنده طويلا . وقادنى ولعى بالقراءة إلى تطلب المخطوطات العربية والفارسية وتصفحها ؛ وكانت من حولى فى الكاظمية كثيرة » : أما كيف هوى العلم والأدب ، وأبوه يتعاطى التجارة ، فيقول إنه أكبر أن تعظم شخصية فى مجلس جده فسأل من تكون ؟ فأجيب بأنه عالم ، فحسب أن العالم يعنى صاحب الأموال الوافرة ، فأفهم ثروة العالم الحقة ، فعلقت نفسه بالعلم والأدب ومال عن تجارة أبيه والنشب ، وقد أعانه شقيقه محمد حسين على المسلك الأدبى ، وكان يقول الشعر ، وأكثر ما انساق إلى كتب الأدب هواية الحدث الناشئ ، ولم يصرفه عنه ما تواضع عليه محيطه من « أن الشعر بالعلماء يزرى » ، بل أخذ يعب من المعين الأدبى ، يقرأ ويحفظ الأشعار التى يستملحها ، فى غفلة من أقاربه ، حتى فضحته مطارحة شعرية مع أخيه وزملاء له ، وقد قرزم الشعر فى السادسة عشرة من سنيه .

ولم يفد مع الفتى الموهوب إغراء أبيه بالتجارة ، ولا أفلح صرفه إياه عن تعاطى

صناعة لا سوق لها وتتعب معاناتها ؛ ثم عالج زمنا الزراعة بوحى البيئة أيضاً ، فالقوم كانوا مشتغلين فى ذلك العهد بالزراعة ، وقليل منهم بالتجارة ؛ حتى إذا باء بالفشل تاجراً ومزارعاً انكفأ إلى كتبه ودفاتره ، وانكب على القراءة والكتابة والنظم . وهيأت له الأيام شاعراً كبيراً انتجع الكاظمية مستروحاً ، هو السيد إبراهيم الطباطبائى النجفى ، فتتلمذ عليه وأخذ عنه وحاكاه ، وظل عمره يباهى بجزالة شعره وروعة ديباجته ورخيم صوته ، وأرجع الذين تتبعوا شعر الشاعرين محاكاة الكاظمى لأستاذه فى طول النفس والذهاب مذهب الأولين من العرب فى القريض ، كما تلاقت مواهب الاثنين فى سرعة البديهة .

بهذا الهوس انهمك عبد المحسن فى حفظ الشعر العربى القديم ، وأسعفته حافظته فوعى أكثر من اثنى عشر ألف بيت من مختار القصيد ، وكانت تواتيه ذاكرته أيضاً ، فبرز راوية يشار إليه بالبنان ، حتى غدت له سليقة فى محاكاة الفحول من الشعراء الذين حفظ آثارهم ، بل كان يذكر ويروى قصائده ومعظمها من المطولات ، بينها ذات المئين . مع أن بعض كبار الشعراء نظير الرصافى والزهاوى ، لم يكن يحفظ قصيدته الواحدة بتمامها . فما بلغ العشرين ربيعاً إلا وقد احتل فى ديوان الأدب مكاناً ملحوظاً .

ويبدو أن قريحته أنارت له سبيل التفهم . وكشفت أمام بصيرته حال بنى وطنه وملته ، فوجدت فى رأسه هموم من التأخر ، وفكر فى طرق الإصلاح . فلما وفد على بغداد رائد النهضة الشرقية السيد جمال الدين الأفغانى منفيا من إيران تعرف الشاعر الفتى بجمال الدين ولازمه ، وأخذ عنه طرفاً من العلوم ، وتوجيها فى التفكير ، واعتنق مبادئه ؛ ولكن سلطان الظلام كان مخيما على بلاد السواد من خطط الخلافة

العثمانيـة ، فلم تحتمل السلطة صاحب العقل اللماح ، فأخرج الأفغانى من العراق ، ولاحقت النقمة على تحرره وجرأته من كان يلوذ به من شباب الجيل ، فتحرج موقف الـكاظمى ، ولا سيما أن فـكرته اقتدح زنادها بتعاليم الزعيم ، فصار ينتقد الحـكومة ويعدد نقائصها .

فتناولته عيون السلطة ، وضايقته السعاية والـكيد ، حتى بين ذوى قرباه . ولولم يتدار كه قائد عسكرى شهم ـ هو « رجب باشا » ـ لأصابه المـكروه . وفقد فى أيام المحنة ـ وهو يشاغل الأرصاد والمتعقبين ـ رزمة من كتب وأوراق فيها شعره وكتاباته رماها فى النهر صديق أشفق عليـه من يد الشرط تمتد إلى مجالى أفـكاره ومخابىء أسراره . ففـكر فى النجاة واعتزام الهجرة . ولئلا يقع فى الفخ لاذ بالقنصلية الإيرانية ببغداد ، ولبيته فيها شأن مرموق ، إذ كان أحد أجداده يتاجر بالجلود فى بلاد العجم فسمى بالفارسية « بوست فروش » ولصق هذا اللقب بأسرته دهراً . ومن هنا حسب البعض أن « شاعر العرب » فارسىّ العرق ؛ ومن هذا المخبأ تسلل إلى البصرة ، وجنح إلى « أبو شير » حيث صرف أشهراً ، ثم عاد إلى مدينة الخلفاء اعتماداً على تحسين صديق بزوال المانع ، فلم يصدق فأله ، فرحل ثانية إلى إيران عام ١٨٩٧ ، وشخص إلى الهند وتوجه إلى مصر على أن يبرحها إلى استانبول ، ثم يرجع إلى مسقط رأسه ، وفى الـكنانة قدر أن يمرض ، فقعد عن السفر ، وكتب له أن يتوطنها إلى غاية العمر ، وقد ضعف بصره ، وكاد يفقده فى أخريات أيامه .

قدم عبد المحسن الـكاظمى مصر أديباً مكتمل الأداة ، وشاعراً جيد النظم . فى شعره رصانة ، وفى بداهته مثار إعجاب وإكبار ، فأحل منزلة ارتضاها ، وتنسم فى ظلال الوادى نسيم حرية فى الجو الفـكرى ، ومجالا للقول الصريح ، وصحائف تنطق

بالكلمة الحرة فيدوى صداها فى المجتمع ؛ ثم هذا حبيب جمال الدين الأفغانى ، وصديقه العراقى من الطبيعى أن ينجذب إلى الشيخ محمد عبده ، فيلقى منه الأيد ، ويحسن الإمام قبوله . وقد جرى المقدور هـذا المجرى ، فوجد فى الأستاذ الأعظم الصديق والملاذ ، وبلغ من وفاء حكيم مصر أن صار يوصل إليه مبلغاً من المال كل شهر أعانت المهاجر على العيش ، حتى إذا اكتظت على « محمد » المآتم فقد به عبد المحسن الغوث الذى لم يعوض ، وإن حاول الشيخ على يوسف صاحب « المؤيد » أن يستدر عطف عزيز مصر عليه فلم يفلح لأسباب يرجعها الكاظمى إلى منافسة شاعر متصدر ، ويؤولها غيره تأويلا آخر ، فبقى يعانى الخصاصة التى خففها عنه بعض التخفيف راتب أجراه له الزعيم سعد زغلول من خزانة الأوقاف .

قد تكون طبيعة الإسراف فيه التى لمسها عشراؤه جعلته لا يحسب لغد حسابا ، وكثيراً ما يخون الغد . ورغما من ذلك فإن منزلته الاجتماعية لم يمسسها إعوازه المال ، فشارك فى المساعى للدعاية العربية ، وأرسل القوافى وأنشد القصائد هز بها المحافل ، واستعان « حزب الاتحاد السورى » بشعره فى بث مبادئه القوميـة ، وأسهم فى « جمعية الرابطة الشرقيـة » ، التى أنشأها فى القاهرة أعلام الشرقيين والمصريين المعنيين بمسائل الشرق ، وكانت حياته على ضفاف النيل ترضى طموحه الأدبى ، وحسبه أن يصفه السيد توفيق البكرى من أساطين الأدب فى المخضرمين « بأنه ثالث اثنين : الشريف الرضى ومهيار الديلمى » . وكانت عينيته الشهيرة أول ما نشر من شعره فى مصر ، أذاعتها « المؤيد » ومطلعها :

إلى كم تجيل الطرف والدار بلقع ... أما شغلت عينيك بالجزع أدمع

وقد وصف فيها رحلته إلى الديار المصرية وفيها يقول :

ولما تبينت السويس وسار بى إلى النيل سيار من البرق أسرع

هرعت إليه عاطفاً من حشاشتى وقلت لصحبى هذه مصر فاهرعوا

ومن بدء إذاعة الصحف المصرية شعر نابغة العرب استحسنه الناس واستجاده الأدباء وأفسح لقائله مجال الاتصال بأعيان البيان ، فانعقدت أواصر الصداقة بينه و بين البارودى وصبرى وحافظ ومطران ، وهم فى الرعيل الأول بين فرسان البلاغة ، فصار يركض معهم فى الحلبة ، كما أن بين كبار الأدباء المصريين من أعجب به وأفاد منه كثيراً فى مقدمتهم مصطفى صادق الرافعى ، و إن مزاياه الشعرية بميزان ذلك الطور رفعته إلى مقام عال فعدوه فى الطبقة الأولى بين الشعراء . ومما يؤثر أن أدباء العراق لم يكونوا يرون له هذا الفضل الكبير ، كما أثبت هذه الملاحظة الأفاضل العامليون الثلاثة الذين جمعوا المختار من شعر عشرة شعراء عراقيين ، وطبعوه فى صيدا بعنوان « العراقيات » قبل نحو أربعين سنة ؛ ولكن هذا لم يحل دون اتساع شهرة الكاظمى فى مضمار الشعر الرصين ونعته بـ « شاعر العرب » ، وأن يظل قرابة خمسين حجة ينشد الجزل الرقيق فيحظى بالسيرورة فى العالم العربى ، ويتناقل شعره الرواة مستجيدين ، ويعده المصريون ترجمان العروبة الصادق . ويهول المتصفح لفيض طبعه ودعوته الصارخة هذا الأمد الطويل إلى إحياء مجد العرب ، واستجلاء ألواح تاريخنا المجيد ، فيعد « مؤرخ الغد » الكاظمى من مؤسسى « الجامعة العربية » و بناة وحدة الناطقين بالضاد .

تزوج صاحب الترجمة عام ١٩١٥ فتاة مصرية ، هى عائشة بنت محمود التونسى ، وأنجب منها بنين و بنات لم يعيشوا طويلا ، وما خلف منها غير بنت هى السيدة رباب ،

التى كان يحبها حبا جما ، وقال فيها شعراً رقيقاً ، تغزل بها صبية تغزلا معجباً نمّ عما تشغله من قلبه الثاكل .

وكانت خاتمة حياة شاعرنا فى مصر الجديدة من ضواحى القاهرة فى اليوم الأول من شهر مايو سنة ١٩٣٥ ودفن فيها ، وانتبهت حكومة العراق بعد حين ، فرأت أن تكرم شاعر الشطين بعد أن غيبته الصفائح ، فشيدت له ضريحاً لائقاً فى مقبرة الإمام الشافعى فى العاصمة المصرية ، نقلت رفاته إليه فى حفل يوم ١ مايو سنة ١٩٤٧ ، فتحققت بهذه القرارة المريحة للأحياء أمنية لأصدقائه ومعارفه ، فقد تحسر المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق ـ الأستاذ الأكبر وخليفة الإمام محمد عبده فى الفضل والعطف على عبد المحسن ـ وهو يؤبن الفقيد فى دار الأوبرا ، فى ذكرى يوم الأربعين ـ أن يكون قبر الشاعر الغريب المجهول بين قبور المجهولين فى جوف الصحراء ، ويتساءل من فتيان العراق الوافدين على الوادى لطلب العلم والعرفان : هل زاروا هذا القبر وأدوا واجب الوفاء للنبوغ المضاع والخلق الكريم ، وقد شق نعيه على أندية الأدب ، وانعقدت حفلات تأبينه فى مصر والعراق وفلسطين حضرها علية القوم وخطب فيها وأنشد أعلام العرب .

كان الكاظمى ربعة فى الرجال ، ممتلئ الجسم ، مدور الوجه ، أبيض الأديم ، يتحدث بالعربية الفصحى ، ويبين بذلاقة ، وينطلق فى الحديث فيخلب لب سامعيه .

وما يؤثر من خلقه ـ عدا ذكائه الحاد وفطنته وغريزته الشاعرة وجماع صفاته ومواهبه الفنية ـ ما تحلى به من السماحة والصبر ، فضلا عن عزوف نفسه وإبائه . وما أبدع قوله وهو يعنى ذاته :

لبلغت ما بلغ الأبى من المنى لولا إبائى منه واستنكافى

ورأيت أرغد ما رأى متنعم لولا اعتراض قناعتى وكفافى

والمزية التى تفرد بها ، بحيث سبق الأنداد والنظراء ، هى طول النفس فى الشعر والارتجال على البداهة . لا يقف عند ارتجال البيتين أو الأبيات الأربعة ، بل يتجاوز إلى العشرات بل المئات ؛ وقد سجل تاريخ الحركة الأدبية للفقيد فى هذا الميدان تفوقاً مميزاً . وروى عنه سليم سركيس والشيخ عبد القادر المغربى وخير الدين الزركلى وأسعد داغر من الأدباء المعدودين الروايات التى لا يكاد يصدقها المرء لولا ثقة الرواة .

واختص بطريقة فى تغنيه بشعره تغنيا بدويا ، وقد أخذ عنه شاعر النيل حافظ إبراهيم هذا التغنى بمنظومه .

أما شعره وقيمته الفنية فتعلو على الأكثر من ناحية الأسلوب الجزل وروعة الديباجة ومكان الإبداع فى صدق لهجته وانطباعه على القول . وأكثر نظمه من وحى الساعة . ومن جماع ظروفه ونشأته وثقافته العربية تولدت عنده هذه الخصائص ، فمشى على غرار قدماء الشعراء الذين اكتنزت حافظته روائعهم ، فاحتذاهم فى الطراز ، ولم يقلدهم فى معانيهم ، وإن تميزت ألفاظهم وتعابيرهم فى نسج قصائده ، فذلك محصوله من اللغة وفصيح العبارة .

كنت ذكرت فى مجموعة لى نشرت فى مصر عام ١٩٢٣ باسم « الأدب العصرى فى العراق العربى » أن بعضهم ينتقد الكاظمى لطابع البداوة فى شعره ، فرد المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق فى خطبته التى أبّن بها الشاعر على هذا الانتقاد بأنه غير مصيب ، لأن شعر الكاظمى نمط سليم جيد عال من الشعر العربى . وقال الدكتور

محمد صبرى فى كتابه « شعراء العصر » المطبوع فى القاهرة سنة ١٩١٢ : « أن لا لوم على الكاظمى فى هذه المسحة البدوية ، فإن بلاده — العراق — هى التى قضت عليه بذلك ، لأنها ما زالت بعيدة عن التمدن الحديث » .

والدكتور صبرى قد حسب العراق بادية ، ولم يعلل هذا للحياة العقلية التى حييها الشاعر فما أحب أن يخرج من عالمها ، فقد سكن هليو بوليس سنين ومع ذلك كان يفكر و يشعر شعور المضارب والبوادى . و إنا لنكتفى بهذه الإلمامة بشخصيته الشعرية التى تتطلب دراسة فى فصل خاص ، مع إيراد نماذج من شعره مما يضيق عنه المقام .

هذا هو شاعر العروبة الذى أنجبه العراق ، وحدبت عليه مصر ، وقدرته البلاد العربية كلها ، فوفى لها ؛ وكان يفنى فى نزعة القومية ، و يعمل لها جمعاء لا يميز بين قطر وقطر . فهو إذا حن إلى العراق :

إن يكن بات فى الكنانة جسمى ففؤادى بالكرخ ظل رهينا
أرفاق الصبا وليس حراماً أن أنادى رفاق الأقدمينا

فقد أنشد فى مصر :

تعدت صروف الدهر مصر وأهلها ولا زال فى أرجائها البشر يسطع
نعم أهل مصر أنتم خير أمة وما الخير إلا منكم يتوقع
لقد شاع عنكم كل فضل وسؤدد وسوف نرى للفخر ما هو أشيع

و يظهر أن الشاعر الحر قد عالج التأليف فى فجر شبابه ، فألف كتاب « البيان الصادق فى كشف الحقائق » فى وصف بعض أدواء المجتمع . وكتاب « تنبيه الغافلين »

وليسا فى متناول الطالب الآن ، ولعلهما فى جملة ما فقد من آثاره أوقات الحرج قبل أن يغادر وطنه الأول .

وثروته الباقية ديوان شعره الضخم ، رغماً عما ضاع من شعر فتوته . وقد طبع منه المجلد الأول فى دمشق قبل سبعة أعوام ، وها هو المجلد الثانى بين يدى القارئ ، وفى تضاعيف هذا الديوان شخصية الشاعر الخالدة .

رفائيل بطى

صديقي الكاظمي

للأستاذ الجليل الشيخ عبد القادر المغربي
رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

عرفت الشيخ عبد المحسن في إدارة (المؤيد) لأول عهدي بالتحرير فيه . وهناك توثّقت بيني و بينهُ عروق المودة، وأخذت أعرف من دخيلة أمره ما لا يعرفه سواي. وكان ذلك بعد وفاة أستاذنا الإمام بسنةٍ ونيف .

ومما أخبرني: أن الإمام رحمه الله كان يتعهده في آخر كل شهر بعشرة جنيهات: يودعها غلافاً ثم تسلم إليه في داره من دون أن يشعر بما في الغلاف أحد . و بعد وفاة الإمام لم يجد مندوحةً عن السعي لدى الخديوي في أن يكون له مرتب شهري من الأوقاف . فتوسط في هذا الأمر الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد . فكان الشيخ يراجع الخديوي في تقرير الراتب ، والخديوي يأبى ـ كلما روجع بشأنه ـ إلا الرضخ له من مال الأوقاف بنحو خمسين جنيهاً ، وكنت أذهب مع الشيخ عبد المحسن إلى الديوان فيقبضها . وقد تكررت هذه المعاملة المرة بعد المرة . والشيخ عبد المحسن في كل مرة يُظهر التأفّف من تناوله المعونة على هذه الصورة التي ما كان يراها تتفق مع كرامته و إباء نفسه . وكان يلحّ على الشيخ علي : تارةً بنفسه ، وطوراً بواسطتي ـ أن يكلم

---

(١) نشرت في مجلة الرسالة بعددها الصادر في ٢٠ مايو سنة ١٩٣٥

الخديوى فى تعيين راتبٍ شهريٍّ مقطوع . يُريحه بها من عناء التوسّط ومكابدة المعاملات الديوانية .

وأن انتساب الشيخ الكاظمى إلى الإمام المفتى إن كان من شأنه أن يحدث فتوراً نحوه من نفس الخديوى ، فما كان قط ليحدث مثلَ هذا الفتور فى نفس الشيخ على يوسف . فكنا ننزّه الشيخ علياً عن وصمة الفتور ، لكننا كنا واقفين وقفة الإيجاس ، من حالة الخديوى عباس .

ثم ضاق الشيخ عبد المحسن بالأمر ذرعاً ، فكلفنى أن آخذ من الشيخ على وعداً بإنجاز المسألة مع الخديوى : إما سلباً يُريح النفس ، أو إيجاباً يزيح العلّة .

فتركت الشيخ عبد المحسن فى غرفة التحرير ، ودخلت على الشيخ على ، و بلغته الرسالة ، وكان يصحح مقالة للطبع . فترك القلم من يده ، وتنفس الصعداء ثم قال : ماذا أصنع يا أستاذ ؟ أنهيتُ القضية أمس مع الخديوى ، ووعد وعداً أكيداً بإصدار أمره بتعيين الراتب ، وقد شكرت له وخرجت من عنده . لكننى لم أكد أبرح الباب حتى دخل عليه بعض الناس (ولم يسمّه لى) فقال للخديوى : رأيتُ فلاناً خارجاً من عندك ، فماذا يبغى ؟ قال : قررنا راتباً للشيخ عبد المحسن الكاظمى . قال : أنسيت أنه شاعر المفتى[1] ، وقد قال فيه من الشعر كذا وعرّض فيك بكذا وكذا ؟ .

قال الشيخ على : فما كان من الخديوى إلا الشحُّ برفده ، والنكول عن وعده. فلما وعيت هذا رجعت إلى الشيخ الكاظمى ، فأخبرته الخبر ، فتأثر جدّ التأثر

(٢) مفتى الديار المصرية الشيخ محمد عبده .

وقال : أتعرف من هو بعض الناس ؟ قلت : لا . قال : هو أحمد شوقى[١] .

ومن ذلك الحين يئس من الخديوى والراتب . وفوض أمره إلى الله ، ثم اشتد به المرض ، ولازم داره فى (درب الكحكيين) جعلت أتردد إليه فيها ، وكنا نقضى ساعات فى الحديث ورواية الشعر ومطارحة الأدب وأخبار الأدباء ، وخاصة أدباء العراق من الشيعة ، وقد لخصت بعض أحاديثه عنهم فى أُمْلِيّة العدد الصادر فى ١ يوليو سنة ١٩٠٧ من (أمالى الأدب) التى كنت أنشرها فى (المؤيد) من وقت إلى آخر .

وكان الشيخ عبد المحسن يخص بإعجابه من بين شعراء العراق (ابراهيم الطباطبائى النجفى) الذى جمع بين جودة الشعر وحسن الإنشاد ورخامة الصوت ، وهو الذى يقول فى صغيريه حسن ومحمد من قصيدة :

(وأما وضوء الأبيضين لأنتما ... قمرا سعودى فى الليالى السود)

(ما أنتما إلا كقرطى غادةٍ ... يتذبذبان على خدود الخود)

وتأخرت عن زيارة (الكاظمى) أياماً فكتب إلىّ بهذه الأبيات :

« يا من تخيّرتُه دون الرفاق أخاً ... ألقى به عادياتِ الدهر والأزما »

« عُد مدنفاً كاد يُبلى جسمه سَقم ... لعل قربك منه يُبعد السقما »

---

(١) جاء فى عدد مجلة الرسالة الصادر فى ١٣ اكتوبر سنة ١٩٤٧ ما يلى بقلم « الجاحظ » فى معرض الكلام عن رأى حافظ إبراهيم شاعر النيل فى أحمد شوقى ، « . . .. وقص علينا حافظ إبرهيم كيف جاء المرحوم الشيخ عبد المحسن الكاظمى إلى مصر غريباً طريداً فحب أن يكون له فى رحاب الخديوى متسعاً ، ولكن شوقى خشى منافسة الشاعر العراقى فسد عليه الباب وقطع عليه كل رجاء ، وكفر فى هذا بأخوة الأدب وأخوة العرب وبالواجب نحو رجل شطت به الدار ووجد السيد عبد المحسن فى الأستاذ الامام حمى ولكن الحمام لم يمهل الأستاذ الامام . . . وهنا تهدج صوت حافظ . ودمعت عيناه ولم يستطع أن يتم الحديث . » الناشر .

« إذا ألمتْ به غماء جائحة فنورُ وجهك عنه يكشف الغما »

« كم منةٍ لك طول الدهر فى عنقى ما زلت أذكرها أو أسكن الرَجما »

وقوله (الإزما) بكسر الهمزة وفتح الزاى جمع أزمة بمعنى الشدة والضيق ، وهو جمعٌ نادر . ومنه قولهم فى جمع (بَدْرة) (بِدْر) .

ولم آسف على شىء أسفى على خبرين كان حدثنى بهما فلم أستقص تدوينهما فى مذكراتى عنه .

(الأول) ما وصفه لى من نشأته الشعرية تحت إشراف أخيه الأكبر وكانت دار أخيه (فى بغداد أو الكاظمية) مثابة لشعراء الشيعة وأدبائهم . فكان الكاظمى الحدث يطارحهم الأدب ويسابقهم إلى قرض الشعر ، وكان أحياناً يجيد إجادة يعجب بها القوم ويهتزّ لها أخوه طرباً وسروراً . وأنشدنى قِطَعاً من شعره قالها لمناسباتٍ عرضت فى تلك الاجتماعات فاتنى تدوينها مع المناسبات التى قيلت فيها .

(الثانى) ما وصفه لى من إلحاح الفاقه عليه فى بعض الأيام حتى أنه سأل تاجر الدجاج الذى كان يبتاع من دجاجه أنْ يصف له طريقته فى تفريخها وتغذيتها والقيام عليها ليعتاش هو من وراء ذلك . فوصفها الرجل له . وحاول أن يجربها ، ففعل . وأصبح عنده ألوف من الفراريج . وكان يعتنى بها ويطعمها الأرز ، لكنه لم ينجح فى تجربته ، وكانت الخسارة عليه عظيمة . قال : وما كان يخطر لى قط أن الكتاكيت سريعة العطب ، رقيقة المزاج إلى هذا الحدّ . وأنها إذا لم يتدبر صاحبها أمرها بانتباهٍ وفرط حيطةٍ ، ومراعاة الأصول فى تغذيتها وتدفئتها لا يبقى من الألف منها سوى بضعة عشر كتكوتاً .

وكان فى سرده لهذه الحادثة استقصاء دقيق ، ودرسٌ اقتصادى عميق ، وفكاهةٌ تسرِّى عن النفس البائسة كآبتها ، وتعيد إلى الأسارير العابسة بشاشتها .

والكاظمى ينظم الشعر على طريقة شعراء عرب الجزيرة من حيث متانة الأسلوب وجزالة الألفاظ ، وربما امتاز عن كثير منهم بخلو شعره من المغاظلة والتعقيد والأغراب .

وكما أنه تفوق على شعراء زمانه بهذه الطريقة الفحلة نراه امتاز عنهم أيضاً فى أنه يرتجل الشعر ارتجالاً غاية فى السلاسة لا جمجمة فيه ولا تلكؤ . وإذا ارتجله وقع شعره المرتجل فى قالب طريقته الشعرية المطبوعة ، أى إنه مهما طال نفسه فى الارتجال جاء شعره المرتجل موسوماً بطابعه الشخصى ، متقاوداً مستوى المتون ، لا تَشاخُس فيه ولا تفاوت ، لا يخذل آخره أوله ، ولا ينوء عجزه بكلكله ، وهذا موضع الغرابة فى ارتجاله . وربما لا يجاريه فى هذه المزية إلا القليل من الشعراء الأقدمين بله المتأخرين من شعراء هذه الأيام .

ومن ظريف أخبار بداهته ما اتفق لى معه : ذلك أنه زارنى يوماً فى إدارة المؤيد ، فابتدره زميلى الصحافى المشهور سليم سركيس رحمه الله بالعتب الشديد عليه لإغفاله تهنئته بزيه البلدى الجديد .

وكان من خبر هذا الزى أن (سليماً تضايق من اللبوس الإفرنجى المحزن ولاسيما ياقة القميص المكوى ، وربطة الرقبة (الكراڤات) وشظاظها[1] (أى بكلتها) التى كانت تمنعه الحركة وإدارة رأسه يمنةً ويسرةً وهو يحرر ويترجم والفصل فصلُ

(١) (الشظاظ) عود أعقف يجمع بين عروتى الجوالق وضعته ، كان كلمة (بكلة) وهى عامية من أصل فرنسى .

الصيف والحرُّ حرُّ القاهرة . فما كان منه إلا أن أعلن هجر ذلك الزى والزراية عليه ، واصطنع لنفسه الزى البلدى : قفطاناً مشدود الوسط بالزنار ، ويحيط أعلى القفطان بعنقه من دون ياقة ولا عرى ولا أزرار ، وسدل فوق القفطان جبةً بلديةً مخصرة الوسط ، فضفاضة الأذيال ، سهلة الطىّ ، سريعة اللىّ . وأعلن خبر هذا فى الصحف المحلية مشفوعاً برسمه العربى الأصيل ، وزيه البلدى الجميل ، وأخذ إخوانه المحررون وهم كُثر — يصفون خبره فى صحفهم ، والشعراء يهنئونه بقصائدهم .

فلما دخل علينا السيد الكاظمى وأسمعه سليم عتبه قال له[1] :

أَلِقْ دواتك واقربْ وخذ أداتك واكتبْ

ثم جعل يرتجل شعراً فى مدح سليم ، ووصف زيه الجديد . يمليه عليه وهو يكتب حتى إذا طال نَفَس القول اعترضتُه أنا قائلاً : أرى سيكون لهذه القصيدة نبأ عظيم بين أدباء القاهرة ، فلم لا يكون لى فيها ذكر وأنا ثالثكما وشاهد حادثتكما ؟ .

فتحوّل الكاظمى عن (سليم) وأقبل علىّ ، وخاطبنى ببضعة أبيات من شعره المرتجل على وزنه وقافيته . ثم عاد إلى إتمام الكلام فى سليم حتى أكمل قصيدة بلغت ٣٧ بيتاً فيما أذكر ، وقد نشرها صديقى سليم فى مجلته — سنتها الخامسة ص ٢٠٨ — وحكى القصة كما وقعت ، لكنه ذهب إلى أننى إنما اقترحت على السيد الكاظمى أن يذكرنى فى القصيدة امتحاناً له ، واستيثاقاً من أمر ارتجاله .

رحم الله (الكاظمى) وعوضنا الدهر منه ولا أُراه فاعلاً .

المغربى

رئيس المجمع العلمى العربى

---

(١) أنظر قصيدته فى هذا الموضوع بالصفحة ١١٨ فى هذه المجموعة .

ألا خبر من ثنايا العراق

دع الوجد يصبح أو يغبق ... ويُشئم بالكَلَف المُعرِقُ
وخل الحشا تتلظى جوى ... وجَفنى فى مائه يشرق
ولا تزجر الطير عند الأراك ... ينعب بالبين أو ينعق
فقف بى على الدار حيثُ الكثيبُ ... يبرق فى سربه الأبرق
وذرنى أسائل عجماءها ... عساها تَكلّمُ أو تنطق
ألا خبر من ثنايا العرا ... ق يطلع أو زورة تطرق
هل الدار بعدى كعهدى بها ... يباكرها العارض المُغدِق
أم البين أسلمها للبِلى ... وعاث بها الذئب والخرنق
رعى الله أهل الحفاظ الأولى ... كما لقى القلب فيهم لَقوا
أحبای هل كَلِف شيق ... يناشده الكلِف الشيق
وإن خفق البدر ينحو الحمى ... نزت كبدى نحوكم تخفق
على حرقٍ أضلعى تلتوى ... ومن علقٍ أدمعى تدفق
متى تنجلى طبقات الكروب ... وينجاب سدف العنا المطبق
ومما رمانى بكسر الجفون ... ولم يخطنى سهمه الأفوق
فتاة ترجرجُ فى زورق ... جرى بدموعى بها الزورق
وحارقة وسط حراقة ... تناهبنى وجدها المحرق

تعشقتهـــا غرة تشرئبّ وما كل مكحولة تعشق
ومذ أرهقتنى جوى مثقـــلا تيقنت أنى الفتى المرهق
لك البشر يا قاب إن العيون أصابتك أزلامهـا الرشق
فما أنا ممن ثناه العـــذول وزحزحه الـكاشح المحنق
وإنى غنيّ ولـكنّ لى فؤاداً إلى وصلهـــا يملق
وبى شمم ينشق الطيبات ومن كان أجدعَ لاينشق
أقول وقلبى يشب لظى وإنســـان عينى مغرورق
رفيقى لا ترج رفق الظلوم فمن دأبه الظلم لا يرفق
ومن طلب العز أنى يبيت خلىّ الفؤاد ولا يقلق ؟

إطراقة المأموم

وقال فى أغراض :

أطرقت مهما دار فى خلدى ... ذكر الشباب وعهده النضر
إطراقة المأموم وهو شجٍ ... قلق الضمير مبدد الفكر
والعين داميـــة فأدمعها ... تنهلّ من بيض ومن حمر
ولواعج الزفرات فى صعد ... تمتدّ بين الصدر والنحر
قل للعذول إليك عن عذلى ... ذهب العرام[1] وأنت لا تدرى
رحل الشباب ورب مرتحل ... ولى وخلف أطيب الذكر
أمعاهد الأحباب هل خبر ... تسرى به الأرواح ما تسرى
مالى - إذا فيك الخطوب جرت - ... غير الدموع عليهم تجرى
ذهبوا فمنهم من قضى وطراً ... باللامعات البيض والسمر
ذهبوا فمنهم من قضى وطرا ... بالصافنات الدهم والشقر
كانوا وكنا فى ندى ووغى ... ساقين من حلو ومن مر
كانوا وكنا ما الخطوب سطت ... نفرى من الأحداث ما نفرى
كم سائل لبيت دعوته ... ودفعت عنه الشر بالشر
ومروّعٍ سكنت روعته ... وغمرته بالنائل الغمر
كم شدت للراجين من أمل ... وجبرت للعافين من كسر
حتى إذا افترس الزمان يدى ... ووقعت بين الناب والظفر

---

(١) العرام هو المرح الشرز .

لم ألق ممن كنت أكلؤه ... لى كالئاً يأوى إلى وكرى
لم يبق لى فى الدهر من جلد ... يسطيع حمل نوائب الدهر
قد خاننى من كنت أحسبه ... يبقى معى فى العسر واليسر
ذهبت بصبرى الحادثات فلا ... أسف أرددە على صبرى
لا تطلبن علالتى[1] أبداً ... إن النوائب أحرجت صدرى
كيف التعلل والزمان معى ... متلون كتلون.....[2]
وطوارق الأسقام ما برحت ... تنتاب كالأحزاب فى مصر

(١) العلالة بالضم ما تعللت به .
(٢) كذا وجدنا هذا البيت ناقصاً فى مصدرين لهذه القصيدة .

هوى الحمى لا يضمحل

كلف يحن وليس يألو صبراً عن اللائين ولّوا
ان يضمحل هوى المها فهوى الحمى لا يضمحلُ
كلف يزيد ثباته ان قيل ذو كلف يزل
ولئن خلا قلب فمن همّ المعالى ليس يخلو
قالوا سلا أوطانه وأخو الصبابة ليس يسلو
ولقد حسبت أحبتى فوجدتهم كثروا وقلّوا
وذكرتهم فى حين قد نسى الوداد أخ وخلّ
والليل شاب قذاله والفجر فى الحجرات طفل
تجرى الدموع على الصهيل وما نخيل الدمع صهل
يا عين طلك وابل أبداً ووبل سواك طلّ
وجواك يا وطنى له ببواطن الأحشاء شعل
لولا الضنى وصروفه لشئا إليك الذكر رجل
ذكراك يا وطن الصبى ذكراى أرحل أو أحلّ

وقال فى موقف من المواقف :

ويلَ الألى نصروا القوىَّ وأيَّدُوا وعلى الضعيف تألَّبُوا وتجمهرُوا
الرفق بالحيوان فرضٌ عندهم والرفق بالإنسان شَرٌّ مُنْكَرُ

وقال فى بعض استغاثاته إبان اشتداد المرض عليه :

يا زارع السقم بجسمى أما آن لهذا الزرع أن يُحصدا
إن لم تجب عبدك فيما دعا قل لى إذاً من ذا يجيب النِدا ؟

سُئِلَ وصفَ بعض المواقف فأجاب على البديهة :

مَوْقِفٌ يأخذ الهوى منه ما شـــاء ويعطى من الهوى ما شاءا
هــذه تبعث السَّلامَ إشـــاراتٍ وهــذا يرده إيماءا

وله يصف قلمه :

أعيذك من قلم إن طغى على الطرس طوّح بالمقتل
فبيناه من عسل ناطف إذا هو يقذف بالحنظل
وكيف أخاف عليه العثار وهــذى قوائمه انملى

وقال هذه الأبيات ارتجالاً فى حفل وقد طلب منه ذلك عند حضوره ذلك الحفل وكان فى حالة شديدة من المرض والاعياء :

تحتمل الأنفس فى إبائها ما لم تــكن تحمل فى رضائها
ورَبِّ عبء فى قوى نقيبة يوفى على الباهض من أعبائها

أحق بالتكريم منا أمة ... تحفل بالأعلام من أبنائها
لا تصلح الأمة فى مجموعها ... ما لم تكن تصلح فى أجزائها
ولم تقُم دعامة ما لم تكن ... قد وُطّد الأساس فى بنائها
ما هى إلا ثقة لو شريت ... بالنفس كان الربح فى شرائها
أحبابنا إن لكم عندى يداً ... لا تقرب الأيدى إلى إفنائها
إنى أرى الشكر لكم فريضة ... لكننى أعجز عن أدائها
وليت شعرى ما الذى أعُده ... لمنة ولست من أبنائها
وتعظم المنة عند عاجز ... يقصر طول الدهر عن جزائها

أروح بوجد بين جنبيّ غائض

وقال فى قصيدة عراقية من قديم ما قال :

أروح بوجد بين جنبيّ غائض ... وأغدو بدمعٍ فوقَ خدىَّ فائض
فكم بتّ أرعى النجم ـ والليل غامض ـ ... بطرف نأى عنه الكرى غير غامض
نفضت فؤادى من هوى كل أغيدٍ ... على غيّد الخدين للقرط نافض
وأعرضت عما فى الحمى من جآذر ... منعّمة الأجياد مرد العوارض
وأخلصت محض الود فى حب شادنٍ ... بديع المعانى خالص الود ماحض
إذا ما وشوا أو عرضوا بى عنده ... ثنى جيده نحوى وثنّى بعارض
وإن راح قلبى رامضاً جاد بالروى ... وروى تباريح القلوب الروامض
وما رافعى إلاّ إبائى عن الورى ... وليس سوى حبى « ..... » خافضى
رَشاً حبه لى عارض غير جوهر ... وحبى إليه جوهر غير عارض
وإن رفضتنى العالمون فلم أكن ... لودك ياظبى الصريم برافض
طبعت على رعى العهود وإنما ... على رعاء العهد إحدى الفرائض
وإن نقض الخلاّن عهدى فإننى ... لعهد الهوى ـ إى والهوى ـ غير ناقض
منحتهم ودّى فلم يرع حقه ... ولكن رعوه بالقلى والتباغض
وأقرضتهم قلباً ليحمى من العدى ... عن القرض صار القلب مرمى القوارض
أرونى ودًّا ثم بان نقيضه ... وياليتهم يدرون معنى التناقض

إلى كم أذود العزم عن أن يطير بى ... بجنح إبا قالى المذلة باغض
وأطمع فى وعـــد الأنام ووعدهم ... كإيماض برقٍ فى الدجنّـة وامض
وحتى م هـذا الدهر تترى صروفه ... فترمى الحشى فى قارض بعد قارض
ألم يدر انّا إن عزمنا فلا ندع ... لدى العزم من نبض بجنبيه نابض
ألم يدرِ انّا إن نهضنا إلى العـلا ... نقد دوننا شم الأسود النواهض
ألم يدر انّا إن شهرنا سيوفنا ... نطبق أنباض العروق النوابض
ألم يدر أنا إن سحبنا إلى الوغى ... رماحاً كحيات الرمال الرضارض
هدمنا على الأسد الروابض غيلهـا ... ورضنا مصاعيب الأسود الروابض
ونلنـــا أمانينا بأيد بَواسط ... رِداها لأرواح الأعادى . قوابض
فلم لا أخض تيار كل عظيمة ... بكل جواد لجة الخطب خائض
ربضت على علمى بعلوى همتى ... كذى لبد للوثب فى الغيـل رابض
سأنهض بالأعبـــاء وهى ثقيلة ... وغيرى بالأعبـاء ليس بناهض
أروض بماضى غربهـا رسن العـلا ... وغيرى لأرسان العـلا غير رائض
وأدحض فيها كل باب من العلا ... وغيرى لأبواب العـلا غير داحض

■■■

لئن كلّت الأفكار عن كشف غامض ... كشفت بفكرى مشكلات الغوامض
وإن تخذ الآساد فى الترب مربضاً ... فغير الدرارى ليس لى من مرابض
فكم عرّضت بكر العـلا لى نفسها ... ولم يك غير الحظ لى من معارض
وكم عرضت لى فى الزمان عوارض ... وكل كريم عرضة للعوارض

مضى عصر لهوى

من قصائده العراقية :

أجيراننا بمحانى الحمى ومن أين منّىَ جيرانيهْ
سروا يخبطون الدجا والحشا على إثْر آثارهم ساريه
أمامهم القلبُ جار لهم وعيناىَ خلفهم جاريهْ
نأَوْا فنأى الأُنسُ عن حَيِّنا وأمستْ رُبُوعُ الهوى خاليه
أسائل ربع الهوى عنهم فلو ردَّد الربعُ تَسآليه
زهت بسناهم مغانى الهوى ولما تَزَلْ بهم زاهِيهْ
مضى عصرُ لهوى فيالهفتا على طيب أعصُرِنا الماضيهْ
ويا ليت أيامنا بالحمى تعودُ لنا مَرَّةً ثانِيهْ
عسى أن يَعُودَ الكرى ناظرى وتورق أغصانى الذاويهْ
عَلِيٌّ إليك اشتياق وما لغيرك تطمح أشواقيه
نحوْتَ بقلبى حمى اللاَّئذينَ وأبقيت جسمىَ فى ناحيهْ
بقُرْبِكَ كان سُلُوِّى وقد فقدتُ ببُعدكَ سلوانيه
ولولا التداوى بذكر اللقاء قضيتُ من الوجد فى دائِيهْ
لَيرعاكَ خالِصُ إخلاصنا وعينُ التفاتكَ لى راعِيهْ
فما عَنَّ ذكراك إلاَّ وقد أهاجَ كوامِنَ أشجانيه

ذكرتُكَ فى ساعةٍ ليتَهـا إلى الحشر فى زهوها باقيه
وقفتُ أرودُ[1] الهلال ومن ورائى البـدُورُ وقداميه
بُدُورٌ تبدَّتْ بأنوارها لـكُلٍّ هلال دجا خافيه
هوينْا عليهم هوىَّ الفراش بكل حشًى نحوهم هاوِيَهْ
فَفَرُّوا فرار المهـا شُرَّداً عليهـا أُسُودُ الشَّرى عاديه
وكَرُّوا علينا بألحاظهم فمن راميـاتٍ ومن راميه
ولاوين عنى أجيـادهم فمن عاطلاتٍ ومن حالِيَهْ
فَهِمْتُ بغير المها و «أبو ال غنىّ» عن الغيد أغنانيه
لَيصبُو إلَىَّ وأصبُو له وأشكو إليه ويشكو ليه
بقينا حيـارى وألبابُنـا من الوجْدِ نشوانة صاحيه
تجلَّى سناه وجلّى سَناه غياهب أحزاننـا الدَّاجِيَهْ
ولما بدا من خلال السُّجُوفِ أعشت نواظرنا الغاشيه
أُصبتُ بساهيتى مقلتيـه لها اللهُ من مقلة ساهيه
نخالسه نظر المستريب وعينُ الرقيب لنا رانيه
وسَرَّحتُ فى خَـدِّه نظرة وغادرتُ وجنتَهُ دامِيَهْ
ضنى جسدى من ضنى خصره ومن سقم جفنيه أسـقامِيَهْ
سـقى اللهُ أيامنـا بالحمى وطيب لُيلاتنا الماضيه
وروت معاهدنا باللّوى روائح أدمعنـا الغادِيَهْ
بهطلٍ إذا ما ذكرنا الصّبا عصرنا عليه الحشا الصَّادِيَهْ

---

(١) أطلب .

فكم بِتُّ والبيضُ تحت الدجا ... نداماىَ والسُّمر سُمَّاريه
خلَوْنا وكان العفاف الرقيب ... علينا وأعينه واشيه
وللصَّوْن من تحتنا مفرش ... وأبراده فوقنا ضافيه
يُطَارِحُنى العتب تحت العناقِ ... وللعتب لى أذن واعيَهْ
ويسحبُ ذيلَ الهوى لَاهِياً ... بطيب أحاديثنا اللاهيه
سكرتُ وكان جنى ظَلَمه ... مدامى ومبسمه جامِيَهْ
ولم تَصْحُ من سكرات الهوى ... ومن نشوة الُحبِّ أحشائيه
وياحبذا الوصلُ لو لم يكن ... زمان الوصال لنا عاريه
بنفسى أغنَّ تعشَّقْتُهُ ... وفيه تركتُ هوى الغانيه
عطفت معاطفه فانبرى ... وصاح ترفَّقْ بأعطافيه
فقلتُ له : يارعاكَ الإلٰهُ ... ويالاعدتكَ يَدُ العافيه
عليكَ بمن قد كساكَ الجمالَ ... وَوَلَّاكَ ذى الرتب العاليه
فمن أين هذا الجمالُ الذى ... جميعُ القلوبِ به فانِيَهْ
فقال دلالًا : أما والذى ... على مهج الخلق وَلَّانِيَهْ
وَصَيَّرَنى فِتنةً للورَى ... وَسَدَّدَ للفتكِ ألحاظيه
ولَقَّبَ شخصى بربِّ الجمال ... وفى خاتم الرسل سَمَّانيه
لقد خلق الحسنَ خَلَّاقهُ ... ومن خالص الُحسْنِ سَوَّانِيَهْ
ففى حضن الورد ربَّانيه ... وفى لبن الغنج غَذَّانيه
فمن لين قدّى لينُ الغُصون ... ومن مهجتى الصَّخرةُ القاسيه
أقولُ وقد شابَ رأسُ الظلا ... مِ والنجم أجفانه غافيه

وقد أتلف الصَّدُّ منى الحشا ... وقد قَصَفَ الوجدُ أضلاعيه

أما آن من أن تعيد الوصال ... وتطلق أحشاءنا العانيه

فأذكى لظى الوجد فى مهجتى ... وغادرها جمرةً ذاكيه

وقال : جنَتْ مقلتاكَ الذنوب ... فقلتُ : ذنوب الحشا ماهيه ؟

فقال : هوتنى وأبدت هواى ... ولم تُخْفِ أسرارها البادِيه

فعذَّبتُها بالنَّوى إذ جَنَتْ ... وَحَقَّ العذابُ على الجانيه

فقلتُ : نبى ، فقال : أجل ... حياة الرمائم بُرْهانِيَهْ !

فقلتُ : أسًى متُّ ، قال : فَمُتْ ... ويا ليتَها كانت القاضيهْ

فبى منك جَمُّ عناء فما ... أُعيذُكَ باللهِ مما بِيَهْ

حوانى الضلوع وحمر الدموع ... ذى ناشرات وذى طاويه

لقد فضح الدمعُ سِرِّى المصونَ ... وهَتَّكَ أستار أسراريَهْ

يُساوِمُنى الحبُّ خفض الجناح ... وتأبى عرانيننا الآبيه

أذلُّ لمن قادنى حبّه ... ويأنفُ عزّى إذ لا ليه

أما وعُلاى ومجدى الَّذِى ... على قمَّةِ المجد أعلانيه

لأركب فى الحبِّ قبَّ الجياد ... وأبلغ فيهِنَّ آماليه

وإن لم أردها حياض الردى ... فلا يكن العزُّ إصداريه

نفوسٌ أبت وأنوفٌ حمت ... فإما الزلال أو الحاميه

لَأرقى الدواهى ولى عزمةٌ ... يجذُّ شباها عُرا الداهية

على النَّاسِ فى السِّلْمِ والروع ما ... أَمَرَّ لقائى وأحلانيه

تريع قلوبَ الملا سطوتى ... ويؤمنها بِشر أخلاقيه

لتشتاقنى الأزمن الماضيه وتأملنى[١] الأعصر الآتيه
وترهَبُ صولةَ عزمى الأسودُ وتخشى لقائى أعدائيه
تطير قلوبُ[٢] العدى خيفةً لدى الرَّوْع إن شمن أسيافيه
فسل جيرة الحى عن عزمتى وضربى وطعنى وإقداميه
فعزمى من الشُّهب أذكى سنًى وأمضى من الخذم الماضيه
إذا ما طمى الروع فى مركب[٣] به للنَدى أبحر طاميه
جنينا ثمار العلا فى الوغى من البيض والسُّمر العاليه
ولا غرو أنى من معشَرٍ لدى المحل طاعمة كاسيَه[٤]

(١) وفى محل آخر: وتشملنى (٢) وفى محل آخر: نفوس العدى (٣) وفى محل آخر: موكب به للورى (٤) وفى محل آخر: طاعنة .

أبهى زمانٍ ...

وقالها على البديهة وقد سُئِلَ ذلك :

أبهى زمان طيب الهواء ... ما ليس بالصيف ولا الشتاء

أجواؤهُ ناعمـــةُ الأرجاء ... وأرضُه تهزأُ بالسَّماء[١]

يطلع فيها كل ذى بهـاء ... من أغيد رقَّ ومن غيداء

إذا بدا منـه أخو ضياء ... جزّت به ناصية الظَّلماء[٢]

يطوفُ فى الإصباح والإمساء ... فى حُلة سوداء أو بيضاء

ويمزج الصهباء بالصهباء ... ويُوصِلُ الإناء بالإناء[٣]

يسعى بهـا لمعشَرٍ أكفاء ... من كل ذى مجدٍ وذى علاء

مُنتظمينَ فى سما بنـاء ... كأنهم كواكِبُ الجوزاء[٤]

فيصبح الهَمُّ كما الثـكلاء ... ليس له نهجٌ إلى الأحشاء[٥]

وينثنى يلهج بالثَّنـاء ... كل عليل فاز بالشِّفاء

تلك طلاء أيمـا طلاء ... أَلْوَتْ بِهَمِّى ولوت عنائى[٦]

---

(١) الأجواء جمع جو وقوله ناعمة الأرجاء ، أى صقيلة الحواشى والأطراف ليس فيها ما يمنع العين من التلذذ بمناظرها وتهزأ بها لأنها فوقها حسناً وجمالا (٢) يريد بأخى الضياء صاحب المحيا المضىء وجزت قطعت (٣) الصهباء الثانيـة الريق أو أنها عين الأولى ، يريد أن الساقى لا ينفك يمزج واحدة بأخرى وذلك دليل على تتابع الشرب من غير فصل ويؤيد هذا قوله ويوصل الإناء بالإناء ، أى الـكاس بالـكاس (٤) أى فى بناء كالسماء علوا (٥) الثـكلاء ممدودة الثـكلى ، أى الحزينة لفقد ولدها. والنهج الطريق (٦) الطلى بالـكسر : الخمر وألوت به ذهبت به .

طافَتْ بها فى روضَةٍ غنّاءِ أُخْتُ هِلَالٍ وأَخُو ذُكاء

كُلٌّ تمنَّى من جوى البرحاء من أكبد لوصلها ظماء

أن لو غَفَتْ من غير ما إغفاء واندمج الظَّلامُ فى الضِّياءِ(١)

لعله يبلغ من رواء ويغتدى فى مهج رواءِ(٢)

كم أمل خابَ وكم رجاءِ وما أرى من شِيَمِ الإباءِ(٣)

ومن شروط الود والولاء ما بين أهل المجد والعلياء

إن كنت مع صحبك فى فناء والشُّربُ قد جَرَّ إلى انتشاء

أن تستشير القوم للاسراء وتملك النفس من الأهواء(٤)

فإن ذا من شرف الحوباء وربما مال إلى شحناء(٥)

تتبع كل فعلة شنعاء وإن تشأ تألفه للهناء(٦)

إلفاً يُصافيكَ كما الصَّفاء فأحسَنُ الإخوان ذو إخاء(٧)

يمحضُكَ الوُدَّ بلا رياء لا يبرحُ الأيام فى وفاء

---

(١) يقول إن كل من شرب وسوس له الشيطان فتمنى باشتياق زائد لو نام الساقى أو تناوم أو أسبل الليل رداءه لعله يبلغ أمانيه .

(٢) الرواء بالفتح : العذب الصافى وبالضم الريان (٣) يقول إن هؤلاء السكارى كانوا يأملون ويرجون أن ينالوا أمانيهم من الساقى فخابت آمالهم وضل رجاهم، لذا أرسله مثلا فقال : كم أمل خاب الخ

(٤) يقول فى هذا البيت والذى قبله والذى بعده إن من شيم الإباء المحمودة ومن شروط المودة والولاء عند كرام الناس مواساة الإخوان بعضهم بعضاً فإذا اجتمع من لا يشرب مع من يشرب فى مجلس واحد لمحض المجالسة والمحادثة ورأى أنه قد جرى الشراب بالشارب إلى السكر فالأجمل به أن يترك أصحابه السكارى ويرحل عنهم فإن ذلك شرف من النفس وربما آل الأمر بالشاربين إلى مالا تحمد عقباه فيكون هو بينهم حيران لا يدرى ما يصنع ولعله يكتب معهم بين الناس وهو برىء

(٥) الحوباء : النفس (٦) الشحناء : العداوة (٧) يقول : إذا شاء الإنسان أن يتخذ إلفاً يصافيه ويهنأ بصحبته فأحسن الإخوان من يمحض الود لصاحبه ولا يرائى فى الحب وأن يكون وفياً مدى الأيام فى السراء والضراء .

يُرضيكَ فى السراء والضراء ... إن كان هـذا فهو كالعنقاء:
يا أيها الماتح من صمّاء ... ما كُلُّ دَلْوٍ عُدَّ فى الدِّلاء[1]
دَعْنِي ونار الحبِّ فى أحشائى ... ما كل نارٍ تنطفى بمـاء
وشادنٍ مَرَّ مع الظبـاء ... يمرح فى خميلةٍ فيحاء[2]
يعطو كمثل الظبية الأدماء ... يرنو لمثل أختـه حوّاء[3]
أخجلتهُ فعاد من خبـاء ... يقتطف الورد وعين الرائى
أدنيته فلجّ بالتنـائى ... وراح لا يعبأ بالنـداء
حتى إذا استُعطف لادعائى ... حوّل أذنيه إلى الإصغاء
فقلت : هل للعشق من دواء؟ ... قال: دواء العشق عين الداء[*]

---

(١) يقول : إن مثل الإلف غيرموجود فى هذا الزمن فهو كالعنقاء تسمع به ولا تراه . الماتح الذى ينزح الماء من البئر (٢) الشادن : الظبي ، والخميلة : الموضع الكثير الشجر
(٣) الادماء : الظبية التى شرب لونها بياضاً .
(*) ملحوظة : وجدنا الشرح الذى أدرجناه لهذه القصيدة مكتوباً بخط الناظم نفسه على القصاصة التى وجدنا فيها القصيدة وقد نقلناه كما هو دون أى تصرف .

يا تربة المصطفى

قال لها يمدح النبى صلى الله عليه وسلم وأهل بيته :

يا دهر غادرتنى وأحشائى ... بين خطوب و بين أرزاء
فى كل يوم تهب عاصفة ... ريحك من زعزع ونكباء
تحصد فينا ولم تدع أبداً ... من نثرة تتقيك حصداء
أراك ما إن تزال ترمقنا ... عن ضغن فى الحشا وشحناء
هل لك بالصلح أو أذيقكها ... من كف صعب المراس عدّاء
قف حيث أوقفت للجزاء وقع ... فى ظفر ليث للموت مشّاء
بضربة للوريد حاسمة ... وطعنة فى حشاك نجلاء
من أبيض لا يكلّ ذى شطبٍ ... وصعدة لا تحيد سمراء
يجدع عرنين كل ذى حنق ... حليف لؤم غدا و بغضاء
وينثنى لاوياً بُرمته ... لحفرة فى الصعيد قفراء
أو يترك اليوم فى محلته ... تندب شلواً رهين بوغاء
نجيعه مورد بكل ثرى ... وشلوه طعم كل شغواء
هيهات يا دهر أن تخادعنى ... تغضى ولكن من غير إغضاء
تلين لا عن هوى لتنهشنا ... كحية فى الرمال رقطاء
فاذهب فما أنت لى بذى شغف ... يصدق من ودّه بابداء

كان عدوى من كان ديدنه ... حرب حبيبى وسلم أعدائى

بعداً لدنيا أيامها أبداً ... أسواء تأتى من بعد أسواء

تنتج ساعاتها الهموم ولا ... آن تُرى فيه غير عشواء

تُدعى عجوزاً والناس تعشقها ... رب عجوز ترى كعذراء

كأنما يعشقون ذات خِباً ... تجتنب الدهرَ كل فحشاء

دعها فكم من جلابب حسنت ... وفى الجلابيب غير حسناء

فمن يراها بعين فطنته ... يوصل آراءه بآرائى

يرى كأيامها لياليها ... أدواء تنساب خلف أدواء

لو لم تكن تلبس الصحيح ضناً ... ما لقّبت أرضها بجرباء

أثقل ظهرى عبء الهموم وما ... أحمل ظهرى لثقل أعبائى

يا مالكى من جميع أنحائى ... غدرت بى من جميع أنحائى

حتى م يا دهرنا تطالعنى ... بغارة من عداك شعواء

كم من شقيق للنفس فيك غدا ... وراح يبكى نوى الأشقّاء

وقولة من رجائنا شرقت ... بفعلة من ظبائك شنعاء

وليلة قد تركت ساعتها ... كليلة لا تشيب ليلاء

وكم عزيز سلبت عزته ... وسمته شيمة الأذلاء

وكم ذليل عارٍ ولا برد ... ألبسته بردة الأعزّاء

لا بقى العز لى إذا بقيت ... أحداثك الغلب غير أشلاء

تركتنى واحداً ولا أحد ... بآخذٍ من يديك أشيائى

أدعو أحبّائى والفؤاد شجٍ ... والعين مكحولة بأقذاء

أيا أحبابى كم دعوتكم ولم أجد بالحمى أحبائى
وكم دعوت الحمى فلم يرنى غير رسوم تخفى على الرائى
إذا تداويت بادّكاركم أهاج لى طيب ذكركم دائى
أصغى إلى ذكركم فيرجع بى إلى طويل الغليل إصغائى
وإن أقل إننى سأصبح للأنس لوى بى للحزن إمسائى
بتُّ وبنت الأراك ترمقنى بمقلة فى الظلام حمراء
أى نواح يبكى له أسفاً أنوحُ حِب أم نوح ورقاء
تسجع ذات الأطواق خالية وذو الهوى فاقد الأخلاَّء
أبكى فيذكو بين الحشا لهب وأى نارٍ تذكو على الماء
أطاعنى إن ذكرت إلفتنا كلُّ ابن عين للدمع عصّاء
ألم يئن أن أبلّ حرّ حشاً ما برحت تلتوى ببرحاء؟
دعنى أبث الجوى وأطرحه عن زفرة فى الضلوع خرساء
وإن فى الحالتين متعبة إبداى ما حل بى وإخفائى
يجب ظهرى إن رحت أبطنه أو رحت أفشيه حزّ أحشائى
يأيها الممتطى سرى عجلاً دع المطايا وسر بأحشائى
عرّج على يثرب وشق على بطحائها قلب كل بطحاء
واستوقف العيس فى ثرى وقف الكون مشيراً له بإيماء
نفسى فدا تربة أقام بها خير بنى آدم وحوّاء

صلّى عليه الإله من قمر ينير للحشر كل ظلماء
بضوئه البدر يستضيء ولا من مطلع غيره لأضواء
أنّى تأملته وجدت به كل سنا للهدى ولألاء
جز السما وأبلغن ثراه تجد كم من ثريّا بها وجوزاء
تفوق تلك التى بزهوتها تفوق فى الدهر كل زهراء
أرض تمنّى السماء أن بها من بعض ذى الأرض بعض سيماء
يا تربة المصطفى اشمخى شرفاً فأنت علياء كل عليماء
تملكى الأرض والسماء وما بينهما من فضا وأجواء
وكل ما كان فى الوجود وما يكون من ذاهب ومن جائى
فإن فيك الذى له خُلق الـ مخلوق فى عودة وإبداء
تدنو فتحنو عليك كل حشا من كل دانى الديار أو نائى
فأنت للقلب سلوة وكرى لجفن من لم يفز بإغفاء
يا قلب أدعوك للهوى فأجب وكن قريباً منى لأهوائى
أسلك نهج الهدى ولست كمن يخبط فى الحب خبط عشواء
أصبو إلى أحمد وعترته كل لحيب الجبين وضاء
كل إمام يغنى بكل بلاً عن كل عضب الغرار مضّاء
أعلو بهم يوم خفض كل علا وفى يديهم خفضى وإعلائى
هم ملاذى فى كل نازلة وهم عمادى فى كل لأواء

وهم شِفا هذه القلوب إذا ما عزّ طب على الأطبـــاء
فهم موالىّ والرقيق أنا إن قبلونى من الأرقّاء
كل أغرّ يشق كل دجى بطلعة فى الزمان غرّاء
أفدى بحو باى من يحبهم بل أفتديه بكل حوباء
مالى سواهم ذخراً لآخرتى وليس إلا هم لدنيائى

خمر وجدى بك لا يطفى

قالها مقرظا قصيدة شطرها بعض الشعراء فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم :

أنفس منظوم يزيل العنا ويفرج الكرب إذا التفا
فريدة فى مدح خير الورى عطرت الأقلام والصحفا
بديعة المعنى دعتنى بأن أجيل فيها الفكر والطرفا
فحيّر الفكرة تشطيرها أن أبتنى فى نعتها حرفا
فلا تسمنى أبدا وصفها فلست أسطيع لها وصفا
لف بها نشر غريب الشذا حمدت فيه النشر واللفا
تخفى على مثلى آياتها وهى على الحاذق لا تخفى
يهتز لا عجبا ولكن هوى قارئها بين الورى عطفا
يحسبها من رقة خمرة ممزوجة يشربها صرفا
ما برحت قرطا بأذن العلى ولم يزل تشطيرها شنفا
حسبك منها خطرة كلما مرت على القلب لها رفّا
بخاتم الرسل فشا عرفها الله ما أطيبه عرفا
يأيها المداح بشراكم بلغتم الرحمة واللطفا
قد جعل الله على مادحى نبيه جنته وقفا

يا مهبط الوحى أجر مذنبا قد شفه الوجد الذى شفا
ويا شفيع المذنبين استجب دعوة حى آنس الحتفا
حبك فى الحشر لنا عدة فلا نعد البيض والزغفا[1]
وكل نار ينطفى جمرها وجمر وجدى بك لا يطفى
خذنى إلى تربك يشفى الضنى أليس فى تربك يستشفى ؟

(١) الزغف : الدرع الواسعة الطويلة

لا نفس صاعد ولا حس

وقال وهى من القديم :

لا نفس صاعد ولا حس ... الله ماذا ترين يا نفس
ما لى أرى الدار وهى خاوية ... ليس بها من قطينها جرس
فلا أنيس كأنما انقلبت ... وحشا بقفراء هـذه الإنس
قد رمض الوعس حين قلت له ... أين مها الجزع أيها الوعس
دعها فتلك الآثار قد طمست ... فما بها من رسومها دعس
كأن ما بى سرى بها فعفت ... وأصبحت والبلى لها حلس
ضنيت حتى لو رام لى أثرا ... لامس وهم ضل به اللمس
ولو نسيم الرياض فى سحر ... حاول مسى زعزعنى المس
كانت كؤوسى بالأمس مترعة ... واليوم لا خمرة ولا كأس
عدا علىّ الأسى فما نفع القلب ... حسامى ولا وقى الترس
فلا أبالى بعـد الحمى أبداً ... يخف طود الهموم أو يرسو
ولا أبالى بعـد الحمى أبداً ... يورق عود الغرام أو يعسو
مضى زمان والأنس يمرح بى ... ورب شجو يجره الأنس
ضاقت على الدنيا بما رحبت ... فكل رحب من أرضها حبس
أسوان لا أهتدى إلى عمل ... كان علمى فى نظرى حدس
فأين ألقيت ناظرى أرى ... يرمقنى مأتم ولا عرس

يرى لدى الراؤن كل غنى وليس عندى مما رأوا فلس
أحاول السعد أن يلوح ويرـ تد زمانى وكله نحس
عليك منّى السلام يا أملى رب رجاء قرّ به اليأس
أتهم النطق بالجمود وما جف بأعلى يراعتى النقس[1]
كيف وذو النطق كلما هدرت شقشقة منه قلت ما قُسُّ
الله ماذا جرى به قلمى وما الذى قد حواه ذا الطرس
حوى من القول كل شاردة ألسنة القوم دونها خرس
تصبو إلى واحد الرجال نهى يعزى إليه السخاء والبأس
ذاك هو السيد الحلاحل والنطـــس إذا قيل فى الورى نطس
أحكم أس العلاء ثم بنى وهل بنا إن وهن الأس
تفرقت عنه كل منقبة واجتمع البدر فيه والشمس
تعنو إلى نوره الورى أبدا كأنما الخلق كلهم فرس
إذا رقى منبر الخطابة فالأصوات من هيبة له همس
أوحل فى الدست قال قائلهم شهلان فى بردتيه أم قدس
هذى المعالى هى الفصول له وهو لها دون غيره جنس
أخىّ جاءتك والحياء لها خطى وبرح الجوى لها لبس
تذكرك الوعد كى يباكرها الطيّب يزهو ويذهب الرجس
أربعة بعد خمسة قفلت ووعد من أصطفيه لى خمس
تكسو ثناء وتكتسى مدحا فها كها تكتسى كما تكسو
واسلم لك المدح والثناء معا والويل للشانئين والتعس

(١) النقس (بالكسر) الذى يكتب به كالحبر مثلا .

بدور فضلك ما لهن أفول

وكتب إلى صديق له ، وهى من قصائده العراقية القديمة :

لك فى الحشاشةِ يا أُمَيْمُ مَقِيلُ ... رَبْعٌ أغرُّ وَمَنْزِلٌ مَأْهُولُ

عَوْنَانِ عينى والفؤادُ على دَمِى ... مَنْ لِى به والقاتلُ المقتولُ

فَعَلَى أسِيل خُدُودِ آرام النقا ... أَمْسَتْ نفوسُ العَاشِقين تسيلُ

مِيلٌ كأَنَّ عُهُودَها بقُدُودِها ... مَعْقُودَةٌ فتميلُ حيثُ تميلُ

مِنْ كلِّ ماطِلَةٍ لَوَتْ دَيَّانَها ... كيفَ التَّقاضى والغريمُ مَطولُ

لا تأملن صِلَةً وَإنْ هى واعدتْ ... هيهـات كلّ عِدَاتِهَا تأميلُ

قد حرّمت وصلى وحلّ لها دَمِى ... فغدا لهـا التحريمُ والتحليلُ

نفسى الفدا لِقوامها ورِضابهـا ... هٰذاك عَسَّالٌ وذا مَعْسُولُ

أفَهَلْ إلى ذاكَ الرضاب مُعَرَّجٌ ... أَمْ هَلْ لهاتِيكَ اللثاتِ سبيلُ

أمْسَى الهوَى جُمَلًا ففازَ ببعْضها ... بعضٌ وأصبحَ عِنْدَى التفصيلُ

وتنزَّلَتْ سُوَرُ الغرامِ على الورى ... مِدَحًا فـكان بمدحتى التنزيلُ

هيهات مالاقى « كثيرٌ » فى الهوى ... شَغَفِى ولا قاسَى هَوَايَ « جميلُ »

فلأقطعَنَّ من الهوى أعـلاقه ... أو يشتفى داءٌ لدىَّ دَخِيـلُ

أمُعَلِّلَ الأحشاءِ فى نيل المُنى ... هيهات لا يُجْدِى الحشا تعليلُ

رَتِّلْ بذكر « مُساعِدِ ابن خليفةٍ » ... فلقد حلا فى ذكره الترتيـلُ

أَسَدٌ مَخَالِبُهُ الأَسِنَّةُ والظبى ... وله ثنيّة كلّ مجدٍ غيلُ

وَمُبَجَّلٌ عَظُمَتْ مَهابةُ عَزْمِهِ ... فينا فحقّ لمثله التبجيلُ

فيه يُذابُ الكربُ وهو مُعَظَّمٌ ... وبه يُجَلَّى الخطبُ وهُوَ جَليلُ

لَو أنَّ عَضْبَ الدهرصادف حَدَّهُ ... لغدا وحدّ حُسامه المفلولُ

أو انّ حاتَمَ وابن يحيى فُضِّلَا ... فى الجود كان لجودِهِ التفضيلُ

المجدُ تحتَ بساطِهِ مُتَواضعٌ ... والعِزُّ فوق رواقِهِ مَسْدولُ

سأقول لا كَذِباً وكلُّ مَقالَةٍ ... قالٌ ـ إذا فاتت عُلاكَ ـ وقيلُ

أنتَ المُنَى إمَّا سَرَيْتُ إلى مُنى ... وإذا سألتُ نَدًى فأنْتَ السُّولُ

مَثَّلْتُ فى جدواك وَكَّافَ الحيا ... وبمثلِ جُودِكَ يَحْسُنُ التمثيلُ

إن يَسْمَحِ الغيثُ المثُّ على الورى ... فَعَلَى ندالكَ غدا لَهُ التطفيلُ

أو تسحبِ الذيلَ العُفاةُ فطالَمَا ... سُحِبَتْ بِرَبْعِكَ لِلْعُفاة ذُيُولُ

الفِكْرُ عن إدْرَاكِ كُنْهِكَ قاصِرٌ ... وَالْعَقْلُ عن تمثـالِهِ مَعْقُولُ

سأصول فيك على النوائب بَعْدَما ... كانَتْ علىّ النـائباتُ تصولُ

هـذا غَرِيمُ الدهرِ طالَ مطالُهُ ... فاغرم فإنك ضامِنٌ وَكفيلُ

إن يأفل البدرُ المنيرُ على الورى ... فبدورُ فضلِك ما لَهُنَّ أُفولُ

واسلم إلى العلياءِ طوداً شامخًا ... تأوى الأنامُ لِظلِّهِ وتقيـلُ

قِفْ فالعيونُ إلى سناكَ تشيرُ

قِفْ فالعيونُ إلى سناكَ تُشيرُ ... واهْنَأْ فملكُك فى القلوب كبيرُ[1]

قِفْ واستمع من ناظمٍ أو ناثرٍ ... يَعْنُو له المنظومُ والمنْثُورُ

مِدَحاً لها فى كل سمع نشوَةٌ ... وبكل قلبٍ طربةٌ وسُرُورُ

جُملًا يفصلها البيان مصوِّراً ... وبيان أفصح ناطق تصوير

إنَّ الشعور إلى ثناكَ مُوَجَّهٌ ... لولاكَ ما هَزَّ الأنامَ شُعُورُ

صنتَ الحقوق فقدَّرتكَ رجالُها ... وكذا الرِّجالُ وهكذا التَّقديرُ

أطراكَ حتى شانئوك وطأطأوا ... لك صاغرينَ وفى القلوبِ سعيرُ

نظرُوا إليكَ فأذعنُوا إذ لم يروا ... رجُلًا يُقال له ـ سواكَ ـ خَطِيرُ

ومناوئين تقصَّدُوكَ وأدركوا ... أنَّ التعرُّضَ للأُسود غُرُورُ

خبطت ضمائرهم بليل ظنونها ... أزمانَ والظن المريبُ كثير

حتى بدا صبحُ الحقيقة وانجلَتْ ... تلكَ الغياهِبُ وانمحى الديجورُ

لجأوا إليك وأنت دون الملتجى ... حصنٌ منيعُ الجانِبَيْنِ وَسُورُ

كم موقف صَلّوا لذكرِكَ عنده ... وعلا لك التهليلُ والتكبيرُ

طلبوا نظيرك آملين جهادَه ... لو كان للبدر المنير نظيرُ

---

(١) كتب بهذه القصيدة إلى صديقه الشيخ على يوسف الشهير عند ما تخلى فى الحادث المعروف عن جريدته الذائعة الصيت (المؤيد) معدداً ما له من الخدمات الجليلة والمساعى المشكورة للشرق عامة والمسلمين خاصة ، ومهنئاً إياه بإسناد مشيخة السادات الوفائية إليه وبتأليفه حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية وتأليف جمعية الهلال الأحمر وتأسيسها .

ولفسّروا آياتِ فضلك فى الورى ... بالنجم لو لم يعوز التّفسيرُ
لو كان مأوى الفضل أجواز الفلا ... لَسَعَتْ إليكَ أكامُها والغورُ(١)
أو كان فى نهر المجرّة مَعْبَرٌ ... للمجد كان بها إليكَ عُبورُ
شهدت لك الدنيا ولمّا يستطع ... إنكارَ فضلكَ جاحِدٌ وكَفُورُ
فى كل جيل من صنيعك منّة ... وبكل دار حامد وشكور
كم رحت توقظ كل غِرّ جاهل ... حتى استفاق الجاهل المغرور
وظللت تقتصد الحياة إلى التى ... أودى بها الإسراف والتبذير
لك يا على على البلاد فرائض ... قد حان وقت أدائها ونذور
قد كان منك لها على طول المدى ... هاد يضيء سبيلها وينير
يفديك يا من همه إرشادها ... من همه التضليل والتغرير
علمتها والجهل فى أعماقها ... كالنار يكمن تارة ويثور
وأريتها والأمر غير ميسر ... أن العسير على المجد يسير
لا الدهر يمنع عاملا أن يرتقى ... لعلًى ولا عنت الخطوب يضير
من لم يكن بالجد يدرك قصده ... لا الرأى ينفعه ولا التدبير
لولا اختلافات المدارك ما اعتلى ... منا عظيم واستكان حقير
كم قصّرَ الساعون فى أغراضهم ... والسعى فى غير الهدى تقصير
ما كل ذى طمرين يصدق عزمه ... فلرب دعوى فى العزائم زور
ما كل من أبصرته بين الورى ... نطس بأدواء العباد بصيرُ
ما كل من أعلى عقيرته على ... تذليل آيات الصعاب قدير
لو أن كلاً بالغٌ ما يشتهى ... ما كان فى هذا الوجود فقير
يامَن أرانا العلم كيف رواجه ... بين الملا والجهل كيفَ يبورُ

---

(١) المطمئن من الأرض .

يحيا صنيعك فى الأنام و بعضهم ... يحيا وذكر صنيعهم مقبور

ما للبلاد سوى يراعك مرشد ... وسوى جهادك منقذ ومجير

مَن ذا يكون لها و يحسن قودها ... إن جلجلت نوب وساء مصير

بُعثت بعصرك للمكارم والعلى ... حِقب تقادم عهدها وعصور

وشأى اليراع بك الظبى وتفرعت ... من بحر فكرك للأنام بحور

جو السياسة أنت ملء فراغه ... فيبابه بك آهل معمور

ما زال منك لحلها إن أشكلت ... حذق بكشف الغامضات خبير

قد صدرتك فزنت عاطل جيدها ... شرفاً وحق لمثلك التصدير

أدركت بالأمد القصير محلة ... من دونها الأمد الطويل قصير

عشرون شدت إلى العلا وثلاثة ... أضحت لها تومى العلا وتشير

واصلت سعيك ربع قرن هادياً ... والسعى فى طرق الهدى مشكور

ووهبت للأوطان نفسك هادراً ... تحمى الحقوق وللفنيق هدير

من كان مثلك فادياً أوطانه ... فبمثله الوطن العزيز فخور

مسعاك للعدل المحبب فى الورى ... محيى وللظلم الذميم مبير

كم قمت تهتف طالباً بحقوقها ... فرداً وردّد صوتك الجمهور

ووقفت فى وجه الزمان معارضاً ... من أن يغير على الحقوق مغير

متبسماً والحادثات عوابس ... فى وجهه وفم الخطوب فغور

كالأرقم النضناض ليس يروعه ... ناب ولا يلوى به أظفور

بعظيم مسعاك الذى أفرغته ... ملئت قلوب بالهدى وصدور

و بقصر همتك الذى شيدته شيدت بروج للعلى وقصور
أرض نبت بجوها بك أصبحت ولها مرابع فى النجوم ودور
أوتيت من حكم يحار بكنهها وصف ويقصر دونها التعبير
وصرائم موصولة بصرائم يرنو إليها الدهر وهو حسير
وثبات جأش لا يزعزع ركنه صرف وليس يروعه مقدور
وحمية لا تنطفى جمراتها فشرارها فى الخافقين يطير
آراؤك اختمرت وسار بذكرها السارى ورأى الأكثرين فطير
و بذور فكرك قد نمت وتفرقت منها بآفاق البلاد بذورُ
أنعافها والورد عذب صارد والروض فينان الفروع نضير
ما ذا يقول الكاتبون بفاضل لولاه ما فضل الصليل صرير
كانوا النجوم وكنت بدراً بينهم واليوم كل الكاتبين بدور
قالوا استقال من «المؤيد» ربه وسرى إلى جسم البيان فتور
وتقوّل المتخرصون وذو القلى لك عاذل وأخو الوداد عذير
أنى وفى الحالين أنك قطبه وعليك أفلاكُ البيان تدور
مما يزيل الهمّ قولك لم تن همى ولا قلمى الرهيف كسير
عد لليراع محبّراً ومحرّراً يزهو بك التحبير والتحرير
لا تغمدن شبا يراعك إنه عضب يفل شبا الخطوب طرير
حكم يراعك فهو أعدل حاكم إن راح يظلم حاكم ويجور
فإذا أبيت وكان عذرك واضحاً وهناك أنباء قضت وأمور

فابعث إلينا من لدنك خليفة ... يحمى حمى أوطانه ويجير

واختر لنا من يحذُو حذوك سالكا ... سبل الهدى ويسير حيث تسير

إن « المؤيد » والقلوب تحوطه ... رغم الحسود مؤيد منصور

أولاك مولى المجد أعظم منصب ... سامٍ وأنت بما وليت جدير

يهنيك منصبك الجديد وانه ... نسب يصير المجد حيث يصير

جاء البشير به إليك وجاءنا ... منـــه لعشاق اليراع نذير

لا غرو إنك من سلالة أحمـد ... وعلى سلالته الكرام غيور

كثر التطرق فى الطرائق فابتدر ... واصلح فأنت المصلح المشهور

بين الحقائق والطرائق فى الورى ... حجب يحول سدولها وستور

فاجهد لها حتى تبين بنورها ... ما ثَمَّ محتجب ولا مستور

ولقد أقول لمنكريك وما لهم ... فى ذاك إلا الحزن والتفكير

إن ابن يوسف والهلال وليده ... قمر يضىء دجا الزمان منير

بيناه مكتهلٌ يخف إذا به ... شيخ كما شاء الجلال وقور

يهدى وليس لما يسجل فى الورى ... بهـــداه تبديل ولا تغيير

إيه «علىٌّ» فأنت ملك فضائل ... لك فى العلا تاج علا وسرير

آلاؤك الغر الحسان تمنعت ... من أن يقال لبعضها محصور

أثمار غرسك فى الورى قد أينعت ... فالجهل علم والغياهب نور

هذى عزائمك التى قد أصبحت ... تنبو العزائم دونها وتخور

جاءت بما بات الحسود لأجله ... تغلى مراجـل حقده وتفور

شيدت حزبا وابتنيت جماعة ... يأوى لهـا المثور والموتور
هذاك للاصلاح شِيدَ وهذه ... بالصالحات فناؤها معمور
رُفعت لتخفيف المصائب راية ... هى فى الحروب إلى السلام سفير
علم فؤاد الصالحات بنشره ... جذل وطرف المكرمات قرير
فى ظله الضدان قد جُمعا على ... كرم الهلال فمذنب وغفور
قالوا الهلال فهللت سوح الوغى ... وتهلل المجروح والمكسور
أضحت ترفرف فى الوغى أعلامه ... ولها ورود فى الردى وصدور
تمسى وتصبح والمنون مصرة ... يطوى المنايا ظلها المنشور
والحقد بين رحابه متزايل ... والذنب تحت ظلاله مغفور
عطف النبىّ يرف حول بنوده ... وعلى جوانبه الحنان يدور
ومشاهد قد أصبحت من هولها ... «الأرض ترجف والسماء تمور»
ثبت الهلال بها ولو نادوا لها ... رضوى هوى رضوى وزال ثبير
طلع الهلال ولم تغر حسناته ... حيث النجوم الطالعات تغور
طلع الهلال ولم تغب حسناته ... حيث الخطوب المزعجات حضور
بالله والرسل الكرام معوذ ... من أن يثير به الشكوك مثير
لا تبطل الأعداء سعى رجاله ... الحق منتصر لهم وظهير
بشرى جماعات الهلال بذكره ... فهو اللباب وما عداه قشور
عطرت بذكركم البلاد وذكركم ... مسك تضوع نشره وعبير
لو كان للجبل الأشم ثباتكم ... مادُكَّ ـ لما خر موسى ـ الطور
أو كان فى أسد الشرى إقدامكم ... ما كان فى تلك الأسود أسير

قولوا لروما ما لروما عندنا ... إلا النكال المرّ والتدمير[1]

فعظيمهم يوم الجلاد محقر ... وكبيرهم يوم الطراد صغير

كثرت جموعهم ومن أفرادهم ... بين الخيام الكلب والخنزير

دم يا «علىّ» لها فانك ذخرها ... ونصيرها إن قيل عز نصير

ما زلت تبعث فى النفوس أمانيا ... وتجد حتى يبعث الدستور

ونجوم سعدك لا تزال طوالعا ... وشموس فضلك لا تزال تنير

(١) إشارة إلى حرب طرابلس الغرب آنذاك بين إيطاليا والدولة العثمانية . انظر صحيفة ٩٩ من المجموعة الأولى من الديوان قصيدة « حرب المجد والشرف »

ساعة البين

وقد قالها فى رثاء السيد على يوسف صاحب « المؤيد » :

دار الأحبة خبرينا عن أهلك الخبر اليقينا
نظر الظماء فلم يروا فى بابك الورد المعينا
نضحت عليك عيونهم بدم القلوب وقد صدينا
وسقين من طل الدمو ع وو بلهن وما روينا
يا دار أهلوك استقلوا بالقلوب مطوحينا
يا دار أين تحملوا ولووا الأعنة ظاعنينا
أين استقل الحاديا ن بهم لدن حديا الظعونا
أين الالى لم يبرحوا غادين عندك رائحينا
أين الالى إن قيل خط ب أقبلوا يتزاحمونا
تركوك نهباً للخطو ب وعندها أمسوارهونا
يا دارهم هل تعلمينا أى الديار ميممينا
دار فلا يتواصلو ن بها ولا يتزاورونا
يا دار ماذا حل يو م تحمل المتحملونا
إن الذى أذكى القلو ب هو الذى أقذى العيونا
قيل التصبر مدلج إذ قيل ساروا مدلجينا

يادار زمجرة العفر نى فيك قد عادت أنينا
يا دار حالك ظاهر لا تطمعى أن تكتمنيا
هل غار الدمع المذا ل لذى جوى سراً مصونا
يا دار ما أحلاهموا ممسين فيك ومصبحينا
ما بالهم قد أصبحوا عنا جميعاً نازحينا
ما بالهم من غير ذنب بالتجافى عاقبونا
كيف استباحوا حرمة العهد الوثيق فقاطعونا
عهدى بهم ان شاهدوا منا القطيعة واصلونا
وإذا أساء لهم مسي ء يغفرون ويحسنونا
حاشاهم لم يهجروا طوعاً ولكن مكرهينا
سئموا مرابضهم فرا حوافى البلاقع مصحرينا
ونبت مضاجعهم فبا توا فى التراب موسدينا
هل من سبيل للأولى بلظى نواهم قد صلينا
هل عندهم أن الأحبة للأحبة شيقونا
أمزودين قلوبنا برح الأسى زودتمونا
أهل الحمى ليس الحمى من بعدكم للمحتمينا
أحبابنا ما هذه شيم الرفاق الصادقينا
بالله يا أحبابنا عودوا إلينا أو خذونا
أنَسيتموا تلك العهو د ولم تعودوا ذا كرينا؟
أم عاجلتكم ساعة شغلتكم فتركتمونا؟
لله أية ساعة لم تمض حرقتها سنينا

هى ساعة زلزالها في القلب أنسانا «مسينا»[1]
هى ساعة البين التى لم تدن الاكى نبينا
يا دار لا تتوهمى فيك الأحبة عائدونا
هيهات ليس بنافع قول المطرق عاودونا
ذهبوا وهل رجعى لقو م للمقابر ذاهبونا
لا تنكر العينان سفراً فى الضلوع مخيمينا

* * *

عانِ البلابل والشجونا وتعجل الدمع السخينا
واستقبل الوجد المقيـ م وشيع الصبر الظعينا
وادفن رجاءك حيث أض حى من ترجاه دفينا
خل الدموع وشأنها تدمى المحاجر والشؤنا
ودعْ الحمام على الأراك يهز بالنوح الغصونا
ما كل مطوى الضلو ع على الجوى عرف الحنينا
هيهات أن يدرى الخلى بما يكنّ الواجدونا

* * *

أدرى الخلىّ بمن شجينا وبأى خطب قد دهينا
أم هل درى ساقى الهمو م بأى كاس قد سقينا
فلقد شربنا بالتى عوذت منها الشاربينا
كأساً شربناها على حر الجوى كدراً وطينا

---

(١) بركان مسينا ، وقد ثار عام ١٩١٣

ما للزمان وما لنـــا يقسو ونطمع أن يلينا
أبداً تجدُّ صروفه فينا ونحسبها مجونا
كم حال ما بين الخلي ـ ط وقطّع السبب المتينا
ما بال مصر تبدلت حركات نابضها سكونا
باتت وبات ضمينها تحت الثرى تبكي الضمينا
أو غالهـا الساطى فدك لها المعاقل والحصونا
أم هالها الناعى غدا ة نعى لها الركن الركينا
يا هل درى ناعيه من ذا قد نعى للعالمينـا
أنعى « عليا » أم نعى غرر الفضائل أجمعينا
يا من نعيت لنا ودد نا قبل يومك لو نعينا
لـكنما المقـــدار يجرى كيف شا لا كيف شينا

***

أبت الحوادث أن تجينا إلا بنعى الأفضلينا
هن الخطوب نوازلا تعلو المخارم والرعونا[1]
تدلى العقاب سماكما تخلى من الأسد العرينا
ما للمنايا مولعـا ت بالـكرام الأطيبينا
تتناول الحـــر الـكريم وتترك الوغد الهجينا
ذر يا حمام لنـا الأقل وخذاليك الأكثرينا

(١) المخارم أوائل الليل والرعون ظلمة الليل

ما أكثر المتمردين وما أقل الأكرمينا

***

من أى نافذة رمينا وبأى فاجعة فجينا
أرخصتِ عاديةَ الردى كنزاً نضن به ثمينا
وهدمت نازلة القضا حصناً نلوذ به حصينا
وحجبت عنا نيراً لولا سناه ما هدينا
كانت به الآفاق بيـ ضا فانقلبن عليه جونا
يا من رُفعت على الأكف أعيذ مجدك أن يهونا
يزداد خطبك فى الأنا م فظاعة حينا فحينا
ولرب خطب إن عدا ترك الأعز المستكينا
خطب يعم الأبعدي ن كما يخص الأقربينا
خطب تخرم وقعه دنيا تواتينا ودينا
وعدا على الإسلام عا ديه فأصمى المسلمينا
يا كاتباً حسدت صحيـ فته الكرام الكاتبونا
ثكلتك أم المكرما ت وحيدها البر الأمينا
وبكتك بالعين التى بكت الهداة الراشدينا
لهجت بشكرك يا على وأنصفتك المنصفونا
بالأمس كان مناوئوك لبعض فضلك جاحدينا
واليوم كل العالمي ن على ثنائك مجمعونا
وكذاك من نفع الورى أثنوا عليه شاكرينا

قم واستمع آيات فضـ ـلك فى الأنام إذا تلينا
آيات صدق قد تخا وص دونها المتخرصونا
أوتيت من حكم تها فت دونها المسترشدونا
فبمثل ما أوتيت فلـ ـيتنافس المتنافسونا
وليعملن لمثل ما عملت يداك العاملونا
أخلصت للأوطان ودًّا لم يهبه المخلصونا
ومحضتها النصح الصريح فكنت خير الناصحينا
لا غرو أن أدمى على فقدانك الوطن الجفونا
من ذب عنه ربع قر ن حق أن يُبكى قرونا
أعلىّ حجبك القضا ء وكنت مقوله المبينا
من ذا تركت لأمة تخذتك فى الجلى معينا
من ذا يذب عن الحمى ويذود عنه الطامعينا
أو لست أول من دعا فصغى إليه السامعونا
تدعو إلى الحكم الذى يحصى ذنوب الحاكمينا
تدعو إلى الشورى التى تحيى شعار المقسطينا
لا للتى عبثت برو نقها أكف القاسطينا
كم موقف لك والزئير بمثله يغدو طنينا
كم مأقط ضنك ثبـ ـتّ به وزل الثابتونا
أعجبت أقطاب السيا سة فاثنوا بك معجبينا
وخطمت آناف العدا ة فطأطؤا لك صاغرينا

وملكت أرسان الأمو ر ورضت مصعبها الحرونا
فإذا دعوت أولى الندى لبوا نداءك مهطعينا
و إذا أردت ذوى النهى قيدوا لرأيك مذعنينا
أسست للاصلاح حز با ضم خير المصلحينا
قد خار حزبك من تخير واصطفاك المصطفونا
كم رحت تهتف طارقا باب الندى لمطرقينا
ولكم وقفت مؤيدا حقا غزاه المبطلونا
أبطلت حجتهم بأو ضح حجة تسم الجبينا
ولكم سعيت مجاهدا كى تنقذن مجاهدينا
وجمعت فى ظل الهلا ل جماعة المتطوعينا
تسعى لتنقذ خير قو م فى العراء مصرحينا
تشفى غليل معاشر بلظى القواضب يصطلينا
آليت أن تشأ الأنا م فكنت أصدقها يمينا
نازلت دهرك أعزلا وذوو الكفاح مدججونا
وحملت عبئا طالما أوهى الكواهل والمتونا
ونزلت ميدان البيا ن فكنت فارسه الأرونا
فقرعت كل مجالد وأبيت إلا أن يدينا
وغلبته متفننا يوم الغلاب به فنونا
وقطعت دابر من عثا علنا ولم تقطع وتينا
وفتحت أبواب الرجا أغلقن دون المرتجينا
وولجت من طرق العلا ما لم يلجه الواجونا

وصبرت حتى نلت أقصى ما ينـال الصابرونا
وذوو الحجى آحادها بلغت بمسعاك المئينا
يقظاً تذب عن الحمى وذوو المطامع راصدونا
ما زلت فى سـبل الحيا ة تسير سير الحازمينا
تعلو وتهبط فى مجا هلها شمـالا أو يمينا
الله ما يلقى العلـيم حيال جهل الجاهلينا
ظن الجهول وقد لحقـ ـت حرمت حظ السابقينا
ما كل شـوط الحادثين وراء شوط الأقدمينا
فلربما جاء الأخير فبـذ شأو الأولينا
ولرب فرد برده يحوى الخلائق أجمعينا
حسب الفتى من دهره أن عاد جم الحاسدينا
يرقى إليك الشامتو ن وخلف نعلك واقعونا
حسبوك مت وربمـا قد خاب ظن الحاسبينا
ما كل من غبر الزما ن به غدا فى الغابرينا
مُحيى الفضائل ليس يصـبح فى عداد الميتينا
«أعلي» ذكرك لم يغب عنا ولم نك قد نسينا
تفديك كل نقيبة مرنت على الحسنى مرونا
هذا «المؤيد» وهو خلـفك قدوة للصالحينا
أضحى البيان وكل من عرف البيان له مدينـا
وكفاك أرباب البيا ن بنوك إن عد البنونا

مرآة نفسك بيننا تأبى المكارم أن تبينا
تلقى أشعتها على كل النفوس فيهتدينا
القول مرآة الحجى والعقل أولى أن يزينا
والطبع إما خف أكسب ربه العقل الرزينا
أثمار غرسك أينعت بين الورى للمجتنينا
من شاء أن يجنى جنى الأ خلاق والرأى الرصينا
فاذا نعتك للأنام نعت أصدقها يقينا
طلق المحيا باسما حيث الغطارف عابسونا
أنضته شدة بأسه فنما بها كرما ولينا
كالصل نضنض كامنا فى برده الزاهى كمونا
عالى العقيرة ليس يخ فض منه لوم اللائمينا
يملى ويكتب والأعا ظم حوله يتشاورونا
يعطى اليراعة حقها ويفى حقوق الزائرينا
وخط القتير قذاله كهلا وما عم القرونا
خمسين جاز وحجة كانت سنين هدى تُضينا
مثل الكواكب تزدهى بل بالكواكب يزدرينا
هذا هو الرجل الذى ساد الرجال الأمثلينا
هذى هى الأخلاق لا ما يدعيه المدعونا
أعلى هانحن الأولى جنوا بما توحى جنونا
أرنا مواقفك التى عاد الزمان بها ضنينا

يعزز عليك بأن ترى عز اليراع يعود هونا
أنت الذى أعليته شأنا ففات بك الشؤنا
وجعلته علما يشيـــر إلى سناه المهتدونا
قلم تصول مع القضا ء به ولا تخشى المنونا
بشباه خذلان القو ى ونصرة المستضعفينا
وبيانه كالسحر بل من فوق سحر الساحرينا
يسعى ويلقف كالعصا بصياله ما يأفكونا
لولا شـــباه ما اتقت نوب الزمان المتقونا
قد كان سلوة من سلا وعلالة المتعللينـــا
واليوم أطماع التسلى والتعلل قد طوينا
يهنيك بت منعما وسلمت مما قد لقينا
وأمنت عادية الأسى ومصاحبوك مروعونا
أتراهم قد أمـــلوا لقياك أم هم يأسونا
بقـــلوبهم وعيونهم عاجوا لدارك شاخصينا
سألوك أن تدنو وكيف وقد نويت نوى شطونا
ما كان عهدى حين تسـ ـأل لا تجيب السائلينا
رفعوا الرؤس فلم يرو ك وأبنوك منـكسينا
خمسين عاما لم تعض أيام بين أربعينا
لو عوضونا عنك با لدنيا ومجدك ما رضينا
فلأنت ملء قلوبنـا ما إن بقينا أو حيينا

أنت الذى هونت أن تلقى العظائم أن تلينا
علمتنا الصبر الجميـ ـل إذا أصبنا أو رزينا
وأريتنا كيف الثبات إذا تمادى الخطب فينا
كيف السبيل إلى الهدى وسناك قد لبس الدجونا
انى التفت فلا أرى إلا كئيباً أو حزينا
خلت الديار فليس بعـ ـدك من يسر الناظرينا
فاذهب فأنت نسيج وحدك لا نظير ولا قرينا
قد رحت يسقيك الحيا ونروح نستسقى الجفونا
نشكو فراقك عالمينا انا إليه راجعونا

أبداً تروحُ رهينة

كتب بهذه القصيدة إلى صديقه الأعزّ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله

أبداً تروحُ رهينـة أو تغتدى ... فى طارِف من وجدها أو متلد (١)

نفس يحفزها الغرام فتنثنى ... منقادة طوع الغرام بمقود (٢)

ما كنت أخضع للدمى يوم النقا ... بيدى لو ان زمام قلبى فى يدى (٣)

للحب سلطان يصول ولم يكن ... كالحب للأحرار من مستعبد (٤)

كم مهجة حكم الهوى بفنائهـا ... وقضى عليها كل طرف أجيد (٥)

حكم العيون على قلوب ذوى الهوى ... حكم المنـايا لم يكن بمردد

من أخطأته سهامها فلقد نجـا ... حيناً ومن أصمته فهو بها ردى (٦)

من ذا يرد لهـا شبا إما رنت ... صرف القضاء إذا جرى لم يرد (٧)

أى الـكماة يشيمها وسيوفه ... لم تثلم وقناه لم تتقصد (٨)

قل للجفون تكف عنى نبلهـا ... تَقَدِى بما قد صاب أحشائى قدى (٩)

إن التى أسرت هواى هى التى ... أوهت قوى جلدى وركن تجلدى

---

(١) الرهينة : المرهونة ، والطارف : الجديد ، والمتلد : القديم (٢) يحفزها : يدفعها ، والمقود : الزمام (٣) الدمى : جمع دمية ، وهى الصورة الحسنة المنقوشة من العاج (٤) يصول : يهجم (٥) الطرف : العين (٦) أصمته أصابته ورجل رد ومردى أصابه الردى وهو الموت . (٧) الشبا : الحد . رنت : نظرت (٨) يشيمها من شام إذا نظر ، والثلم الفل والقنا : الرماح والمتقصد : المتكسر (٩) قدى حسبى وصاب : بمعنى أصاب

وتعمدت قتلى عشية أقبلت ... ولربما قتلت ولم تتعمد

فأنا القتيل وأيما متشحط ... بدم الوريد وليس قاتله يدى (١)

الله ياذات السوار بمهجة ... ما بين قرط قد وهت أو معضد (٢)

شيمى لحاظك فالحدود غنية ... عن ناصر فى فتكها أو مسعد (٣)

هذا أسير هواك لو أطلقته ... أطلقت خير فتى بحبك مصفد (٤)

الله أى متيم هذا الذى ... عبث الغرام به وأى معمد (٥)

أين الزلال وأين منى شربة ... أطفى بها حر الجوى المتوقد

فليهن من سلمت حشاه وليبت ... مما شجانى خالياً وليرقد (٦)

أو ما ترانى كيف صيرنى الهوى ... شبحاً أروح كما الخيال وأغتدى

لم يبق منى البين غير بقية ... إن لم تكن ذابت أسى فكأن قد (٧)

ولرب دار جزتها فاستوقفت ... طرفى معالم رسمها المتأبد (٨)

فوقفت أنشدها وقد عفى البلى ... آياتها وكأننى لم أنشد (٩)

فوجدتها عبراً وعدت كواجدٍ ... مستعبرٍ مما رأى متنهّدِ (١٠)

فتصعدت غضويّة وتصوّبت ... وظللت بين مصوب ومصعد (١١)

---

(١) متشحط : متضرج بالدم ، والوريد : عرق فى الرقبة ، ويدى من المدية (٢) وهت : ضعفت ، والمعضد : ما يكون فى العضد من المرأة يشبه السوار (٣) شيمى اغمدى وهو من الأضداد يستعمل بمعنى السل والغمد (٤) المصفد : المقيد (٥) عبث : لعب ، والمعمد : المعمود وهو المغرم (٦) شجانى : أحزننى (٧) الأسى : الحزن (٨) المعالم : جمع معلم وهو المخطط من الديار والرسوم آثار الديار والمتأبد الذى مر عليه الأبد وهى مدة من الدهر غير محدودة . (٩) عفى : محا ، والبلى : القدم (١٠) واجد : من الوجد وهو الحزن ومستعبر معتبر . والمتنهد المتنفس حسرة (١١) تصعدت : علت ، وغضوية : أى نار غضوية منسوبة إلى الغضى والضمير فى تصعدت للأنفاس ، وتصوبت : تحدرت والضمير فيها للدموع ، وظللت : بقيت

اطوى الضلوع على لواعج زفرة تزداد وجداً كلما قلت اخمدى (١)

ويرد قلبى ذائباً فى تربها وجد يذيب لظاه قلب الجلمد (٢)

أقلعت عنها والجوى متسعر بين الجوانح كالشهاب الموقد (٣)

ونزلت فى أخرى إذا هى جنة فيحاء قد حفت بحور نهّد (٤)

من كل أعفر سانح فى تربها يعطو بسالفتى غزال أغيد (٥)

ومنعم لعب الدلال بعطفه لعب النسيم الغض بالغصن الندى (٦)

متمايل مثل النزيف ولم تكن مالت بها منه كؤوس الصرخد (٧)

تلك الوجوه المشرقات على الربى مثل البدور على الغصون الميد (٨)

جددت وجدى وهو غير مخلق ولربما جددت غير مجدد (٩)

أبدأنه وأعدنه فانتابنى تطراب نفسى للبوادى العود (١٠)

ولقد أراها وهى فى شرخ الصبا طوعاً لداعية الحسان الخرد (١١)

---

(١) اللواعج : الروامض ، والزفرة : إخراج النفس بشدة . خمدت النار : إذا انطفأت وخبت

(٢) الوجد : الحزن ، واللظى : النار ، والجلمد : الصلب من الصخور (٣) اقلع : زايل . والجوى : شدة الحزن ، ومتسعر : ملتهب ، والشهاب : النار (٤) الجنة هى الخميلة ذات الأشجار والفيحاء الواسعة النواحى الطيبة الهواء . والنهد : جمع ناهد وهى التى برز ثدياها (٥) الأعفر من الظباء : الذى لونه يضرب إلى الحمرة . وسانح من سنح إذا عرض وتراءى ، ويعطو : يمد عنقه ، وسالفتى العنق : صفحاته ، والأغيد : الناعم (٦) المنعم : الذى تربى فى النعمة . والغض : الرطب اللين ، والندى المندى أى الممطور (٧) النزيف : السكران ، والصرخد : الخمر

(٨) الربى : جمع ربوة وهى ما ارتفع من الأرض . والميد : الموائل (٩) المخلق : القديم البالى (١٠) انتابه : تناوبه مرة بعد أخرى . التطراب : الطرب (١١) شرخ الصبا : أوائله وأيضاً الشبيبة . الخرد : جمع خريدة وهى البكر التى لم تمسس .

حتى إذا غال المشيب قذالها ... وابيض غربيب العذار الأسود (١)

قامت تمنيني الهوى فزجرتها ... ودنت تعنفني فقلت لها ابعدى (٢)

هيهات قد ماتت تباريح الجوى ... ودفنت شطريها معاً فى ملحد (٣)

وصحوت من خمر الصبا وخماره ... ونفضت عن عينيّ طيب المرقد (٤)

ذهبت ليال كنت أحمد وصلها ... وأتت ليـــال بعدها لم تحمد

وتصرمت أيام لهوى وانقضى ... عهد بمثل بهائه لم أعهـد (٥)

من بعـد ما خضت الزمان وأهله ... وضربت فى أغواره والأنجد (٦)

وكرعت فى يوميه يوم فى الهنـا ... رغد ويوم فى المصائب أنـكد (٧)

أيقنت أن العز ينشر عند من ... يطوى المفاوز فدفداً فى فدفد (٨)

وعلمت أن المرء ليس بسائد ... ما لم تشذ به صريمة ملبد (٩)

دعها تهب إلى المغار الأبعـد ... وتعج فى ليل العجاج الأربد (١٠)

هى ساعة إما ردى فيريحها ... عن قصدها أو نيل أقصى المقصد (١١)

---

(١) غال : إذا أخـذه من حيث لا يدرى ، والقذال مؤخر شعر الرأس ، والغربيب الشديد السواد ، والعذار : ما اخضر من نبات العارضين .

(٢) زجره : نهره ، والتعنيف اللوم (٣) التباريح : التوهج من حزن وغيره ، والجوى الحزن والملحد القبر (٤) الخمار : صداع يعقب السكر ، والمرقد محـل الرقاد ويريد به النوم

(٥) تصرمت : انقطعت (٦) الأغوار : جمع غور وهو ما انخفض من الأرض ، والأنجد : جمع نجد وهو ما ارتفع منها (٧) كرع فى الماء : إذا أخذه بملء فيه (٨) المفاوز : جمع مفازة ، والفدفد المفازة أو المهوى بين جبلين (٩) تشد به من شذب العود إذا قشره وهذبه وأخذ زوائده ، والصريمة العزيمة ، والملبد : الأسد (١٠) تهب : تثور ، والمغار : الغارة أو محلها ، وتعج تصوت ، والعجاج : ما ارتفع من الغبار الذى تثيره أرجل الخيل ، والأربد : الأسود

(١١) الردى الموت ، وأقصى الشىء نهايته .

ما تلك نفسى إن دعاها للوغى ... داع وقال لها اقدمى تتردد[١]

أنا من علمت إذا الضراغم هومت ... كلأ العرين بمقلة لم ترقد[٢]

وإذا العزائم أخمدت أنفاسها ... هتك الدجا بعزيمة لم تخمد[٣]

أو خيمت نوب الزمان رست له ... قدم تقوض بالجبال الركد[٤]

لا عزمتى فى نازل تنبو ولا ... زندى متى تورى الزنود بمصلد[٥]

فإذا غضبت فأى قلب لم يطر ... رعباً وأى فريصة لم ترعد[٦]

وإذا رضيت تهللت سحب الندى ... واخضر ذابل كل عود مخضد[٧]

سل بى تخبرك العلى إنى امرؤٌ ... عقد العلا وتميمه لم يعقد[٨]

وأصاب شاكلة الغيوب بخاطر ... فى يومه للأمر ينظر من غد[٩]

ما زال يصحبها بفكر ثاقب ... لا يغفل المرمى وراء محصد[١٠]

حتى ارتقى أوج العلاء ولم يدع ... للمرتقين إلى العلا من مصعد[١١]

بمهند من عزمه أنى سطا ... أودى شباه بحد كل مهند[١٢]

ومسدد من فكره أنى يمل ... بسنانه يعضد بكل مسدد[١٣]

---

(١) الوغى : الحرب ، وتتردد : تجبن أى تقدم رجلا وتؤخر أخرى (٢) الضراغم : جمع ضرغام ، وهو الأسد ، وهومت : نامت وكلأ حرس ، والعرين بيت الأسد (٣) أخمدت بالبناء للمجهول . هتك : كشف (٤) خيم بالمكان : ضرب خيمته به وأقام ، ورست : ثبتت . قوض البناء : هدمه ، والركد : الثوابت .

(٥) نبا السيف إذا كل عن الضريبة ، والمصلد : الذى لا يقتدح (٦) الرعب : الخوف ، والفريصة : لحمة بين الكتفين تضطرب عند الفزع (٧) الذابل : الذاوى ، والمخضد المتكسر

(٨) التميم والتميمة حرز يعلق فى عنق الطفل عند الولادة (٩) الشاكلة : المحجة

(١٠) يصميها : يصيبها ، والثاقب : اللامع ، والمرمى : الهدف ، والمحصد : السديد (١١) ارتقى : ارتفع (١٢) المهند : السيف . أودى به : أهلكه ، والشبا : الحد (١٣) ومسدد : وصف لمحذوف تقديره رمح ، والسنان : الحديدة التى فى أعلى الرمح ، ويعضد : يهب ويقتلع

كم راح ملتجئاً إلىّ وكم غدا ... من رائح بين الورى أو مغتدى (١)

فرّجت كربته وحطت حريمه ... وحجبته عن كل خطب مؤيد (٢)

وفتحت أبواب الجدى من بعد ما ... أبوابه أغلقن دون المجتدى

أنى التفت تجد لذكرى رنة ... فى كل وعد صادق وتوعد (٣)

تلك الجزيرة فالتفت فى تربها ... هل تلقى من أثر لغيرى مخلد (٤)

وانظر إلى النهرين تلف بنى الرجا ... للقاى بينهما حرار الأكبد (٥)

واضرب بفكرك فى الأنام فهل تجد ... فيها كفرعى زاكياً أو محتدى (٦)

إنى ولدت مع المكارم والعلا ... ورضعت ثدى الفخر قبل المولد (٧)

ونشأت فى بحبوحة الشرف الذى ... ترنو النجوم لضوئه من أرمد (٨)

وأحطت بالست الجهات من العلا ... وجمعت شمل نظامها المتبدد (٩)

***

يا طالباً منى الثناء ليرتدى ... أبراد فخر مثلها لم يرتد (١٠)

لا تسلكن سبل المطامع دونه ... إن السبيل إليه غير ممهد (١١)

---

(١) الرائح : اسم فاعل من راح إذا دخل فى الرواح ، والمغتدى من غدا إذا جاء فى الغداة

(٢) فرجت : كشفت ، والكربة : ما تراكم على الإنسان من هم وغيره ، وحطت : صنت ، وحجبته : سترته ، والمؤيد : الشديد (٣) أنى : بمعنى حيث . الوعد بالخير والتوعد بالشر

(٤) مراده بالجزيرة : جزيرة العرب ، ومخلد بالبناء للمجهول بمعنى خالد (٥) النهرين : دجلة والفرات ، وتلف : تلقى ، والحرار : الحرانة .

(٦) الزاكى : النامى ، والمحتد : الأصل (٧) يريد بهذا أنه كريم ماجد وهو فى صلب آبائه وأجداده أو كناية عن مجد الآباء والأجداد (٨) بحبوحة الشرف : وسطه ، وترنو : تنظر

(٩) الشمل : الشتات ، والمتبدد : المتفرق (١٠) ليرتدى من ارتدى بالثوب إذا اشتمل به ، والأبراد : جمع برد وهو الثوب (١١) السبل : جمع سبيل وهو الطريق ، وممهد : موطأ

إنى فتى قيدت نطقى أو أرى ... ندبا يفكّ نداه كل مقيد (١)

حصنته من أن يشاد به امرؤٌ ... فى الناس حظّ علاه غير مشيد (٢)

وحجبته من أن يفوه بمدحة ... إلا لذى كرم أغرّ ممجد (٣)

فعقود نظمى لا يفصلها فمى ... إلا لجيد فى المعالى أجيد (٤)

من شاء أن يحظى بمدحى فليكن ... مثلى حميدا أو كمثل محمد (٥)

ذاك الذى شهد الخلائق أنه ... خير الخلائق سائد ومسوّد (٦)

متفرد بالمكرمات ولم يكن ... بالمكرمات سواه من متفرد

نيطت به أحكام شرعة أحمد ... فتهللت أحكام شرعة أحمد (٧)

وغدت وقد أكل الصدى أسيافها ... مجلوة بيمين خير مجرّد (٨)

فى كف أغلب راح يجنى أيما ... عز ومن يزرع بأرض يحصد (٩)

يستنبط الأحكام مجتهداً بها ... علماً فيوحيها لكل مقلد (١٠)

يغدو له ويروح — أنى يغتدى ... ويروح — عزم مطلق لم يصفد (١١)

كالرمح إلا أنه لا يلتوى ... والسيف إلا أنه لم يغمد

ينزو نزوّ الأسد إما جلجلت ... نوب وينساب انسياب الأسود (١٢)

---

(١) الندب : الشجاع الكريم ، والندى الكرم والجود (٢) حصنه : جعله حصناً لا يوصل إليه ، والمشيد : المرتفع (٣) المدحة : إحدى المدح (٤) الجيد : العنق ، واجيد طويله (٥) حميداً محموداً ومحمد اسم الممدوح (٦) المسوّد : المسود (٧) نيطت به : لزمته الشرعة ، والشريعة احكام الدين (٨) الصدى ما يعلو السيف من طول المكث . مجلوة : لامعة غير صدئة .

(٩) الأغلب : الأسد (١٠) يوحى : يرسل ويلقى (١١) أنى : بمعنى حيث . لم يصفد : يقيد (١٢) نزا : وثب ، والنزوّ مصدره. جلجلت : صوتت شديداً ، والأسود : الحية

فيهين سورتها شديد مراسه ... فتهون دون مراسه المتشدد (١)

بمذرب من حده ماضى الشبا ... ومصوب من رأيه المستحصد (٢)

نفسى فداء دون ذاك المفتدى ... ولرب نفس دون هذ المفتدى (٣)

أولانى الصنع الجميل فزدته ... حمداً ومن يول الصنيعة يحمد

ومحضته الود الصريح فكان لى ... وهواه خير محبب ومُوَدَّد (٤)

فيؤا لربع هواه رواد العلا ... وتفيأوا ظل النعيم الأبرد (٥)

ربع جميم العلم غير مصوّح ... فيه وورد الفضل غير مصرد (٦)

يتناول الحاجات فيه من يرى ... حاجاته نيطت بهام الفرقد (٧)

وروى حياض نداه حائمة الرجا ... تروى به فى العز أطيب مورد (٨)

عذب على قلب المحبّ مساغه ... وشجى بحنجرة اللئيم الأوغد (٩)

ما زلت يا غيث الورى ومغيثها ... ومقر كل فضيلة لم تجحد (١٠)

طلاع أنجدة فما من متهم ... يعدوك فى الشورى ولا من منجد (١١)

كم عقد مشكلة حللت بصارم ... من فكرتيك فعاد غير معقد (١٢)

---

(١) السورة : الحدة ، والمراس : القوة والشدة (٢) مذرب محدد ، والماضى : القاطع ، والشبا : الحد ، ومصوب : أى صائب ، والمستحصد : المستحكم (٣) المفتدى الأول مبنى للمفعول وهو الممدوح ، والثانى مبنى للفاعل وهو المادح (٤) محضته : أخلصت له ، والصريح : الخالص غير المشوب بشىء (٥) فيؤا : ارجعوا ، ورواد : جمع رائد وهو من يتطلب المرعى . وتفيئوا : استظلوا (٦) الجميم : النبات ، وغير مصوح : غير ذاو ، والتصريد : التقليل (٧) نيط به الأمر : إذا لزمه . والهام : أعلى كل شىء . والفرقد نجم معروف (٨) الحائم : الذى يدور حول الماء ولم يصل إليه بعد (٩) الشجى : عظم يعترض فى الحلق . والحنجرة : الحلقوم . والأوغد : كثير اللؤم .

(١٠) تجحد : تكفر (١١) طلاع أنجدة أى ضابط للأمور ، وبعدوك : يفوتك ، ومتهم ومنجد من أتهم وأنجد إذا علا وهبط (١٢) المشكل الصعب من الأمور

وكذاك كم ركن توطد للعلا ... بسنا هداك وكان غير موطد(١)

لك أيها الشهم الذى جمعت به ... فرق المكارم بعد طول تبدد(٢)

قلب على غير التقى لم ينطبع ... ويد لغير البذل لم تتعود(٣)

ونقيبة إما تنمر قصدها ... فى الأمر حادت عن طريق الحيّد(٤)

ومآثر لو كان يمكن عدها ... لعددتها لكنها لم تعدد

فلأنت فى ذا العصر أفضل سيد ... إن قيل من فى العصر أفضل سيد

أمحمد ما أنت إلا حجة ... دحضت بها حجج الزنيم الملحد(٥)

لو جاز لا نقطعوا إليك وصيروا ... تمثال شخصك قبلة للمسجد

ولووا إليك رقابهم من ركع ... يقضون مفروض الولاء او سجد

واستشهدوا بجميل ذكرك كلما ... ذكروا النبيَّ أوان كل تشهد(٦)

ولقد أرى قوما عظمت عليهم ... لما رأوك فضلتهم فى السؤدد(٧)

وملكت ناصية العلا وأريتهم ... إن العلا طوع الكريم الأمجد(٨)

يقظاً إلى أن نلت قاصية المنى ... والطيف يعبث فى عيون الهجد(٩)

هيهات أن ترقى إليك ظنونهم ... تعلو السماء عن الربى والأوهد(١٠)

---

(١) السناء : الضوء ، والموطد : الثابت (٢) التبدد : التفرق ، والفرق : جمع فرقة بالكسر وهى الجماعة (٣) المطبوع : المفطور (٤) النقيبة : النفس ، وتنمر للشىء إذا أخذ له عدته، من قولهم لبس جلد النمر ، وحادت : زاغت، والحيد الزائغون (٥) دحضت : أبطلت ، والزنيم : الدعى اللئيم ، والملحد الذى لا دين له (٦) أوان : وقت أو عند (٧) فضله إذا زاد عليه فى الفضل. والسؤدد المجد (٨) ناصية العلا أعلاها (٩) القاصية : البعيدة ، والطيف : الحلم ، ويعبث : يلعب ، والهجد : جمع هاجد وهو النائم (١٠) الربى : جمع ربوة ، وهو ما أشرف من الأرض ، والأوهد : جمع وهدة وهى ما انخفض من الأرض

شهدوا غبارك ساطعا فتراجعوا ... ووجوههم مغبرة فى المشهد[١]

ما كل ما رأت العيون بمدرك ... أرأيت أن النجم يدرك باليد؟[٢]

حتى إذا خابوا وأخفق سعيهم ... حقدوا ومن يخفق بسعى يحقد[٣]

حسدوك عن علم بأنك خيرهم ... ياخيرهم أرغم أنوف الحسد

دع عنك هاتيك القلوب بغيظها ... تنقدّ أو قسرا لأمرك تنقد[٤]

فسدت خلائقهم فهما حاولوا ... إصلاحها بسواك كان بأفسد[٥]

لا يرأبوا إلا إذا ما طأطأت ... لك خشعا من أشيب أو أمرد[٦]

فتجذ منهم كل عضو فاسد ... وتعيضهم عنه بما لم يفسد[٧]

كم قلت للراجى شبيهك فى الورى ... لا تطمعن بوجود ما لم يوجد

هذا الإمام ومن أصيب برشده ... لا يدرى ما فضل الإمام المرشد[٨]

من جاءه متحيرا فى أمره ... يرجع إلى وضح الطريق الأقصد[٩]

يا عالم الدنيا الوحيد إليكها ... من شاعر الدنيا العليم الأوحد[١٠]

لأواصلن بك القوافى ناشرا ... عصر ابن أوس والوليد وأحمد[١١]

وأبردن حشى الموالى تاركا ... كبد العدو بغلّة لم تبرد[١٢]

---

(١) الساطع : اللامع بارتفاع ، المغبرة : المتغبرة ، والمشهد : محل الشهود والحضور .

(٢) بمدرك : بمنال (٣) أخفق سعيه : إذا لم ينجح (٤) تنقد : تنشق ، والقسر : القهر ، وتنقد : تنقاد (٥) الخلائق : جمع خليقة وهى الطبيعة (٦) رأب الصدع : أصلحه وخشع : خضع (٧) تجذ : تقطع (٨) الرشد : العقل ، والمرشد : الذى يرشد لصالح الأمور (٩) الأقصد : الطريق الواضح (١٠) إليكها : اسم فعل بمعنى خذها

(١١) ابن أوس أبو تمام ، والوليد : البحترى ، وأحمد أبو الطيب المتنبى (١٢) الموالى : المحب والغلة : شدة العطش

وأؤلفن بك الشوارد مائلا رحب الأقالم بالقوافى الشرد[١]

ولأشكرنك ما بقيت لأننى ألفيت شكرك فرض كل موحد[٢]

فى كل قافيـة إذا أنشدتهـا بثناك طاربهـا لسان المنشد[٣]

فاسلم ودم للدين خير مؤيد واسلم ودم للدين خير معضّد[٤]

---

(١) الشوارد : جمع شاردة ، وهى النافرة ، والرحب : المتسع ، والأقالم . جمع إقليم

(٢) ألفيت . وجدت ، والموحد بالله الذى لا يشرك به أحداً (٣) بثناك : بمدحك ، وطار : بمعنى سما (٤) المعضد : الذى ينصرك ويعضدك على الأمور .

أقبل في برد العلا يخطر

وقال على البديهة عند عودة الإمام محمد عبده من ميت غمر وأغلبها ذهب من حافظته :

أقبل فى برد العلا يخطر ... فهلل الأزهر والمنبر

بالأمس قد اصحر ليث الشرى ... واليوم آب الأسد المصحر

أخلى من الزأر عرين العلا ... ثم انثنى فى غيله يزأر

ضرغامة يخضع طوعاً له ... إما سطا الضرغامة القسور

يهدر أو يرجع عن غيه ... كل أخى شقشقة يهدر

سعى وما كل عميد سعى ... يحمد فى مسعاه أو يشكر

من ذا ترى ينكر معروفه ... معروفه فى الناس لا ينكر

ليس لما يجبره كاسر ... كذاك لا جبر لما يكسر

ذو همة يفتر من دونها ... صرف الليالى وهى لا تفتر

وعزمة لو قسمت فى الورى ... ما ذكر الأبيض والأسمر

الله ما أكبرها همة ... بجنبها الأفلاك تستصغر

أعظم به من سيد ماجد ... كل عظيم دونه يحقر

يكثر فى أفعاله واحدا ... به يقل العدد الأكثر

هذى المعالى فأبصرنها وقل ... هل بعد هذا شرف يبصر

بخ بخ يا عصره إنما قد حسدت بهجتك الأعصر
أى علاء بك لا يعتـــلى وأى فخر بك لا يفخر
رد واصدرن فى العز فى ظل من يحـلو به المورد والمصدر
جاء فشمنا البشر فى وجهه يكاد من رقته يقطر
يأيها القادم من غيبـة أنت المنى تغيب أو تحضر
ما أنت إلا جبـل عاصم يأوى لك البادون والحضر
دمت على رغم العـدا سالماً شانئك اليوم هو الأبتر

وكان الناظم مريضاً وزار الإمام فى منزله فلم يجده فكتب على ورقة هذين البيتين :

دنف شـفه الضنى وبراه فانتحى زورة الحبيب ليبرا
وأتى يستميح والعود ذاو نظرة منك ترجع العود نضرا

وقال :

عجبا يطيل الدهر نحوى باعه وببـاعه نحو السماء قصور
ما ذاك إلا أننى عن واجبى أغضيت حتى استنسر العصفور

وقال :

ويل الأولى نصروا القوى وأيدوا وعلى الضعيف تألبوا وتجمهروا
الرفق بالحيوان فرض عندهم والرفق بالإنسان أمر منـكر

ليلة فى عابدين

قال يصف ليلة زفاف[1] :

فى مثلهـا يتغنى البدو والحضر ... ودونها تقف الألباب والفكر

سبحان مبدعها من ليلة زهرت ... فعاد من حاسديها الأنجم الزهر

كأننا فى نواديهـا على ثغب ... يشفى غليل الحشا سلساله الحضر

راقت فلا نطق من عائب سمج ... فيها ولا نظر من غاضب شزر

كليلة القـدر إلا أنها قصرت ... وكل ليل وصال شأنه القصر

توحى إليك من الأشعار أفضلها ... وتلك توحى بها الآيات والسور

يستنبط الفكر منها كل قافية ... يعرو الفصيح لديها العىّ والحصر

والقول يحمد فى العليا وأحمده ... لمثلهـا فى عياب الفكر يدخر

أصاخ كل أخى شوق بها طربا ... وجاذب الورق فى ألحانه الوتر

تحنو على الصب بالبشرى تعهده ... كما تعهـد ظمآن الربى المطر

تطوى وتنشر من لهو ومن طرب ... ما تنطوى عنده الدنيا وتنتشر

يبـدو ويظهر فى بادى محاسنها ... ما كان يخفى من الحسنى ويستتر

حلا لكل مشوق طيب سامرها ... وطاب للصحب فى حافاتها السمر

---

(١) زفاف الأميرة عطية الله كريمة الخديو عباس حلمى الثانى .

يروح فى جذل منها وفى عبق ... مما تبث مروط الغيد والأزر

يطوف بالكاس فيها كل ذى هيف ... يكاد من رقة فى الكأس ينهمر

مهفهف القد عاطى الجيد أتلعه ... يكاد من نسمات الروض ينأطر

كأنه ملك فى زى كاعبة ... تنى خطاها حياء ثم تبتدر

فتانة اللحظ لو مرت بناظرها ... على النواسك من ألحاظها سكروا

توهمت إحمرار الطرف شائنها ... قد زان طرفك يا فتانة الحور

أغضى فيلفت من قلبى تلفتها ... كأم خشف لوى من جيدها الذعر

ياقلب حسبك ما أضناك من كلف ... فلا تزدك جوى تلك المها العفر

من كان تأسر أسد الغاب سطوته ... قد عاد تأسره الأجياد والطرر

كأنما السلم حرب غير أن بها ... عين الظباء على الآساد تنتصر

يا حبذا ليلة فى مصر زاهية ... لها على العُصُرِ الأوضاح والغرر

تُمحى رسوم الليالى وهى ماثلة ... جلالُها فى الليالى ليس يندثر

ولم تجد أول الأيام موليـة ... أسمى التهانى كما جادت بها الأخر

أصخ إلى القبة العلياء عن كثب ... هناك تلق المعالى كيف تبتكر

واشهد بعينيك آيات سمعت بها ... يأتى العيان بما لم يأته الخبر

وانظر بفكرك تدرك من بدائعها ... ما قد تخاوص عن إدراكه النظر

فى كل مسرح طرف روضة أنف ... يضفو على كل افق بردها العطر

تدب فيها أمانىُّ المشوق كما ... تنساب فى ظلها الأنهار والغُدر

بعابدين وما أدراك ما نظموا ... بعابدين وما أداك ما نثروا

فى كل منظوم عقد من فرائدها ... أشعة من شموس الحسن تنتشر

فى كل موضع كف من حجارتها ... ينابع من ضروب الخير تنفجر

خمائل المجد تندى فى خمائلها ... ووابل الجود من أعطافها همر

يزهو بمختلف الأنوار زخرفها ... كما تلون فى خد الضحى الزُّهُر

فى صفحة البدر منها منظر بهج ... وفى جبين الضحى من حسنها أثر

جاءوا فرادى وأزواجا ولا عجب ... مثل الحجيج زرافات لها نفروا

مشوا وأكبدهم تمشى أمامهم ... لم يثنها صغر عنها ولا كبر

ضاقت بهم رحبات الأرض وازدحمت ... ذرى المنازل والساحات والحجر

صفا الزمان وراق الورد والصدر ... وأقبل الدهر يولينا ويعتذر

فى ليلة بلغت منا عشيتها ... ما ليس تبلغه الآصال والبكر

جاءت تريك على مهل مآثرها ... وجاء يركض فى آثارها السحر

تريك أقصى الأمانى كيف تنشدها ... وكيف ينجاب عنك الهم والكدر

تريك كيف يزف المجد ربته ... وكيف تقرن فيها الشمس والقمر

وكيف تنتظم الدنيا بطلعتها ... وكيف تنتثر الأزهار والبدر

كذا ليفتر ثغر الدهر عن عرس ... لمثله حسنات الدهر تفتقر

إليك يا صاحب القطرين تهنئة ... لم يلمح السمع شرواها ولا البصر

قد هنأتك المعالى وهى حالية ... بدرة أرخصت من دونها الدرر

تعزى إليك فيسمو قدرها شرفاً ... ورب ذى شرف يعزى فينحدر

إن فاخرت بك لم تترك لدى أحد ... فخراً به فى سماء المجد يفتخر

غزيز مصر وما مصر ببالغة ... نضارة العيش لولا عهدك النضر

أنت المليك الذى من دون أخمصه ... سمت عروش العلا وازدانت السرر

أنت المليك الذى أربى على مُلُك ... سالت بأنعمه الوديان والجزر

أعيذ ملكك أن تنتابه نوب ... وأن يحيق به من طامع خطر

لتغف عيناه ولتأمن حشاشته ... مما يروع فأنت الساهر الحذر

خذ من زمانك ما يحلو ودع فئة ... نصيبها فى الزمان الصاب والصبر

وسر بعزمك فيما أنت آمله ... فالحزم مكتمل والرأى مختمر

لو كان عندهم فى كل نازلة ... ما كان عندك ما ضيموا ولا قهروا

حميـــة ترمض الآفاق جمرتها ... وغيرة تتوارى عندها الغير

وعزمة يفزع الأفلاك مضربها ... إذا انتضاها أخوها الصارم الذكر

ونخوة تنزل الدنيا بساحتها ... وهمة ينطوى فى نشرها البشر

ووثبة تستفز الكون سيرتها ... إذا تداولت الأذكار والسير

هذى شمائل عباس فلا عجب ... إذا تعالى أبوها الضيغم الهصر

شمائل تنجلى عن كل مكرمة ... إذا أتاها أخو الآمال يختبر

يرتد رائدها بين الورى ثملا ... كأنها من قطاف الكرم تعتصر

لجا المَرُوعُ «لعباس» فكان له ... منجاة والهُوَّة العمياء تحتفر

أوَوْا إلى جبل آواهم زمناً ... ولم يكن لهم من دونه وزر

كم عقدة حلها والخطب معترض ... وغلة بلّها والقلب مستعر

كأن عباس فى ماضى عزيمته ... أبو تراب وفى تدبيره عمر

هذا المليك الذى أضحت مآثره ... مثل النجوم ولكن ليس تنحصر

كذا لتبق لياليك الحسان لنا ... وهكذا فلتدم آياتك الغرر

وليحى عرشك ولتعل الحياة به ... وعرش شانيك فى الأيام يحتضر

لا زال ملكك محموداً بمالكه ... وعصر حكمك تعنو دونه العصر

أيها السارى إلى دكن ...

كتب من مدينة لاهور قبل مجيئه لمصر بهـذه القصيدة إلى صديقه الشيخ محمد المازندرانى وكان إذ ذاك فى حيدر أباد دكن :

دع دموع العين فلتَصُبِ وسهام البين فلتُصِبِ (١)

فلقد بان الخليط ضحى وبه برح الغرام وبى (٢)

آه لو شاهدت وقفتنا والهوى جاثٍ على الركب (٣)

وترانا يوم فرقتنـا بين بسّامٍ ومنتحب

أيمـا صب أخى شجن قلق الأحشاء مكتئب (٤)

أخـذت بالقلب لوعته أخذات النـار بالحطب

ومشت فى الخـد عبرته مشية الأنهـار فى الترب

أنا فى حـل ومرتحل حاضر الأشـواق للغيب (٥)

---

(١) تصوب السماء : تأتى بالمطر (٢) الخليط : المعاشر ، وبرح الغرام : شدته

(٣) قوله جاث على الركب : كناية عن عدم تزحزحه وذلك مأخوذ من حالة الشجاع فى الحرب ، فإنه إذا جثا لا يتزحزح أو يفنى وهذا دليل على الثبات ومنه قول الشاعر :

دكوا رباها ثم قالوا لها وقد جثوا نحن مكان الربى

(٤) الصب : من أنحلته الصبابة ، والشجن بالتحريك : الحزن ، يتعجب من نفسه فيقول : أى صب هذا الصب ويريد به نفسه (٥) الغيب : بفتحتين كشمر : الغائبون

لم أزل أصفى وأمحضهم ماء ود غير مؤتشب[1]
إن يكن جسمى تجنبهم ففؤادى غـــير مجتنب
وكذا شخصى متى رغبوا باقتراب منـــه يقترب
هم بنو ودى وأين بنو الو د عن ذى لوعة وَصِبِ
كل علوي السنا قمـــر ، لم يكن آناً بمحتجب
من رأى إشراق غرته صاح يا شمس الضحى احتجبى
أو رأى فعـــل التفرق فى جسم هذا الكاسف الشحب[2]
ترك الأنفاس فى صـــعد ودموع العين فى صَبب
أين عنى صاحبى فأنا لسواه غير مصطحب
قلبتنى كل راحـــلة وإليـــه كان منقلبى[3]
وأرتنى كل مضطرب فرأتنى غير مضطرب[4]
أيها السارى إلى دكن سر إلى ذاك الفضا الرحب[5]
واجتـــذب منى ممنعة لم ترضها كَفٌّ مجتذب[6]
واحتقب عنى مولّهة ما رأتها عين محتقب[7]
واسلبنَّ كل غاليـــة لم يطلها باع مستاب[8]

---

(١) أصفى الود وأخلصه ومحضه بمعنى ، والمؤتشب : المشوب (٢) الشحب : المتغير
(٣) يريد أنه ذهب كل مذهب فلم يرقه غير صاحبه هذا .
(٤) المضطرب بفتح الراء محل الاضطراب يقول : إنه سار فى كل مكان فما اضطرب ولا تحوّل عن ود صاحبه (٥) دكن : يريد بهـا حيدر اباد قطر من أقطار الهنـد يقيم به صاحبه
(٦) الممنعة : التى لا تنقاد ولا تنال ، وراض الأمر : ذلله (٧) احتقب الشيء : ادخره وحفظه
(٨) اسلبنى بنون التوكيد

واعقرنها من جوى مهجا حيث يبدو الجو من كثب (١)

جو خير الطيبين ومن بسواه النفسُ لم تطب

بين أضلاعى محلته ثم بين العين والهدب

وإذا أدركت ساحته وشهدت الدار من صقب (٢)

ورأيت الأرض قد فرشت عندها بالأنجم الشُّهُب (٣)

قل وخير القول ألينه بلسان المدمع الرطب (٤)

هل إلى وصل الأحبة من ساعة تدنو لمرتقب

أم إلى ماء الجنينة من نهلة أطفى بها لهبى (٥)

من معيد عهد كاظمة بين جد القول واللَّعِب (٦)

يا عهوداً طالما سمحت بوصال الخرّد العرب

وبدوراً طالما طلعت فى ظلال الأثل والغرب (٧)

لا عدت أيام صبوتنا مستهلات الحيا السرب (٨)

وسقت عنا منازلنا واكفات العارض السكب (٩)

ولليلاتٍ لنا سلفت كنّ فى أمنٍ من الريب (١٠)

طاف فيها كل مكتحل عطر الأنفاس مختضب

---

(١) الكثب بالفتح والتحريك : القرب (٢) الصقب كالكثب (٣) يكنى بهذا البيت عن علو مقام الممدوح (٤) بلسان متعلق بقل (٥) الجنينة : تصغير الجنة وهى الحديقة ذات النخل ، وأل للعهد ، والنهلة : الشربة الواحدة (٦) كاظمة : اسم مكان يريد أنه قضى ذلك العهد فى المحل المعروف بكاظمة ما بين جد وهزل (٧) الأثل والغرب نوعان من الشجر (٨) أيام مفعول بقوله عدت ومستهلات فاعله ، والحيا : المطر ، والسرب المنهمل (٩) الواكف : الهاطل ، والعارض : المطر (١٠) الواو واو رب

بأباريق مفـــضضة ومجـامير من الذهب
خنث الأعطاف ذو غيـد عنه كل الغيد لم تنب(١)
وقوام كالقضيب متى جذبته الريح ينجذب(٢)
وجعود ساب مرسلهـا كانسياب الأيم فى الـكثب(٣)
وخدود وضح هتـكت محكم الأستار والحجب
يا غزال الجزع كيف ترى والهاً يدعو ولم تجب(٤)
أترانى أبتغى بدلًا عنك ياذا الألعس الشنب(٥)
أم ترى قلبى تروحه نسمات النور والعشب(٦)
فإذا ما عَنَّ ذكرك لى صحت يا قلبى عليه ذُب
صل ولا تقطع ببعدك لى حبل وصل غير منقضب(٧)
هـذه روحى وهبتُـكَها وهى لولا أنت لم تهب
ها كها موثوقة جنبت بحبال الوجـد والطرب(٨)
يا زمان الأمن لا علقت بك كَفُّ الروع والرعب
كم قضينا فيك من وطر وبلغنا فيك من أرب
ما لأحشائى متى ذكرت عهد أيام الصبا تجب(٩)

---

(١) الغيد بفتحتين : النعومة (٢) وقوام معطوف على غيد (٣) ساب انساب ، والأيم : الحية ، والـكثب : جمع كثيب وهو ما انعقد من الرمل (٤) الواله : ذو الوله وهوشدة الشوق (٥) ذا منادى بمعنى صاحب
(٦) النور بالسكون : الزهر مطلقاً أو الأبيض منـه ، والثانى أصح وهو المسمى بالنوار ولعـله المعروف بالبابنق يكون طيب الرائحة (٧) انقضب الحبـل : انقطع (٨) موثوقة : مقيدة ، وجنبت : جعلت جنيبة ، والجنيبة هى الفرس المجنوبة وراء أخرى (٩) وجب القلب : خفق من الوحيب وسقط أو كاد .

إننى قد كنتُ أعهده خضل السَّاحاتِ والرحب[١]

ولقد كان السرور به يزدهى فى بُرده القشب[٢]

قد غدا والسهمُ مُعتكِفٌ فى محانى ربعه الخرب

أيؤُوبُ الأنسُ ثانيةً لىَ أَمْ وَلَّى ولم يؤُبِ

ما لهذا الدهر صَيَّرَنى شَرِقاً بالبارد العذب[٣]

أبداً تُبدى عجائبُهُ عجباً يأتى على عَجَبِ

يا لقلبى من نوائبه كلما قلتُ اُكْفُفِى تنب[٤]

أنا أأبى أن أُسالِمَهُ إذ غدا حرباً لكلِّ أَبِى[٥]

فإلى كم ليثَ غابتها لا بدٌ فى خيسك الأشب؟[٦]

أَوَمَا آنَ النُّهوضُ لنا عن ثغور الضيم والشعب؟[٧]

ولنا عَزْمٌ تَخِرُّ لَهُ راسياتُ القور والهِضَبِ[٨]

سـترانا طالعينَ لها من بروج الكور والقتب[٩]

---

(١) الخضل : المبتل ، والرحب : جمع رحيب (٢) القشب والقشيب : الجديد يريد أنه خلقت جدة ذلك المكان أو الزمان الذى كان أنيقاً وأصبح عمرانه خرباً (٣) شرقاً من شرق بالماء : غص به يعجب من دهره كيف صيره يشرق بالماء البارد وهو يداوى به الشرق

(٤) تنب : تأتى بنائبة (٥) الأبى : ذو الإباء والأنفة وشرف النفس (٦) ليث غابتها منادى مضاف منصوب محذوف حرف النداء ، والخيس : ما يقيم به الأسد من الشجر الملتف ، وأشب بالكسر شجر ملتف (٧) الثغور : موضع المخاوف من فروج البلدان

(٨) القور : جمع قارة وهو الجبل الصغير ، والهضب بكسر ففتح جمع هضبة وهى الجبل المنبسط على الأرض يقول فى هذا البيت والذى قبله يخاطب نفسه أو غيره ويعجب ، أما آن : أى قرب أن ننهض من وهدة المذلة ولنا عزم الخ (٩) الضمير فى لها راجع إلى الحرب ، والكور : الرحل والقتب بفتحتين : الإكاف الصغير على قدر سنام البعير .

بخميسٍ من عزائمنا يلتوى بالجحفل اللجب (١)
ولدينا كُلُّ مُعتَدِلٍ عاطف بين الحشا حدب (٢)
ورهيف الحد ذى هَيَفٍ بهلال الحتف منتقب (٣)
خافت بطنَ الغمود وإن شحذته الكفُّ يلتهب (٤)
فترى ذا ساكناً ومتى حَلَّ فى الأحشاء يضطرب (٥)
وترى ذا ضاحِكاً ومتى مَرَّ بالأعناق ينتحب (٦)
فقراع الهام فى رهج عندنا أحلى من الضرب (٧)
ودماء القوم سائلةً لى أشهى من دم العنب (٨)
أَوَ أَخشى القتل أم خطرت بفؤادى خطرة الرهب (٩)
وَأَحَبُّ العمر أقصَرُهُ ينقضى بالفتك والسلب
إن من شَبَّتْ علائقُهُ بحجور الحرب لم يشب (١٠)
والذى طالت مَنِيَّتُهُ قصرت منه يَدُ النَّسَبِ (١١)
فإذا نارُ الوغى اضطرمت وَأُنِيرَ الأفقُ باللَّهب
وغَدَتْ فرسانُ غارتها مالها منجى سوى الهرب

---

(١) الخميس : الجيش العظيم وإنما سمى خميساً لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة ، يلتوى : يذهب ، والجحفل : الجيش الكثير ، واللجب بفتح اللام وكسر الجيم ذى الدوى
(٢) المعتدل : الرمح ، وحدب منعطف (٣) رهيف الحد : أى ماضيه ، وذى هيف مصقول ، وقوله بهلال : يريد به اعوجاج السيف وكأنه الوجه بدا نصفه والنصف منتقب بالهلال
(٤) بطن : أى فى بطن ، وشحذ : سل (٥) ذا إشارة إلى الرمح (٦) ذا إشارة إلى السيف ، وضحكه : لمعانه وذلك قبل تلطخه بالدم (٧) الرهج : الغبار الساطع والضرب : العسل الأبيض
(٨) أى الخمر (٩) يقول فى هذا وما بعده أيخاف مثلى الموت أو يخطر لى خاطر رعب وأحب الأعمار وأقصرها ما ينقضى فى الحروب (١٠) العلائق : جمع علاقة وهى ما يتعلق به الإنسان من الشوق والشغف (١١) يقول إن الأماجد قصار الأعمار .

تلقنى والخيلُ عابسةٌ باسِماً عن ثغرى الشَّنب (١)
وكذا الآساد إن غضبت كَشَّرَتْ عن نابها الذَّرب (٢)
ولأن فتشت عن شيمى وأجلت الفكر فى حسبى
لا ترى فى النـــاس قاطبةً مثل أمى فى العــلا وأبى
أنا من قوم بيوتُهم فى العُلا ممدودة الطُّنب (٣)
بزغوا إما دعوا لندى من قصور العِزِّ والقبب (٤)
وإذا حرب ذكت طلعوا من ثنايا السّمر والقضب (٥)
وكذا الآساد تطلع من أجم الطرفاء والقصب (٦)
وثبوا والأســد إن سمعت بحماها صارخاً تثب (٧)
رفعوا الرايات وانتصبوا بين مرفوع ومنتصب
هــذه قومى وذاك أنا إن تشم عاباً بنا فعب (٨)
قل لمن أمسى يطاولنا قصر فى باعك الترب (٩)
بذكا يدعى وليس يرى وذكى عدّ وهو غبى (١٠)
ذاك من طارت فرائصــه عند ذكر الموت والعطب
لقبوه بالأديب وما عنــده شىء من الأدب

---

(١) ألفاه : لقيه ، والشنب ذوالشنب وهو برودة ورقة فى الأسنان .
(٢) الذرب بالكسر الحاد (٣) الطنب : بضمتين حبل طويل يشد به السرادق
(٤) قوله إما إن شرطية وما زائدة ، القبب : جمع قبة (٥) ذكت النـار : اشتعلت ، والسمر : الرماح ، والقضب : السيوف (٦) أجم : جمع أجمة وهى الشجر الملتف ، والطرفاء : شجر ، والقصب معروف (٧) الصارخ : المستغيث (٨) العيب والعاب بمعنى
(٩) ترب : خسر فهو ترب (١٠) اسم الإشارة فى ذاك إلى ذلك المتطاول ، وذكا مقصور ذكاء وهى الشمس .

لم يكن إلا اسمه علماً ما حوى منه سوى اللقب
لو ترى حلمى يطاوعنى لمحا آثاره غضبى
أيها المزجى مطيته تصل التوخيد بالخبب (١)
لمن الأموال تكسبها رُبَّ مالٍ غير مكتسب
وإلى كم أنت مطلب كل وفر غير مطلب
كم قطعت البيد مقفرة بينات القفرة النجب (٢)
ولكم جبنا بهن إلى كل واد قطّ لم يجب (٣)
لم تفز من ماء درتها بسوى الضحضاح والكثب (٤)
عز مثلى من فتى دنف نازح الأوطان مغترب (٥)
أبداً يرمى نقيبته من إبا فى مسرح الشجب (٦)
كم نحتنى النائباتُ وكم لجت الأحداثُ فى طلبى (٧)
فرأتنى أيما رجل صابر فى الدهر محتسب (٨)
وبلت منى أخا جلد لم تلن من عوده الصلب (٩)
كيف أخشاها وكنتُ متى شملتنى ظلمة النكب
لذتُ من كرب الحشا بأبى القاسم الكشّافِ للكُرَبِ

---

(١) المزجى : السائق ، والتوخيد والخبب : نوعان من السير (٢) يريد ببنات القفرة النياق.
(٣) جاب : قطع (٤) الدرة بالكسر : اللبن ، والضحضاح : الماء القليل ، والكثب بضمتين : جمع كثبة بضم فسكون : القليل من الماء أو اللبن أو هى بقية تبقى فى الإناء
(٥) عز : قل والدنف : المريض ، والنازح : البعيد (٦) النقيبة : النفس ، وإبا : مقصور إباء والشجب بفتحتين : الهلاك (٧) نحا : قصد (٨) قوله فرأتنى أيما رجل : أى رأتنى رجلا هماماً (٩) بلا : اختبر .

ذاك من إن نابنى زمنٌ كان لى عوناً على النوب
وإذا الأسبابُ بى انقطعت كان موصولاً به سببى
بشهاب العزم داس على جبهات السبعة الشهب(١)
وبسهم الفكر سار إلى كل أمر قطّ لم يُصَب(٢)
هو قطبٌ والأنامُ رحى هل رحى دارت بلا قطب
ليس إلاّهُ أخو ثقة وعده بالخلف لم يشب
ما له وقف لديه على كل ظمآن الحشا سغب(٣)
فإذا ما قيل أى فتًى طابَ من رأسٍ إلى ذنب(٤)
قلتُ والآثارُ شاهدةٌ أن قولى ليس بالكذب
رجل الدنيا وواحدها وزعيم العجم والعرب
غوثُها الزاكى محمدها غيثها فى الماحل الجدب(٥)
أبداً يُحيى لنا نَشَباً ويُعيدُ الثكل للنَّشَبِ(٦)
أنت عنوان لكل هدى ومراح السالك التعب(٧)
نهتدى منه بكل سنا من وراء الغيب ملتهب(٨)
كم جلا منك اليقين لنا غامضات الشك والريب
لك فى العلياء مرتبةٌ دونها الأعلى من الرتب

---

(١) يشير إلى قوة عزمه ورفعة مكانته (٢) يصب بالبناء للمفعول أى لم يصبه أحد سواه
(٣) السغب بالكسر : الجائع (٤) أى أصولا وفروعاً (٥) أرض ماحل : ذات محل وجدب
(٦) النشب : المال ، والثكل : الهلاك ، يريد أنه مكساب متلاف (٧) مراح الإبل بالضم : مأواها (٨) يصف ذكاءه ونفاذ رأيه .

واعتزامٌ تستزل به محكمات البيض واليلب (١)
وشبا زأى تفلّ به كل عضب الحدِّ ذى شطب (٢)
ويراع لو أذنت له طبق الآفاق بالخطب (٣)
إن ربعاً لست تقطنه لم يكن بالمربع الخصب
دُمْ دوامَ الدهر وابق لنا عمر الأزمان والحقب (٤)
رافِلاً والأنس مُقتبلٌ فى جلابيب الهنا القشب (٥)

(١) الاعتزام : العزم ، واستزل من الزلل ، والبيض بالفتح : الحديد ، واليلب : الدروع من الجلد
(٢) شبا السيف حده ، والعضب : القاطع ، وشطب السيف : طرائقه (٣) اليراع : القلم
(٤) الحقب بضمتين : أطول الزمن أو هو الدهر (٥) القشب بضمتين : جمع قشيب وهو الجديد

وافى كتاب من أحب

وكتب إلى صديق له :

وافى كتاب من أحب قبل ثلاث من رجب
وافى فوافانى به كل سرور وطرب
بل أوامى وشفى كل سقام ووصب
أذكرنى وما نسيت عهدنا الذى ذهب
وكيف أنسى نازحاً تيم قلبى من كثب
يضحك فيه البرق والسحب عليه تنتحب
وتهدأ الأرواح فى أرجائه ثم تهب
فكم تعاطينا به خمر أحاديث الأدب
حتى انقضى وما انقضى بدء غرامى والعقب
أصبو إلى تذكاره . . . ما درج الذكر ودب
ورب ليل بته منزها من الريب
ما بين وضاح الجبين بالجعود محتجب
و بين محمر البنان . . . من وريدى مختضب
بجيده وطرفه إذا رنا أو اشرأب

كم بت منه فى جـلا ... يبب من الأمن قشب

خلوت والصون له . . . برد علينا ينسحب

وهل عرت وسوسـة ... من بعفافه احتجب

فـكم حسوت من لما ... ه كل بارد عذب

فثغره وريقـــه ... بين شمول وحبب

تلك شفاه زانها ال . . . ثغر بلؤلؤ رطب

أم أكؤس من فضـة ... يذاب فيهن الذهب

أصحو ومن خمر لمـــا ... ه العذب نشوان طرب

كل طلا مشوبة . . . وتلك صرف لم تشب

آه على عصر تقضى ... بين جـد ولعب

سرعان ما انبتّ حصيد ... الوصل منه وانقضب (١)

وعاد صرف صفوه ... بكل صرف مؤتشب (٢)

لله من دنيـا تعا ... دى الحر من غير سبب

كم جرعتنى غصص الكر ... ب وكاسات العطب

وليس لى جنـاية ... أعلمها سوى الأدب

أنظر إلى الدهـر وما ... جاء به من النكب

إنى على ما شمته . . . . من شؤم رعده الصخب

---

(١) انبت : انقطع ، والحصيد : المحكم الفتل ، وانقضب : انفصم وانقطع (٢) الصرف الأول بالكسر : الخالصة من الخمر ، والثانى بالفتح نوائب الدهر ، ومؤتشب : مشوب .

لسعده ويمنه . . . . . مؤمل ومرتقب
عسى بعيد بشره يدنو لنا ويقترب
فيغتدى الموحش مأ نوسا ويعمر الخرب
يا هل ترانى ساليا عنك بكل مصطحب
أم هل ترانى راضياً عن الرءوس بالذنب
هيهات أن أسلو عن الورد بزخرف العشب
ولم يزل جمر الجوى بين الضلوع يلتهب
وكلما قلت اخمدى . . . يا نار تذكو وتشب
حتى أراك والهنا . . . يرفل بالبرد القشب

قضت الصبابة أن تهون الصيد

كتبها إلى صديقه الحميم الشاعر الكبير المرحوم محمود باشا سامى البارودى وهى من غرر الشعر:

لمن النجائب سيرهن وخيد ... تطوى وتنشر دونهن البيد (١)

بغيا الورود من الفرات شواخصاً ... للنيل لو فى النيل طاب ورود (٢)

طربى إذا ما قيل قلص للسرى ... حاد وشمر سائق غريد (٣)

عوج الخياشم يندفعن إلى الحمى ... ما لم يسطن فذائد ومذود (٤)

لتحن حتى ينثنى من فوقها ... طرباً كأن حنينها تغريد (٥)

ويقول راعيها إذا هى أقبلت ... تلكم جمال أم جبال قود (٦)

وكأنما فيها الركوب ولائد ... وكأنما أكوارهن مهود (٧)

فإذا مررت على الديار رأيتها ... ترنو كما ترنو الظباء الغيد (٨)

---

(١) النجائب : جمع نجيبة وهى الكريمة من الإبل ، والوخيد : نوع من السير ، والبيد : جمع بيداء وهى الفلاة المقفرة (٢) بغيا : ابتغاء . والفرات : النهر المعروف فى العراق ، وشواخصاً نواظر من شخص إذا نظر مبهوتاً (٣) طربى طروبة ، وقلص : حسر ، والسرى : السير ليلا وحاد : هو الذى يحدو الإبل ، والغريد : المغنى الرخيم الصوت (٤) الخياشم : جمع خيشوم وهو أعلى الأنف ، ويسطن : يضربن بالسياط ، والذائد : الدافع (٥) التغريد : الغناء (٦) قود : عالية (٧) الركوب : جمع راكب ، وولائد : جمع وليد ، والأكوار : جمع كور وهو الرحل بأجمعه ، والمهود : جمع مهد ، وهى ما يهيأ للصبى عند نومه (٨) ترنو : تنظر ، والغيد : جمع غيداء أو هى الحسناء الناعمة .

فالربع إذ تحنو عليـــه بدمعها ... كابن اللبون حنت عليه رفود[١]

وأظنها ذكرت به أوطانهـــا ... والرفد فى أعطانهـــا مرفود[٢]

فتقطفت عزماتهـــا وترددت ... عن قصدها وتواصل الترديد

ولرحت فيهـــا أسترد وديعـــة ... لو أن ما أودعته مردود

وظللت أنشد والأمانى ضـــلّة ... بعراصهن وقلبى المنشود[٣]

ياناق عوجى فالربوع وأهلهـــا ... ممـــــا ألمّ كما ترين همود[٤]

سارت تنث بوخذها سيَر الأولى ... ساروا وسير دموعهم توخيد[٥]

وأتت تخـبرنا وما باد الهوى ... أن الأحبة يوم سلع بيدوا[٦]

وغلطت بل لمن الضوارب فى الفلا ... تحدو بهن بوارق ورعود[٧]

مثل القباب مسيرات فى الثرى ... تجرى وما لمسيرهن ركود[٨]

يحملن ما تعيا به تلك التى ... أعيت عليهـــا أنسع وقتود[٩]

ويسعن من نجد البـــلاد وغورها ... ما لم تسعه تهـــائم ونجود[١٠]

ومنعمات بينهنّ كما الدمى ... بيض حبائلها العيون السود[١١]

---

(١) ابن اللبون : رضيع اللبن ، واللبون : الناقة الحلوب ، وحنت : عطفت ، ورفود : كثيرة الرفد (٢) أعطان : جمع عطنة وهو مبرك الإبل (٣) ضلة ضلال، والعراص : جمع عرصة وهى باحة الدار (٤) عوجى : اعطفى وارجعى ، والم : نزل ، وهمود : جمع هامد وهو البالى من الديار (٥) تنث : تحدث وتغشى ، وسير : جمع سيرة وهى ذكر الإنسان وحديثه والتوخيد : نوع من السير (٦) باد : هلك ، وسلع : اسم مكان (٧) الضوارب : جمع ضاربة ، والفلاة : البرية ، والغرض من الضوارب القطار الحديدى ، وبوارق : جمع برق وكذا رعود (٨) الثرى : التراب ، وركد : سكن (٩) تعيا : تتعب ، وانسع جمع نسع وهو سير عريض يشد به الرحل ، والقتود : جمع قتد وهو خشب الرحل أو الرحل بأجمعه

(١٠) النجد : ما ارتفع من الأرض ، والغور : ما انخفض منها (١١) الدمى : جمع دمية وهى الصورة من العاج ، والحبائل : المصايد

أبداً تروح مع القلوب وتغتدى ... هذى تصاد هوى وتلك تصيد[1]

مشيا وئيداً فى الديار وإنما ... مشى الظباء السانحات وئيد[2]

هيف الخصور تقصفت إمّا انثنت ... منها عليك معاطف وقدود

وإذا تعرض ما يروق المجتلى ... فعوارض مصقولة وخدود

ينظرن إن غفل المراقب خلسة ... عن أعين إنسانها مزؤد

ويمسن من فرط النعومة فى النقا ... مثل القواضب والقواضب ميد

يسرى إليهن الصبا فترده ... بشذا العبير غدائر وجعود

ويعود من تلك القلائص حاملا ... ما الورد يحسد نشره والعود

يشرقن من خلل السجوف عواطيا ... حتى تبين ترائب ونهود

وإذا تراسلت القلوب تتابعت ... رسل الغرام فمقلة أو جيد

ما أسعد المشتاق لو أسعفنه ... أسعفنه ، لو أنه مسعود

***

ترمى وسهم الناظرين سديد ... دعجاء ناعمة الصبا أملود

قد أقسمت ألاّ تكف سهامها ... ما لم يضرج أخدع ووريد

تقسو وتأنف أن تلين لعاشق ... أو أن تلين الصخرة الصيخود

أو أن يقال قضى فلان حسرة ... بفلانة أو مات وهو شهيد

هيهات من يقوى على حرب الظبا ... إن الكمىّ بمثلها رعديد

هوّن عليك إذا ذللت وإنما ... قضت الصبابة أن تهون الصيد

---

(١) تروح وتغدو : تمسى وتصبح (٢) وئيد : بطىء ثقيل .

وانعم بناعمة الشبيبة إنهـــــا طرقتك وهنا والوشاة هجود
ودنت وقد أضنى وأعمـد بعدُها فدنا إليهـا المدنف المعمود
وتبسمت فبكيت من طربى بها فتشابه المنثور والمنضود
ما تثنى أو تثنى لى مهجة لا العذل يثنيهـا ولا التفنيد
ليشوقنى منها إذا هى أسفرت خد بعقرب صدغها مرصود
ما كان أطيب شمـه وورودە لو أنه المشموم والمورود
قالوا تَصَبَّر تحظ منهـا بالمنى أنَّى وركن تصبرى مهدود ؟
أترى تَجِدُّ لنـا لياليا التى بليت وذكر نعيمهن جـديد
وتعود ثانية وأعـــلم أن ما تمضى به الأيام ليس يعود
بخلت بجـدتها فقلت علالة يا نفس صـــبراً انها ستجود
تلك العهود الطيبات ولم تـكن تحلو كهاتيك العهود عهود
أيام كنت ولا يدى مغلولة عمـــا أروم ولا فمى مصفود
كنت الطليق ولم أكن أخطو بها خطو المطرَّق أو هنَتْهُ قيود
خمدت ولـكن التذكر ضارب فى أضلعى وشـواظه موقود
ذهبت وقد أبقت تباريح الجوى ولهـا قيام فى الحشى وقعود
وجرت كواكبها نحوسا بعدما كانت تسير عليّ وهى سعود
فوراك مطراب العشىّ فإننى كلف بغير الغانيات عميـــد
خض بى أحاديث العلاء وخلنى ممـــا تلفقه الـكعاب الخود
أوَ بعد ما وقف الأسى بجوانحى ومشى إلى أجفانى التسهيد

وغدوت منفرداً وشيبي واخط ... فودى وغصن شبيبتى مخضود
تستامنى أن اثنى طوع الدمى ... هيهات ما صعبى إليك مقود
قد عز أن يدنو إلى عقد الهوى ... طرف بأطناب العلا معقود
آليت لا ألهو بغير عزيمة ... لشهابها فى الخافقين وقود
حتى تبرّد فى المجرة غلتى ... ويجر لى فوق السماك برود
ويظل يحسد بعض مجدى بعضه ... إن ضلّ عنه كاشح وحسود
وحلفت لا أعنو لغير أخى علا ... ينمو إلىّ إخاؤه ويزيد
محمودها السامى وهل بين الورى ... إلّاه سام فى العلا محمود
يعنو إليه الدهر فى غلوائه ... فيهون صرف الدهر وهو شديد
هو والزمان إذا تنكر حادث ... قرنان لكن سيد ومسود
لو كان للأيام بعض صفاته ... عاش الشقىّ بهن وهو سعيد
فإذا احتبى فى الدست قلت متالع ... ترسو قواعد عزه وزرود
أو إبن غيل أيقظته حمية ... فعنت لهيبته الكرام الصيد
غيث وليث جاد ذاك بوبله ... وهَمَى فروض الآملين مجود
وسما وطال فللنجوم تحدر ... وله عليها فى العلاء صعود
وجرى إلى الغايات حتى حازها ... وارتاح يفضل صيدها ويسود
سبق الخيال إلى مناه فاستوى التـ ... ـقريب دون مناه والتبعيد
وأرى الظنون مقيدات إن جرى ... فى حلبتيه للظنون قيود
أمطاولا محمود فى عليائه ... أقصر فإن المجد عنك بعيد

هذى مكارمه أيوجد شبهها كلاّ فما لشبيههن وجود
ذكراه حيّ مثله لا كالذى حياً يعد وذكره ملحود
كنا نحد الكائنات جميعها لو أن حد علائه محدود
وأقول يابن النيل كفك فى الندى كالنيل إذ تسخو به وتجود
وأرى بنانك مستمراً فيضها والبحر ينقص مرة ويزيد
بسناك تبيض الليالى السود وإليك يأوى الحائم المطرود
أأبا محمـــد أنت أول جائد وأخير من يُنمى إليــه الجود
تسدى بلا منّ ووجهك ضاحك جــذلا وغيرك عابس مكمود
وتفى ووعدك بعـد طفل يافع وسواك يهرم عنده الموعود
لك يا عقيد المكرمات بحيث ما للمكرمات فتى سواك عقيد
مجــدٌ كما اقترح العلاء مجمع وندى كما اشترط السخاء بديد
وشــبا اعتزام لا يفل كأنه فى الروع من حد القضا مقدود
أنتجت فى الأيام كل فضيلة وحلبت أشطرها وأنت وليـد
ونشأت فى دست الوزارة موريا لزنادها حيث الزنود خمود
ورضعت أول درها وتركتها وشلا وآخر درها تصريد
وطلبت منقطع العلاء فنلته متيقظا والطالبون هجـــود
ولنلت منها مايزيدك رفعة لَو فَوقَ ما نالت يداك مزيد
إن تنأ عنها فالجديد مخلق أو تدن منها فالخليق جــديد
لم ينعدم ذكر الفضائل فى الورى أبدا وذكرك فى الورى موجود

عَودا على بدء يرفرف ظلها ولأنت مبديهـــا وأنت معيد
إن تمس محسودا على مانلت من فضل فمثلك فى الورى محسود
أوأنكرتْ آيات فضلك مِن عمى جهالها فالعالمون شهود
قد شدْتَ مجداً لا يزول وإنما المجـــدُ يبقى والرجال تبيد
شدْ وابن ماهُدمتْ قواعدُه فكـ ـل المجـــد فيما تبتنى وتشيد
ولْيغْدُ مثلك من يَرمْ نيل العلى أَولَا فَنَيلُ المكرمات بعيد
وكأنت فلتكنِ الرجال بسالة أوْلَا فَلَا رجـــل بها معدود
كم موقف لك والظبى فى ضنكة متشـــلمات والقنا مقصود
أصحرت فيه فانثنت فرسانه وثبت حيث الراسـيات تميد
وشهدت كل وقيعة حتى لقد أنسى الوقائع يومك المشهود
أقدمت حتى قال من شهد الوغى أكذا يكون الفارس الصنديد
وكذا يسود الناس من كانت له من عَزْمَتَيْهِ عدة وعديد
أصبحت فى هذا الزمان وحيده وكذا أخوك البدر فهو وحيد
ما أنت إلّا غصن فضل مثمرٍ عِزًّا وباقى العالمين جريد
أما القريض فقد غدوت أباً له وبنوه حولك ركع وسجود
ما جَرْولٌ امّا وَثَبْتَ بجرولٍ يوم المقـــال ولا لبيد لبيد
أنت المرجز والمقصد إن يكن رجز يروق المجتـــلى وقصيد
للشعر آلهة وأنت إلههم فى الشعر تفضلهم به وتسود

ولرب ذى فكر وهَى عن سرده خورا وأنت لسرده داود
ما زال جوهره يصاغ وهل له شرواك يحسن صوغه ويجيد
لولاك يا رب القوافى لم يكن تحلو القوافى أو يروق نشيد
هَذَا عُكاظُ وكلّ حكمك نافذ إذ كل حكم دونه مردود
وَافَاكَ عيد النحر فاقبل هديه واسلم فأنت لكل عيد عيد
دم تستمد بك البرايا وليدم يسع البرية ظلك الممدود
وليبق ذكرك فى الأنام مخلدا فلغير ذكرك لا يطيب خلود
ما اخترت إلّا أن تدوم منعما لو قيل ماذا تشتهى وتريد

ولربَّ جدٍّ في اللَّعِبْ (*)

لعب الطبيب ولا عجب ... ولربَّ جِدٍّ في اللَّعِب
ذكر الحبيب وبُعده ... ودلاله إما قرب
هزَّ الخواطر كلما ... بالغيد شَبَّبَ أو نسب (١)
غنى بما غنَّى فكل ... أخى هوى ثملٌ طرب (٢)
أطرى فقلتُ مُجامِلٌ ... يسقى الثرى مما شرب (٣)

(*) أنشد الناظم هذه القصيدة ارتجالا إجابة فورية على روى قصيدة أنشدها الدكتور الشاعر ابراهيم شدودى ، وكان طبيباً للعيون بمصر وعالج عيون الناظم فأفاد منه وتوطدت العلاقة بينهما ، وكان إنشاد الدكتور لقصيدته فى حفل بمنزل الأديب سليم سركيس ، وقد رأينا أن نثبت هنا قصيدة الدكتور لنفاستها وارتباطها بقصيدة الكاظمى :

[قصيدة الدكتور شدودى]

نفر الحبيب ولا سبب ... أتراه يسلب ما وهب
لا جاء ودعنى ولا ... بعث الرسول ولا كتب
يلهو بتعذيبى أيحـ ... ـسب أن تعذيبى لعب
والشوق أرقنى فبتّ ... على أحر من اللهب
فإذا قضيت أسى فكم ... قبلى أمات الوجد صب
الحى من قتل الهوى ... والميت حىّ لم يحب

(١) التشبيب : النسيب ، فعطف النسيب على التشبيب عطف تفسير (٢) الثمل : محركة السكر ثمل كفرح فهو ثمل أى سكران (٣) أطرى : بالغ فى مدحه ، والمجامل الذى لم يصف بل أحسن المعاشرة

وسَخَا فقلتُ مملَّكٌ يَهَبُ الورى مما سلب (١)

فى ليلةٍ قد جاذبَتْ كل ابن شوقٍ فانجذب (٢)

ما إن بدا (حاكى الصَّدَى) حَتَّى توارى واحتجب (٣)

فكأنما قد خافَنِي خَوْفَ السَّليم من الجرب (٤)

وَلَّى وما غنّى الكرا م ولا على وَتَرٍ ضرب (٥)

عبث المشيب بلمتى لكنَّ قلبى لم يشب

لله ثغر حبيبتى لله ذياك الشنب

الريق عذب كالسلا فة والثنايا كالحبب

كم بت أرشف من رحيـ ق رضابها حتى نضب

سقيا لعهـد العامريـة كم جلا عنى كرب

ما زلت أذكره وده مى كلما ذكر انسكب

لولا اصطحاب الكاظمىّ ظللت دهرى أنتحب

* * *

إنى بمدحك يا فتى بغداد أقضى ما وجب

لولا الهيام بسحر شعـ ركَ عن غرامى لم أتب

عزت بمولدك العرا ق وفاخر العجم العرب

---

(١) سخا : كرم ، ومملك كثير الملك (٢) المجاذبة : مفاعلة من الجانبين وهى الأخذ والرد وابن شوق كناية عن كل محب لأنه يتشوق لمحبوبه (٣) بدا : ظهر ، وحاكى الصدى هو الفونغراف واصطلح على تسميته بالحاكى ، والتوارى : الاختفاء (٤) السليم : الصحيح ، والجرب : داء معروف (٥) ولى : هرب ، ولهذا البيت قصة وهى أنه فى هذا الاجتماع أراد بعض الحاضرين أن يدير الحاكى ليسمع منه بعض النغمات ففسدت الآلة المحركة فأشار إلى هذا المعنى حضرة الشاعر بقوله : ولى الخ . . .

قل للطَّبيب جرى القضاء فلا مَرَدَّ ولا هَرَبْ[١]

حسب الزمان يعيدنى ليس الزَّمانُ كما حسبْ

أتعود جـــدة مدنف شرب البلى فيما شرب[٢]

أمؤملى نيـــل المنى ظفر المنيَّـة قد نشب[٣]

ومن الضَّلال علالتى نفسى ونجمى قد غرب[٤]

قضت الصبابة أن أعيـ ش من الصبابة فى وصب[٥]

وأصرَّ قاسى حكمهـــا أن لا يفارقنى النصب[٦]

لك نفس حر لا تضا م ولا يروعها الشجب

وقريحـة فيـاضة من دونها مزن السحب

وحجى إذا استقصى العويص تقشعت ظلم الريب

خلق كريم زانه علم ومنظوم خلب

هذين عن حسب كسبـ ـت وذاك عن أم وأب

* * *

ولقـد صحبتك ليلةً يا خير إنسان صحب

نابت بهـا آيات ما أنشدت عن بنت العنب

فى مجلس قـد ضم كل أخى ذكاء منتخب

أنشدتهـم فتألبـوا يبغون سمعا عن كثب

---

(١) الطبيب المقصود منه الدكتور شدودى لأنه من مشاهير أساة العيون ، والقصيدة إجابة على قصيدته ، والقضاء : الحكم (٢) الجدة : العظمة والحظوة ، والدنف : المريض مأخوذ من الدنف محركة المرض الملازم ، والبلى مقابل الجدة (٣) نشب : علق (٤) غرب : غاب (٥) الوصب : المرض (٦) النصب : التعب

أذكيت يا آسى العيون فؤاد صب مكتئب (١)
وأهجت عندى لوعة لم يطفها الشبم العذب (٢)
كالنّار تحت العشب إن أصغت لريح تلتهب (٣)
أذكرتنى عهد الشّبا ب وماقضيت من الأرب (٤)
فمن الرباع إلى اليفا ع إلى التلاع إلى الكثب (٥)
ومن الخصور إلى النحور إلى الثغور إلى الشنب (٦)
حيث الهوى غضٌّ تهـ ز خطاه أعطاف القضب (٧)
والروض تصقل زهره أيدى الرباب المنسكب (٨)

فغدوت كالبدر المنيـ ر ومن حواليه الشهب
لزمت رؤسهم السكو ن على رقاب تشرئب
وبسحر هاروت خلبـ تهم فهزهم الطرب
وغدوا ولا صوت سوى خفقان أفئدة تجب
كل يميل كأنه شرب المدام وما شرب
لما مرضت ذوت غصو ن الشعر واعتل الأدب
كل العيون فدى ضيا عينيك ان لم يجد طب
هون عليك وكن جميـ ل الصبر فالدنيا تعب

---

(١) أذكى : أضرم، والآسى : الطبيب ، ومكتئب : حزين ، وخص الآسى بطبيب العيون لأن القصيدة خطاب لمن اختص بمعالجة أمراض العيون وهو الدكتور شدودى (٢) الشبم : البارد (٣) العشب : الكلأ اليابس (٤) الأرب : جمع إربة وهى الحاجة (٥) الرباع : جمع ربع وهو الدار ، واليفاع كسحاب التل ، والتلاع : جمع تلعة وهى الأرض المرتفعة ، والكثب جمع كثيب ما انعقد من الرمل (٦) الخصور : جمع خصر وهو وسط الإنسان . والنحور : جمع نحر وهو العنق . والثغور : جمع ثغر وهو الفم . والشنب : رقة فى الأسنان (٧) غض : أى ناعم . أعطاف : جمع عطف وهو الجانب . والقضيب : الغصن (٨) تصقل: أى تجلو صقله إذا جلاه . الرباب : السحاب الأبيض واحده بالهاء . والمنسكب : المنصب سكب الماء : صبه

والسرب من عفر الظبا يبدو وآخر ينسرب (١)
كالسرب من غيد الحمى يرفُلْنَ فى حُلَلٍ قشب (٢)
وبنو الهوى متفيئون ظلال أثل أو غَرَب (٣)
ما منهم إلاَّ فتى عفُّ الضمير أخو أدب (٤)
يلهو ويلعبُ لا يخافُ ظمى ولا يخشى سغب (٥)
إن جاع فالصَّيْدُ الحلا لُ وإن ظمى فإلى الثغب (٦)
لا الدار نازِحَةٌ ولا عنها المشوق بمغترب (٧)

عيش الغريب عن الحمى مر المذاق وان عذب
لكن مثلك لو يجو ب الأرض ليس بمغترب

* * *

كم من لئيم فى النعي م وكم كريم فى نصب
هذا له السعد المقي م وذاك قسمته الوصب
تباً لدهر تشترى فيه المكانة بالذهب
لا العقل يجدى معدماً نفعاً ولا شرف النسب
هيهات ينعم ذو الحجى والدهر دهر ذوى النشب
من كل ختال وضيـ ع النفس لص مغتصب

---

(١) السرب : من الظباء : كالقطيع من الغنم ، والعفر : جمع أعفر وهو من الظباء ما يعلو بياضه حمرة، يبدو: يظهر، وينسرب من انسرب فى جحره إذا دخل (٢) الغيد : جمع غيداء . ويرفلن: يتبخترن ، والقشب : جمع قشيب الجديد والخلق وهو من الأضداد والمراد : الجديد
(٣) بنو الهوى كناية عن العشاق . والأثل والغرب : شجران معروفان (٤) عف : عفيف أخو أدب : ملازم للأدب (٥) السغب : الجوع (٦) الثغب ، ويجمع على ثغبان : النقرة فى الحجر يكون فيها الماء المتخلف من المطر (٧) نازحة : بعيدة

لله أية محنـــة جاءت وأى هنا ذهب[١]
ليحنّ قلبك وليذب وليهم دمعك وليصبّ[٢]
أسفاً على ذاك الزمان الغضّ والمرعى الخصب[٣]
إيهـــا معيد النظم يرـ فل منك فى البُرد القشب[٤]
درّت لبون الفكر منكَ فقام نُطقُكَ يحتلب[٥]
كلت الثناء إلى امرئٍ يثنى عليك مدى الحقب[٦]
وسبقته فى الفضل فاصـــغ لشكر معترف وصب[٧]
بخريدة عربيـــة لم يحكها الخُرُد العُرُب[٨]
وطريفـــة بخطورها يهدا الفؤاد إذا وجب[٩]
بك رحبت منى الحشا فاهنأْ بمنزلك الرحب[١٠]

نهب الأرامل واليتا مى واستعز بما نهب
تلقاه بين ذوى العما ئم والقلانس والجبب
أو فى المساجد راكعاً أو جاثياً تحت الصلب
أو فى الكنيس يقول هل يا رب فوق المال رب
ويلذ ان ذكر النضا ر كمن تحك له الجرب
ويخاف فعل البر خو ف الماء فى داء الكلب
فإذا ذكرت له السخا ء يكاد يقتله الرهب

---

(١) محنه كضربه :اختبره والاسم المحنة (٢) يهمى من همى الدمع إذا سال : ويصب مجزوم يصوب : ينزل (٣) الغض : النضر (٤) البرد القشب : الثوب الجديد ، فالقشب صفة للثوب
(٥) درت الناقة لبنها كثر (٦) الحقب : جمع حقبة وهى مدة من الزمن غير محدودة وقيل مائة عام (٧) وصب : مريض (٨) الخريدة : البكر لم تمس وجمعها خرد ، والعرب : جمع عروب وهى المتحببة إلى بعلها (٩) الطريفة : المستحدثة . ووجب : فعل مصدره الوجيب بمعنى الخفقان (١٠) الرحب : صفة لمنزلك ، والرحب : الفسيح

أنت الجلاء لناظر ... ىّ فما النُّضارُ وما الذَّهب (١)

من كنت أنت صحيبهُ ... عرف الوفاء إذا صحب

أو كنت أنت طبيبه ... أخذ الأمان من الشَّجَبْ (٢)

أطريتنى فوجـدتُ نفسى فى الشكوكِ وفى الريبْ (٣)

يا نفسُ لا يخلب حجاكِ ... أخو الحجى فيما خلبْ (٤)

لا يخدعَنَّكِ شاعرٌ ... الشعر أعذبه الكذب

زين المجالس أنتم ... من حاضرين ومن غيب

حضروا وإن غابوا فذكـ ... ـرهم المحبب لم يغب

لكم على أهل النُّهى ... فضل الربابِ على العشب (٥)

عُذرى لكم أنِّى فتى ... حجبت قريحتَه النكب (٦)

وإذا دعاه مستغيـ ... ـث عضه ناب السغب

ما غاثه إلا متى ... أخنت عليه يد العطب

فى شهر شوال يجيـ ... ـب ندا غريق فى رجب

ألف الدناءة والنـذا ... لة والخيانة والكذب

إفكاً يوالى بالمسيـ ... ـح و بالرسول و بالكتب

وضميره فى صدره ... كالبوم ينعب فى خرَب

هيهات يثنى عزمه ... عن غيه مهما نعب

---

(١) النضار الذهب أو الفضة أو الخالص منهما (٢) الشجب : الهلاك (٣) أطراه : مدحه ، وعطف الريب على الشكوك عطف تفسير . (٤) الحجى : العقل ، وخلب : سلب
(٥) النهى : العقول . والرباب : كسحاب وزناً ومعنى ويخص بالأبيض منه . والعشب : الكلأ والمرعى (٦) حجب : ستر . والنكب : جمع نكبة وهى البلية

لم يستطع شكر الصنيـ ـع وما عليه قد وجب
إن فاتكم نَسَبُ البلا دِ فأنتم فوق النَّسَبْ
لا تُنكِروا ضربات قلبي فالأسى فيه ضرب (١)
تخذ الشَّغَافَ له خِباً ونياط أحشائي طنب (٢)
فإذا شحبتُ فإنَّما بعضي على بعضي شحب (٣)
فقدت عُيوني ضَوْءها فعلى عُيوني أنتحب (٤)
إن أقض من أجل الصَّبا بة أو قضيتُ بلا سبب (٥)
فَخُذُوا الطَّبيبَ بمهجتي فبنانه بدمي خضب (٦)

* * *

يا كاظمي بالشعر تفـ ـضل ذا النضار وذا اللقب
أين الألى عزوا بمـا كنزوه في ماضي الحقب
غابوا وذكرهم وذكـ ـر أولى القرائح لم يغب
كم ذل شعب بالألى جهلوا وعز بمن نجب
من باليراعة أدركوا ما ليس يدرك بالقضب
فهم الألى ثلوا العروش وغادروا الراس الذنب
وعلوا ونالوا صولة يعنو لهـا الجيش اللجب

(١) ضربات القلب : دقاته . والأسى : الحزن (٢) تخذ : اتخذ . والشغاف كسحاب غلاف القلب . والنياط كـكتاب : عرق غليظ نيط به القلب إلى الوتين . وطنب بضمتين جمع طنب بالتحريك كضرب: حبل طويل يشد به سرادق البيت (٣) شحب : تغير من هزال أو جوع أو سفر (٤) الانتحاب : أشد البكاء (٥) أقضى : أموت ، من قضى نحبه إذا مات، (٦) المهجة : دم القلب أو علقة سوداء فيه . وخضب : مختضب

لو أخاص النصح الأساةُ نجا الضَّنِيُّ من العطب (١)

سركيسُ حسبُكَ قبة فضلت بمعناها القبب (٢)

بعكاظ إن شئتَ ادعُها أو فادعُها نادى الطرب (٣)

جمعت بفضلك نخبـــة من قادة الرأى النجب (٤)

ولقد حَوَتْ ما طابَ من غُرر الحديثِ وما عذب

شربوا على ذكر الحبيب وما الحبيبُ سوى الأدب

صهباء من نطف الخيال تروق لا نطف العنب (٥)

فسل الفرنجة عنهم وسل التمدن ما اكتسب

واستنطق البستيـل عمن خط عنه ومن خطب

عضد الشجاع أخو اليرا ع فكان أفتك من ضرب

لكننا فى الشرق فى حال لها الشرق اكتأب

أى امرئ فى الشرق أر كن لليراع ولم يخب

أينـال فخراً بين من فى الجهل غاصوا للركب

---

(١) الأساة : جمع آسى وهو الطبيب . والضنىّ : المريض (٢) سركيس : هو الأديب الكاتب سليم سركيس الذى كانت الحفلة فى منزله . وحسبك كافيك . فضلت : صارت ذات فضل على غيرها أو أفضل من غيرها لاحتوائها على أهل الأدب والفضل (٣) عكاظ : اسم لسوق كانت العرب فى الجاهلية تجتمع فيه وتتناشد أشعارها وتذكر مفاخرها، فشبه الشاعر منزل سركيس بذلك السوق لاحتوائه على الشعراء والأدباء . والنادى : مجلس القوم نهاراً (٤) نخبة : خالصة . وقادة : جمع قائد . والنجب : جمع نجيب . والموصوفون بهذه الأوصاف هم الأدباء الذين كانوا فى تلك الحفلة (٥) الصهباء : الخمرة . ونطف جمع نطفة وهى الماء الصافي قلّ أو كثر . تروق : تعجب من راقه إذا أعجبه

هيهات ما فعلت بلُـ ـبٍّ فعلها ذات الحبب (١)
هل كاتبٌ متفنن كـ(سليم) يبهر إن كتب
لَبِقٌ بتصريف الـكلا م يروض منه ما صعب (٢)
مادا أقول وفى فمى ماءٌ وفى قلبى لهب (٣)
إما نسبتُ القومَ قا لوا رُبَّ دخلٍ فى النسب (٤)
والنَّاسُ لو عقلوا جميـــعهم بنو أُمٍّ وأب (٥)
ما الفضلُ إلاَّ لامرئٍ كسب الحجى فيما كسب (٦)
لا خـــير فى نَسَبٍ إذا لم يعلُ فيـــه المنتسب
حَسْبُ الفتى آدابُهُ حَسَباً إذا ذكر الحسب (٧)
حَقًّا أقول ولم أبل رضى المعانِدُ أم غضب (٨)
إنى صحبتُ رجالَهُمْ وخبرتُهم عند الـكرب (٩)
فوجدتُ عند كبيرهم وصـــغيرهم إما انتسب

والجهل يدفعنـا إلى خلف وبئس المنقلب
فإذا تأخرنا بميـدا ن الرقى فـلا عجب
غلب الغنى أخا الحجى والدهر يخدم من غلب

---

(١) هيهات : بعد . واللب : العقل ، والحبب والحباب الفقاقيع التى تطفو على الماء وذات الحبب كناية عن الخمرة (٢) لبق : حاذق . يروض : يذلل من راض إذا ذلل (٣) إذا كان فى فم الإنسان ماء لا يتمكن من النطق (٤) دخل أى عيب والدخل : العيب فى النسب (٥) عقلوا : نظروا بعقولهم ولم يحكموا أهواءهم (٦) الحجى : العقل (٧) الحسب : الشرف فى الآباء (٨) أبل أبالى : أى لا أعبأ (٩) الكرب : جمع كربة وهى الحزن يأخذ بالنفس

نفساً تَواضَعُ للحضيـــضِ وهمة فوق الشهب (١)

وشـــباة عزم لا يفلُّ شباتها الماضى الذرب (٢)

من كل وَضَّاح الجبيـ ـن أغرّ وَضَّاء الحسب (٣)

إن عَضَّهُ نابُ الأسى تركَ الأحبَّةَ واغترب (٤)

* * *

من لى بمطرورٍ ذرب ينضى فيعصف بالحطب (٥)

يُوحِى له وجـــدانُهُ جُملاً تُزانُ بها الكتب (٦)

أسر القلوبَ بأسرها إما تغزّل أو عتب

وسبى العقول إذا خطى وعلى منـــابرها خطب

وإذا أشار إلى القوا فى أقبلت طوع الطلب

يعطى الرجال بقدرهم ما تستحقُّ من الرُّتب

ويردُّ للمظلوم حَقـ ـاً ضاع عنـد المغتصب

ويريك من نفثاته ما الصل منه إن يسب (٧)

---

(١) تواضع بحذف إحدى التاءين، والحضيض : القرار فى الأرض ، والشهب كـكتب الدرارى

(٢) والشباة : حد كل شىء والفل : الثلم ، والماضى : القاطع ، والذرب : المحـدد

(٣) وضاح صيغة مبالغة من واضح أى ظاهر . والأغر : الأبيض من كل شىء ، ووضاء صيغة مبالغة أيضاً مأخوذ من الوضاءة وهى الحسن والنظافة . والحسب : كرم الآباء (٤) العض : الأخـذ بالأسنان . والناب : خلف الرباعية . والأسى : الحزن . والاغتراب : السفر والتنقل من بلد لأخرى (٥) مطرور : محدد. والذرب : الحاد . ينضى : يسل ، ويعصف من عصفت الريح إذا هبت هبوباً شديداً (٦) يوحى : يلقى إليه (٧) النفثات : ما ينفثه المصدور من فيـه ويكون مخرجه من القلب سواء كان دماً أو غير ذلك . والصل : الصغير من الحيـات وهو أخبثها وأضلها للانسان . ويسب بالسين : ينساب والانسياب للحية كالدبيب للعقرب.

وتراه فى وثبـــانه ما الليثُ منه إن وثب (١)
أنظر إلى الدنيـــا ولا تعجب لمنظرها العجب (٢)
الغربُ من يقظانه كالليثِ أدركَ ما طلب (٣)
والشرق من غفلاته كالطفل يلعب باللهب (٤)
أرأيت كيف العلم أطلع من شموس لم تغب
وأخو الجهالة غافِلٌ وعلى المغفل ما اكتسب (٥)
لله قَوْمٌ أدركُوا سِرَّ الحيـــاة وما يجب
أخذوا بآفاق الظنو ن فلم تضلّ ولم تخب (٦)
دَأَبوا فنـالوا ما اشتهـوا والمجدُ حصَّة من دَأَب (٧)
وسَعَـوْا فأثمـر سَعيهم والعـز سلمـه التعب
لا تشبهـوا هـذا بـذا من غير ما شبه لصب (٨)
شـتان بين العـود يـذ كوفى المجالس والكرب (٩)
هـذا مهـان فى الطَّر يق وذا حصان فى العيب (١٠)
قـوم شُموس عُـلومهم بـين الورى لا تحتجب

---

(١) الليث : الأسد . والوثب : القفز (٢) العجب العجيب
(٣) الغرض من الغرب : أوربا (٤) الشرق : الغرض أهل الشرق (٥) إذا كان الشيء خيراً للانسان قيل له ما كسب وإن كان شراً قيل عليه ما اكتسب فكسب للخير واكتسب للشر على نسق قوله تعالى « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » (٦) آفاق : جمع أفق وهو ما ظهر من نواحى الفلك (٧) دأب واظب وثابر وتعب (٨) لصب الجلد باللحم كفرح لصق هزالاً (٩) الكرب بفتحتين السعف الغلاظ العراض (١٠) العيب جمع عيبة وهى الحقيبة .

ملكوا الظنون وحلقوا فوق الظنون إلى الأرب (١)

ركبوا الهواء ومهّدوا طرق الهواء لمن ركب (٢)

زجموا الطّيور وغادروا صعد الطّيور إلى صبب (٣)

وتناوَلوا هامَ السما ـ ء ومزّقوا شملَ السحب ـ (٤)

جابوا البلاد وحوّلوا جدْبَ البلاد إلى خصب (٥)

باتوا وبات وليدهم في المهد يهزأُ بالنوب (٦)

فمن المهاد إلى النجا د إلى الطّراد إلى الغلب (٧)

ومن الأديم إلى الغيو م إلى النجوم إلى القطب (٨)

أكذا الرجال وهكذا شِيَمُ الرجال إذا تهب (٩)

أسد كأسد الغر ب إلا أنها أبداً تشُبّ (١٠)

هذا يجد وذاك تح رس عينه الخيس الأشب (١١)

لا تأخُذنك مرية سل عنهم الدنيا تُجب (١٢)

كسبوا الفخار وخلفوا غرر المعالى للعقب (١٣)

---

(١) حلق الطائر إذا ارتفع والأرب جمع إربة الحاجات (٢) يشير بذلك إلى فن الطيران الذى تقدم تقدما مدهشا (٣) زجموا الطيور ضايقوها وغادروا تركوا والصعد الارتفاع والصعب الهبوط (٤) الهام والهامة رأس كل شى وقد يعبر عن أعلى الشىء بالهامة مجازا (٥) جاب الأرض يجوبها إذا قطعها والجدب ضد الخصب (٦) النوب جمع نائبة (٧) المهاد جمع مهد الموضع يهىء للصبى والنجاد حمائل السيف والطراد مطاردة الفارسين وحمل بعضهم على بعضهم والغلب بالتحريك القهر

(٨) الأديم وجه الأرض والقطب المركز الذى يدور عليه الشىء والغرض الانتقال والتحول .

(٩) الشيم الطباع وتهب تثور (١٠) تشب تقفز (١١) الخيس بيت الأسد والأشب الشجر الملتف (١٢) المرية الشك (١٣) الغرر جمع أغر وهو الأبيض من كل شىء والعقب ما يعقبه الإنسان من الولد .

صدق المجد فليس فى الـ ـدنيا محال أو عجب (١)
يا مغضى الأجفان قم للأمر وانظر من كثب (٢)
واحم الحقيقة من يَدٍ غارَت عليها تستلب (٣)
هب أن طرفك فاقد هل نور قلبك قد ذهب (٤)
وشباة عزمك قد نبت أم بحر فكرك قد نضب (٥)
هيهات لا يبلى اعتزا مك ما بجسمك من وَصَب (٦)
من كان مثلك لم يخف عنت الخطوب ولم يهب (٧)
فتسلّ بالأبطال واغضض عن أحاديث الهيب (٨)
وافضض عياب الطيـ ـب واملأ هابذكرهم الرطب (٩)
هذا هو السحر الحلا لُ فمل بسمعك واحتقب (١٠)

---

(١) المجد الذى يجد فى الأمور ضد الكسلان وهذا لا يرى شيئا مستحيلا أو عجيبا
(٢) الإغضاء خفض البصر والكثب القرب (٣) الحقيقة ما يحق على الشخص أن يحميه
(٤) الطرف العين لا يجمع ولا يثنى لأنه فى الأصل مصدر أو اسم للحدقة أو المقلة
(٥) وشباة عزمك حد عزمك نبا السيف عن الضريبة كل ونضب جف (٦) يبلى : يخلق والوصب المرض (٧) العنت الهلاك (٨) الهيب الجبناء الذين يتهيبون الأمور
(٩) العياب : جمع عيبة وهى الحقيبة (١٠) احتقبه واستحقبه : ادخره .

قربوا للمحب ذاك المزارا

ناشدوا الدار جهرة وسرارا ... ان أردتم عن الحمى استفسارا
اسألوها واستخبروا فعساها ... تستطيع الجواب والإختبارا
واقبلوا غورها إذا هى أبدت ... بعد لأى عن الجواب اعتذارا
لم تدع عندها يد الظلم إلا ... شجناً وامقا وقلباً مطارا
وفماً كَمّه الذهـول فأوما ... من بعيد إلى المنى وأشارا
لهف نفسى على ديار كستها ... قُشب الوجد والأسى اطمارا
سادرتها يد الشقاء فباءت ... آهلات الجهات منهـا قفارا
وتعاوت بها الذئاب فـكل ... دائبٌ أن يصيب منهـا وجارا
نوب لا تغبهـا وخطوب ... لا تعدّى تلك الرباع ازديارا
أينما جلجلت وأنىّ أناخت ... هدمت كاهلاً وهدت فقارا
ظلم الدار من أباحوا حماها ... ليد الظلم واستباحوا الذمارا
وإذا ما علت عقيرة شاك ... ألقمـوه أسـنة وشـفارا
وإذا ما رأوا لنـا حسنات ... عدّها ظالموا الورى أوزارا
ورؤا الحق لا يلين لبطـل ... فأروه الأنياب والأظفارا

***

يادیار الأحباب لا بنت يوما ... من محب ولا برحت ديارا
إن لى فى رباك مغدىً أنيقاً ... ومراحاً غضّ الحواشى نضارا
إن لى فى رباك اخوان صدق ... نجباً فى اخائهم لا يمارى
إذ تراهم لدى الضحى عظماءً ... قد أهابوا وفى الدجى سمّارا
أعرقوا فى العلى وطابوا فروعاً ... إذ زكوا محتداً ونجارا
وثبوا يدفعون غول الليالى ... أو يعيدوا كسر القلوب جبارا
ويوالون نصرة الحق حتى ... يرجع الحق غالباً قهارا
شربوا وانتشوا من اللاءِ تبقى ... أبداً فى الرؤس منها خمارا
حبذا نشوة تميل بقوم ... عاقروا ذكر مجدهم لا العقارا

***

يا أحبای والمزار بعيد ... قربوا للمحب ذاك المزارا
قربوا لى العراق والشام أفدى ... وطناً جار أهله وجوارا
هل لكم بالنصير علم فانى ... قد جهلت الأعوان والأنصارا
خبرونى عنهم إذا ما قرأتم ... ريباً تقرؤن أم أخبارا
حلم طاف بى فقلت حبيب ... زارنى ريّق المنا حين زارا
وإذا بالحبيب كان عدواً ... وإذا بالرباح كان خسارا
كل صبح نرى وكل مساء ... عظةً تبعث الهدى واعتبارا
غير أن العقول فى ظلمات ... حالكات لا تبصر الأنوارا
لم يخنا الأمين لكن ضللنا ... فأتمنا خئونها الغدرا
ووعود اللئآم كالماء تصـ ... ـليه شواظاً فيستحيل بخارا

لا تبيد الأزياء خلة نفس

أترى الأفضلين والأبدالا ... وجدوا للشكوك فيك مجالا[1]
أكذا ينبذ التقاليد حر ... ويفك القيود والاغلالا
أحرجتك الازرار فهى عقال ... وطليق الأفكار يأبى العقالا
ورأيت التقريظ والنقد لغوا ... حين أطلقت فكرك الجوالا
وكذا من رمى الوساوس عنه ... بات اهنا عيشا وأنعم بالا
كنت بالأمس لست تعرف ما الذيل ... فأصبحت تسحب الأذيالا
فأرح جسمك واختر لـ ... ـك فى كل لحظة سربالا
لا تبيد الأزياء خلة نفس ... عرفت كيف تستجيد الخلالا
لو تفننت كل آن فنونا ... وتشكلت فى الورى أشكالا
لم تزد عندنا جمالا وحسنا ... أنت أرقى حسنا وأعلى جمالا
لك خلق زاك شذاه وخلق ... ترك الصبح خلفه وتلالا
كنسيم الرياض هب عليلا ... وكبدر السماء تم كمالا

---

(١) ذكر سليم سركيس فى مجلته « مجلة سركيس » بالصحيفة ٢٠٨ فى سنتها الخامسة لما لبست الجبة والقفطان. لقينى الأستاذ الكاظمى فى إدارة المؤيد وقد جاء ليزور صاحب الجريدة وكان غائبا فانتظره فى غرفتى وجرى ذكر ملابس العربية فاقترحت عليه أن يقول فيها شيئا فأخذ يملى على وأنا أكتب ..

كن كما شئت واسق هذى العطاشى من معانيك كى تعود نهالا
وعلينا أدر كؤسا من السلـ ـوان تنس المعاقر الجربالا
جولة فى الطروس تبعث جيلا يتخطى بحسنـه الأجيـالا
من يراع لا يتركن مجالا لسيوف الظنون إما جالا
كم سكرنا وما شربنا شمولا وعشقنا وما رأينا غزالا
بأسانيد تملأ القلب أنسا وأحاديث تصرع البلبالا
خير ما يعقد الرجاء عليـه ويهزّ العروش والأقيـالا
قلم يجبر الكسير وفكر يكسر المشرفى والعسالا
قد شأوت الكتاب إلا عليا[1] وملكت الصعاب إلا المالا
أحسن الظن لا تسؤك الليالى رب حال للمرء يعقب حالا
وأقم فالقصور سوف تحييك وتحيى بفضلك الآمالا

***

ندك المغربى[2] أمثل ند لك إما ضربتما الأمثالا
قد تجاورتما بأعظم صرح مثلما جاور الهلال الهلالا
وتجمعتما لأشرف قصد لا تفرقتما السنين الطوالا
قد كما أنتما اللذان يجد سميا ذروة الكمال وطالا
أخوا فطنة وبدرا ذكاء وحصيفا رأى إذا الرأى قالا

---

(١) على يوسف صاحب المؤيد .
(٢) « وكان الشيخ عبد القادر المغربى بجانبى يصغى لما يلقية الأستاذ الكاظمى ارتجالا فطلب أن يذكره فقال . . . » . المصدر نفسه .

وربيبا فضل وربا بيان وقريعا خطب إذا الخطب هالا
فإذا ما البروق تقطع ميلا قطع الفكر منكما أميالا
أريانى السحر الحلال بيانا أريانى البيان سحرا حلالا
وابريا للعلا يراعا يراعا وانضوا فى الورى مقالا مقالا
فعسى يقتل الجهالة علم وعسى يصرع الرشاد الضلالا

***

ايه سركيس ما نظرناك الا ورأيناك للكمال مثالا
حبذا أنت هازلا ومجدا حبذا أنت قائلاً فعّالا
حبذا أنت حافظ الود تسدى «حافظ» الشعر مايسود النوالا[1]
وفِّه حقه وحق القوافى احتفاء بقدره واحتفالا

(١) «اشارة إلى مشروع مجلة سركيس للاحتفال يا كرام شاعر النيل حافظ ابراهيم» المصدر نفسه

أدركت يا بدر قصدك

وكتب إلى الشاعر أحمد شوقى بك[1] .

أدركت يا بدر قصدك ... وشدت فى الأفق مجدك
أصبحت للحسن رباً ... وأصبح الحسن عبدك
وما تخطاك صاب ... عدّ الجمال وعدّك
اشممت وردك حتى ... شممت فى الروض وردك
قدت القريض فأضحت ... قلوب قحطان جندك
وقد تنبأت لمّا ... هزت يد الشعر مهدك
غذاك رب بلاد ... غذا أباك وجدك
فذقت شعرك شهداً ... وذاق شعرك شهدك
ورحت تكساه برداً ... وراح تكسوه بردك
وجزت حد ظنونى ... وما تجاوزت حدك
وعاد يا شاعر النيل ... شاعر النيل ندك

---

(١) لم نجد من هذه القصيدة غير هذه الأبيات الناقصة ونعتقد أن الفقيد كان يود إتمامها ثم عدل عن ذلك لأمر ما . وقد وجدنا قصاصة كتبت عليها الأبيات الأولى بالصورة التالية :

أدركت أحمد قصدك ... وما تداركت جهدك
وجزت حد ظنونى ... وما تجاوزت حدك

لقـــد تبناك لـكن أقصى أباك وجـــدك
أمر الفصـــاحة أبقى صك الامارة عندك
لم يحـــذ حذوك شاء قلا الجمـــال وودك
ولم يصل لك وصـلاً من صد فى الحب صدك
من شـاء أخـذك لفظاً إلى معـــانيك ردك
ولم يسـأك خبـير إن راح الحسن نقـدك
مـــددته بلآلى البحور حين استمدك

غواه الدهر فاستكبر

وقال فى بعض الأغراض وقد كتبها إلى صديق[١] .

أيا من وجهه كالبدر أو الشمس أو أنور
ويا من قدره يهزأ بالعسال أن يخطر
ويا من ريقه العذب بكل مدامة يسخر
ويا من طيب رياه فتيت المسك أو أعطر
فلو أنا بذلنا الرو ح فى حبك لم نخسر
فآيات سناك اليوم لا تحصى ولا تحصر
أعرنى فهمك الوقا د كى أفقه ما يسطر
وعلمنى ضروب القول كى أنظم أو أنثر
وأرشدنى إلى السكر إذا ما شئت أن أسكر
فمن جمرة ذاك الخد كل مدامة تعصر
ومن صارم ذاك اللحظ كل مهند يشهر
بنفسى أيها الشادن والربرب والجؤذر
تعالى الله ما صورك الله كمن صور
فأنت الطاهر الذيل ومن ماء السما أطهر

---

(١) أحمد شوقى بك : يراجع مقال الأستاذ الشيخ المغربى المنشور فى هذه المجموعة

فلهفى لك من هـاد غواه الدهر فاستـكبر
واواه لمن أسلم ثم ارتد فاستنصر
لقـد كنت أرجيـه ليوم فى الورى يذكر
وكنت اخال هذا العضـ ـب يوم الضرب لا يفتر
وكنت اخال زيد الخيل فى الغايات لا يعثر
إذا بالسابق الـكرار ما ان كر حتى فر
وبالبـاتر قد عاد ولم يغـد الطلى أبتر
ألست الشاعر الفـذ وقد أصبحت لا تشعر
ألا يا أيهـا المغرور بالأوشاب لا تغـترّ
لئن لم تنتـه اليوم وتخشـانى كما تؤمر
تجـد فى قـلمى الأدهم ما فى الذابل الأسمر
أطعـنى تحسه حلواً أو اعص تشربنه مر
وراقب صـولة الليث إذا همهم أو زمجر
فواعجـباً من المعروف للفحشاء والمنـكر
فتب واسـتغفر الله فإن الله قد يغفر

تحية الدستور

وقال عند إعلان الدستور العثمانى تحية له :

لواك على كل المنـازل خافق ... وذكرك فى كل المحافل عابق

بكل فم تحلو وفى كل خاطر ... فلفظك سـيال ومعناك رائق

صبونا لمرآك البديع كما صـبا ... لمعشوقه عنـد الزيارة عاشق

ولما تبن إلّا وهـذا مصافح ... ترنحه البشرى وهـذا معانق

طلعت طلوع الفجر ما فيك ريبة ... وجئت كما جاء الربيع المغادق (١)

وعدت على الأيام يا خير عائد ... كما عاد يسقى عاطش الروض وادق (٢)

وأصبحت فى هـذا الزمان وأهله ... كما زان جيدا عقده المتناسق

أثرت لطلاب العلا سـبل العلا ... كما شق أحشاء الدياجير بارق

فأضحت بك الآمال بعد قطوبها ... كما ضحكت غب الرباب الحدائق

سناك علينا واضح البشر ساطع ... وغرسك فينا ثامر الفرع وارق

إذا قابلتك الريح هزت لنشرها ... خواطر أو مالت عليهـا المناشق

تجليت والأرجاء عيد كأنهـا ... عقود لآل نسقتها السلائق

---

(١) المغادق : كثير القطر (٢) الوادق : المطر المرتقب بلهفة زائدة .

شموس نهار أم وجوه سوافر ... وأغصان بانٍ أم قدود رواشق
لقد حسدت ميل القدود غصونه ... كما حسدت ورد الخدود الشقائق
هو العيد أحيوا ليله ونهاره ... وحيوه بالبشر الذى هو لائق
وما مثل هذا العيد عيد تجلة ... جميع الورى أعداؤه والأصادق
أيوم الهنا لا راعنا بك رائع ... ولا طرقتك المزعجات الطوارق
رواقك ممدود وظلك وارف ... وروضك معقول ومجدك باشق
أيوم الهنا كم من يد لك عندنا ... تقر بمرآها العيون الروائق
علا فيك صوت الحق بعد خفوته ... وبات يرينا الخصم كيف ينافق
إذا نام مخلوق عن الحق أو سها ... فلاحق رب لا ينام وخالق
رقيناك دهرا والقلوب نوازع ... إليك وأسراب الدموع دوافق
صبرنا قتلنا فيك صفقة رابح ... ولا غبن بعد اليوم إن قيل صافقوا
فكم ضاق بالأحرار قبلك منزل ... فعدن وساعا فيك تلك المضايق
وكم من ظلام جره الظلم فانجلى ... وعاد سنا ذاك الظلام المطابق
تجاوبت الأقلام من كل جانب ... وقد أظهرت ما أبطنته المهارق[1]
إذا بأمور يبهت النطق عندها ... وسود فعال هُنَّ لكن نواطق
أمور إذا مرت على السمع مجها ... وقاء لمرآها المذمم رامق
يروح بها الوغد اللئيم كأنه ... من الكبر رب طوعه الأمر رازق
ويغدو بها الحر الكريم كأنه ... من الضيم عبد عق مولاه آبق
إذا رن جنح الليل فالقلب واجب ... أو افتر ثغر الصبح فالدمع دافق

(١) المهارق : الصحائف .

فكم أرغمت فيها أنوف وألجمت حلوق بشكوى المستبد شوارق
وماتت نفوس قبل حين مماتها وشابت لها قبل المشيب مفارق
تولت وبادت دولة الظلم وانمحت فلا رجعت تلك الأمور العلائق
رعى الله يوماً أنقذتنا رجاله ونحن حيارى فى الهموم غوارق
وروت صدانا ديمة لم تكن لنا ببارقة لولا السيوف البوارق
ظبى دونها تنبو الظبى وسوابق كبت دون مجراها العتاق السوابق
يباهى بها محمود ظمأى صواهلا فتصدر ريا بالدماء بواشق
ففى برده ضخم الدسيعة أروع وفى كفه ماضى المضارب بارق
وتحت الخفا أيد تدير فقائد يروض مصاعيب الكماة وسائق
وكلهم طلاب مجد تعاونوا على نيله والكون مصغ ورامق
بنى المجد ان المجد رد بهاءه وعاوده ذاك الشباب الغرانق[1]
وإن الثنايا الموصدات تفتحت على الرغم من أبوا بهن المغالق
فلم يبق فى وجه المطالب حاجب ولم يبق عن نيل المآرب عائق
وهذا سبيل المكرمات فجاهدوا وهذى ميادين الفخار فسابقوا
لئن تعجلوا فالأمر يعجل وإن تنوا لأمر فقد يمشى الهونيا الغراتق[2]
ولا تخطبوا إلا المعالى فكلها عقائل غال مهرها وعواتق
وليست تفيد المرء كل علاقة إذا لم تكن بالمعليات العلائق
إذا ماسلكتم فاسبروا موضع الخطا فطرق المعالى كلهن مزالق

---

(١) الغرانق : طائر مائى يشبه الكركى ويطلق على الشاب الأبيض الجميل
(٢) يقال : اغترق الفرس الخيل إذا دخل فيها ثم سبقها .

وإما ملكتم فاحذروا الدهر واتقوا تصاريفه فالدهر كاس وعارق
ولا تقفوا عند التباهى فتفشلوا وجدوا فلم يفن الجدود التشادق
ألا خالفوا أسرى التقاليد واطلقوا قرائحكم واستخلصوا ما يوافق

***

زمان الأسى لا ساف ريحك ناشق ولا ذاق بعد اليوم طعمك ذائق
ذهبت ذميما والرداء ملوث وكنت حميداً لو تولاك حاذق
فمالك ما بين المقيمين آسف ولا لك ما بين المحبين وامق
وهل لك ذكر شائق فى قلوبنا إذا قيل ذكر للذواهب شائق
لقد فاتك المجد التليد وفُتَّهُ فما أنت بعد العز بالعز لاحق
رثيناك لا وجدا عليك ولا جوى ولا دمع عين عند ذكرك باسق
ولكن فينا كل نفس رحيمة تطير بها يوم الفخار المعارق
وتشفق إن لاقت عزيزاً أذلّه عدو مراء أو صديق محاذق
إذا ما ذكرنا عهد « يَلدز » مثلت خطوب لآمال الكرام سواحق
خطوب تعانى أو تعاين ظلمها قلوب عوان أو عيون طلائق
طغى الظلم حتى صار فى كل بقعة له علم يغشى النواظر خافق
ولما علا السيل الزبى وتزافرت كهول وضجت جلة ودرادق[1]
تنكرت الغبرا فصاحت صوائح مغاربها استَكَّتْ لها والمشارق
إذا هو صوت الحق يعلو فقائل أصوت سلانيك دوى أم صواعق
تجلى فقال القصر ذاك تخرص ووهم وقال الدهر تلك حقائق

(١) هو الصغير من كل شىء

ولما تبدى للعيان تيقنوا بأن بروق المصلحين صوادق
إذا ما دعوا للحق صمّت ولجلجت مسامع أخزاها الهدى ومناطق
أجابوا نداء الشعب رغم أنوفهم وقالوا سلاماً والصدور حوانق
وقالوا يمين المالكين موثق فقلت وهل للناكثين مواثق
اراشوا سهاماً للمروق فمزقت نحورهم تلك السهام المواوق
ولولا حنوث المالكين وغدرهم لما نصبت للمجرمين المشانق

* * *

تقوض عنا من ضلال سرادق ومد علينا من رشاد سرادق
فيانعم ما وافى ويا بئس ما مضى كذا يعلو صدّيق ويسفل ماذق
ولما أراد الله سحق غروره غزاه من الجيش المظفر ساحق
فما حجبت أسوار يلدز شيخها ولا عصمت رب السرير الخنادق
ولم تُجْدِه أعوانه وغواته ولم تُغْنه تلك الحصون الشواهق
تولى وأقمار السعود طوالع وولى وغربان النحوس نواعق
ولو أنه أعطى الخلافة حقها لما أقصدته المصميات الرواشق
أربّ فروق ما عهدتك صامتا كأن لم تكن ان فهت يوجم ناطق
حسبتَ زمان السوء يخلد عمره فيمرح عات أو يتيه منافق
وفاتك أن الدهر يعطى وينثنى فيسلب والمغرور بالدهر واثق
ألا قاتل الله المطامعَ كم هوى بها من عل شيخ وضل مراهق
لك الله يا تموز كم لك منة وكم لك فضل فى البرية سابق

تلاقت بك الأعياد فى كل أمة ... وسالت ببشراها الربى والأبارق
ففى الشرق أعياد وفى الغرب مثلها ... تصلى لها أشياخها والبطارق
يشير إليها الشرق ـ والغرب معجب ـ ... وتعنو لها تيجانها والمناطق
« أتموز » تم الفخر عندك وانتهى ... فكل ثناء ليس يعدوك صادق
كأنك ما بين الشهور يتيمة ... تزان بها أجيادها والمفارق
خليق بأن تدعى أبا العدل فى الورى ... فإنك بين العدل والظلم فارق
إذا عُدَّتِ الأعياد كنت كبيرَها ... وإن ذكرت يوماً فذكرك فائق
وما عدت يا تموز حتى تطايرت ... رؤس وطاحت أرجل ومرافق
كأن أفاويق الدماء جداول ... تسيل وأشلاء الكماة جواسق
فإقدام محمود وهمةُ أنور ... وعزمُ « نيازى » والنصول الذوالق
وقتك الألى هبوا لمحقك ليلة ... فكان لهم من جانب الله ماحق
وكاد بناء المجد ينهار فانبرت ... أسود لِهامات الأسود فوالق
أسود وغى قد نسقتها حمية ... فقيل لها بين الأنام الفيالق
بها تنطوى الجلى بها ينمحى الأسى ... بها تؤمن الدنيا وتحمى الحقائق
إذا نزع التاجَ المخالفُ مرغما ... فقد لبس التاجَ المليكُ الموافق
محمد جردها عزائم لا تهى ... إذا دهمتها فى الزمان العوائق
عليك سلام الله ما مر غارب ... على صفحات القصر أوذر شارق

وقال مقرظاً الجزء الثانى من ديوان الأديب مصطفى صادق الرافعى :

أدرى المفوه مصطفى صفرت وطاب بغيضه
أن الحوادث أقعدتـ نى عن أداء فروضه
ليصخ لعذر أخى ضنى قلق الضمير جريضه
ولقد أرى والعام مكـ ـسوّ العرى بنحوضه
أدباً يفيض على الورى لله در مفيضه
يجلو عرائس خاطر كالبرق عند وميضه
و بنات فكر لم يصلها الـ فكر عند وفيضه
فكر إذا ما الأمر اشـ ـكل حل عقد غموضه
هو من علمت فكل فضـ ـل نابت بأروضه
فإذا انتمى الأدب الصرا ح له انتمى لمحيضه
قد حل عقدة كل صعـ ـب قبل شد عروضه
من بعد ما سكن الرجا ء أنابه بنبوضه
يا من تنزى للعلى كالشبل بعد ربوضه
عرضت نفسك للتخيل قبل حين عروضه
واخترت أشرف مذهب فسلكت غير دحوضه
فملكت أرسنة النظام ورضت صعب عروضه
وظلت تلعب بعدها بجموحه ومروضه
وكذا إذا نهض المجد يراح بعد نهوضه
وطدتَ رُكناً قد أمنّا الدهر من تقويضه

وحلفت لا تبقى على ... داهى الكلام حريضه
صل كيف شئت بسمره ... بين الملا وبيضه
ما الرمح فى تطعانه ... والسيف فى تفريضه
بأشد فتكاً من نظيم ... لك فى فؤاد رفيضه
فشبا لسانك لاشبا ... عضب الفرار نحيضه
ويراع فكرك لا السنا ... ن يهاب عند نفوضه
الشعر فوّضَ أمره ... ونحاك فى تفويضه
وعليك أسبغ برده ... لتجر ذيل رحيضه
فقبضت من مبسوطه ... وبسطت من مقبوضه
وتركته من بعدما ... بالغت فى تأريضه
يختال بين وريقه ... متبختراً وغضيضه
فإذا رآه النور غض ... النور من إغريضه
أمصوراً ما فى الوجو ... د بقضه وقضيضه
إن الذى أعطاك أعطى ... القدح كف مفيضه
حلق بقادمة الجناح ... وطر بغير مهيضه
أشرقت فوق سمائه ... وسواك دون حضيضه
ديوان شعرك حير الشـ ... ـعراء فى تقريضه
ماذا يقول مقرضو ... ه وأنت رب قريضه
ما الروض روّضه الربيع ... وزاد فى ترويضه
وافتضّ غادى القطر عذ ... رة زهره بغضيضه

أضحت تغازله ذكا فافتر ثغر أريضه
وجلته ما شطة الصبا فعلا شذا إنقيضه
بألذ من مختومه نشراً ومن مفضوضه
وأجل من مرفوعه وقفاً ومن مخفوضه
هذا البيان فقل لمن قد ظل دون نقيضه
قد فاتك القول الصحيح فملت نحو مريضه
صمتاً فذا أسد الكلا م فما طنين بعوضه

رُب عطفٍ مخفّفٍ من حمولى (١)

رب عطفٍ مخفف من حمولى ... ومنيرٍ إلى الأمانى سبيلى
بل من غلة الشجى فقالوا ... أكذا يذهب الروا بالغليل
وشفى علتى فقلت أياد ... جاء إحسانها ببرء العليل
دعمت كاهلى وقد كاد يوهيـ ... ـه احتمالى بواهض المحمول
وإذا كان صاحب الأمر عوناً ... فثقيل الأعباء غير ثقيل
أنطقتنى تلك الأيادى طويلًا ... بعد عهد من السكوت طويل
كيف لا أشكر القليل كثيراً ... وقليل الأمير غير قليل
إن هذا الوسمى خير بشير ... لولى من العهاد هطول
وجزيل الإحسان أخلق بالشكـ ... ـر تباعاً وبالثناء الجزيل
والصنيع الجميل إمّا توالى ... زاد فى منة الصنيع الجميل
وكذاك اليراع إمّا تسامى ... خط بين الطروس من سلسبيل
شرف الآملَ الفخورَ رقيمٌ ... شرفته أنامل المأمول
قمت مستقبلًا به من شمالٍ ... حامل أطيب الشذى وشمول
وتساءلت ثم قلت لنفسى ... هكذا تفعل الطلّا بالعقول
قد تلونا آياته فكأنا ... قد تلونا الآيات فى التنزيل

---

(١) رفعها الناظم لجلالة الملك (الأمير) على بن الحسين .

أيها الدهر والنصول تباع ... كفَّ عنا مؤللات النصول
كلما قلت قد تقدم قومى ... بك ميلاً تأخروا ألف ميل
أفتنجو من الحبائل مالم ... يصغ قومى لنصح كل نبيل
فات أهل الحجى وقد كان شرطاً ... لبلوغ المنى اجتناب الجهول
قد جهلنا ولو علمنا اتقينا ... خطر الاندفاع فى المجهول
ودعونا للرأى شعباً فشعباً ... وقبيلاً يجىء بعد قبيل
كل ذى مرهف من العزم ماض ... فلَّ غرب المهند المصقول
وأخو الحزم يملك الأمر طوراً ... بصرير وتارة بصليل

* * *

لست أشكو إلا الألى عاهدونا ... ثم خانوا العهود بعد قليل
نهمة فى العدى تعد قرانا ... من مباح المشروب والمأكول
لم يجىء أرضنا المعادون إلا ... ذهبوا بالسمين والمهزول
أتقنوا الكيد والخداع ونالوا ... حيث جاروا شهادة من عدول
كل ضرب لغشنا جربوه ... من ضروب التغرير والتضليل
يشتكى الظالمون للسيف منا ... إن شكونا ظلاً منا للجليل
وعجيب من ظالم مستبدٍ ... قد شآنا بين الورى بالعويل
من رأى والعجيب فى الناس كثر ... قاتلاً يشتكى من المقتول

* * *

ليس عدلاً إسداؤنا لظبانا ... مغمدات فضائل المسلول
ليس بين الأنام أضيع ممن ... ضيع العمر بين قال وقيل

ضيع العمر قانعاً بالتمنى دون نيل المنى وبالتعليل
يترقى إلى الأمانى فيلقى حائلاً بينه وبين الوصول
عل هـذا الزمان يسمح يوماً ويعود البخيل غير بخيل
وعسى أنجم البشائر تبـدو طالعاتٍ من بعـد طول أفول
تحمل الذكر والأحاديث عنا فى لسان التكبير والتهليل

***

وهب الشوق قلب هذا المغنى لعلىّ وجسمه للنحول
لركاب الأمير يحمل قلبى أخلص الشوق فى الضحى والأصيل
أنعمَ المخلصين من كان منهم تحت ظل من الركاب ظليل
يتملّى فى ليله بسنا البـد ر ويقضى نهاره فى المثول
هاكه وافر الجوى لارتحال أهّلتـه أشواقه وحلول
فإذا ما مضى مضى غير وانٍ وإذا عاد عاد غير عجول
قد عنا أيها الأمير المفـدى لك من فاضل ومن مفضول
حبـذا أنت فوق بيض جمال عاليات الذرى ودهم خيول
قد تسنمتها فكان ذلولًا لك منها ما كان غير ذلول
تقطع البيد فوق تلك المطايا بين رهوٍ من سيرها وذميل
قاصـداً أطهر البقاع اللواتى ليس منها فى النجم غير فصول
غير بدع من ابن طه إذا ما جر فوق الأنوف فضل ذيول
فهو للفضـل أين كان مقول وأنا من يقول بالتفضيل
جمع الله فى رداء علىّ هيبة الأسـد واعتزام الشبول

من عزاه الورى فكان أبوه لعليّ وأمه للبتول
نسب ينتهى لخير امام فى انتساب الهدى وخير رسول
كان خيراً للناس من كان فرعاً ضارباً عرقه بخير الأصول
كيف لا يملك القلوب أمير ملكه فى القلوب غير ضئيل
ومقام الأمير فى كل بيت من بيوت العلا مقام الخليل
حسبك اليوم للعظيمين فخراً شرفٍ باذخٍ ومجدٍ أثيل
أبداً أنت غرة تتبدى فى جبين الزمان فى كل جيل
لست أبغى على الفرائض أجراً عند رب النوال غير القبول

اقتصد يا فؤاد ...

أىّ ظامٍ عاف المعين الزلالا ... ومشوق سلا الحمى والغزالا

أنا ذاك الظامى المشوق فلا يع ... جب راءٍ إذا رآه خيالا

أورثته هامة النفس داءً ... حار فى كنهه الأساة عضالا

كلما زاده الطبيب علاجاً ... زاده طبّه ضنًى واعتلالا

ملّه صحبه الكرام فصدّوا ... اقتل الصدّ ما يكون ملالا

صدق الحب ماسلوت ولكن ... حال بينى و بينهم ما حالا

اقتصد يافؤاد إن تُقتَ يوماً ... ربّ شوق طغى فعاد خبالا

لست أرجو وصالهم لى ولكن ... هالنى من صدودهم ما هالا

و بنفسى أيام أنسٍ تولّت ... وليالٍ بأهلها تتلالا

ما تولّت تلك المسرّات إلاّ ... وغدت بعدها الشجون توالى

لا تلم عبرتى إذا هى سالت ... إن وادى الهموم بالقلب سالا

عبثاً أيها المحب تنادى ... ليس فى الدار من يرد سؤالا

ذهبوا حيث لا يرجَى لهم عو ... د وأمست ديارهم اطلالا

أقبل الدهر ثم أدبر عنهم ... فأساء الإدبار والاقبالا

آه لو بلغ الأمانى آه ... واستردَّ الربوع والحلاّلا

وجريح هانت عليه الرزايا ... لو أصابت تلك الجروح اندمالا

أبداً يوصل الدموع و يطوى حرقات تقطع الأوصالا
ليس يدرى الأحباب إذ هجروه كان صدًّا هجرانهم أم دلالا
هجروه وواصلته أناسٌ كان هجرانهم لديه وصالا
ابعدوا ـ لا قربتهم من أناس امحل القلب منهم إمحالا
ربّ قوم جاروا عليك مع الدهـ ـر وجرّوا الخطوب والأهوالا
أظهروا الودّ كلما أبصروا منـ ـك مراحاً وأضمروا الأدغالا
فإذا جئتهم لتخفيف حمـل قوس الظهر أثقلوا الأحمالا
خلتهم لى ورداً نميراً ولما خضت فيهم وجدتهم أوحالا
أيُّهـا الريح حاولى أن تحلّى بندائى دار العلى المحلالا
علّ من فى «فروق» يسمع صوتى فألاقى لعلّتى إبـــلالا
صاحبَ النجم والهلال تقبّل عنّى النجم شافعاً والهلالا
وأقل عثرة المسىء وهبهـا أبد الدهر عثرة لن تقالا
لا تسمنى تجلداً بعد يوم نال منى فيه الأسى ما نالا
خان صبرى معى فتعساً لصبر كنت أرجو بقاءه لى فزالا

يا معرضاً عن صبه

دنف تخوّن جسمه ... برح الضنى بمضيضه
يحتال ان يبرا وما ... من حيلة لنفوضه
حتّى ممرّضه جفا ... هُ وملّ من تمريضه
أنا ذلك الدنف الذى ... سغب الضنى لنحوضه
ورمى به من شاهق ... زلق الطريق دحوضه
فهوى يرضرضه الهوى ... من ذا رأى كرضوضه
ما بين جنبيه فؤا ... د شجى الفؤاد جريضه
قعد الزمان به وحا ... ل الدهر دون نهوضه
ولربما وثب المجه ... جه[1] بعد طول ربوضه
يقضى الفروض لجيرة ... لم تقض بعض فروضه
لا تحسبن عرق الوفا ... فيهم يعد لنبوضه
هيهات ما فى وطبهم ... إلّا صراخ مخيضه
دع عنك راقصة الحمى ... وأصخ لصوت غريضه
كم همت فى واديه بي ... ن كحيله وغضيضه
وغزّيل قد مرّ بى ... بالجزع فى توريضه[2]

---

(١) الأسد المثار
(٢) ورض : ارتاد الماء وطلب الكلأ .

وعلىّ حرض طرفه الله من تحريضه
ولقد أقول له وقلـ بي فى أشد رموضه
يا معرضاً عن صبّه اردد صدى معروضه
واصلتَ ذا النسب الخليـ يط وملت عن ممحوضه
إن لم تجد بجام وصلـ ك لى فجد ببروضه[1]
يرعاك طرف متيم ما ذاق طعم غموضه
وقرضت قلبى وهو قرـ ض ردّه بقروضه
يا حبذا لو ردَ للمشتا ق بعض قروضه

(١) برض الماء : خرج قليلا .

فِداء رباب داء قلبى ... (١)

محمد لا أدعوك إلا لذى ضنًى ... شفائى به دون الورى وهنائى
وغير كثير لو نظرت لمهجتى ... قليلاً وأسعفت الحشى بدواء
فَداء رباب داء قلبى ومهجتى ... وإن شفاها لو علمت شفائى (٢)
ثمان شهور قد خلت سائلاً لها ... ثمانين عاماً تنقضى بصفاء (٣)
رجوت بقاها فى الأنام وإنما ... بقاء رباب فى الأنام بقائى
عسانا نرى منها غداً خير واعظ ... لخير رجال أو لخير نساء
فدم خير من قد راض صعبى بمنّه ... ودم خير من ميزته برجائى
وعش لك عندى أطيب الشكر والثنا ... كما لك عند الله خير جزاء

---

(١) كتبها إلى صديقه الدكتور محمد بك لبيب طبيب الأطفال يدعوه لعيادة كريمته الطفلة رباب
(٢) رباب كريمة الشاعر الوحيدة الباقية على قيد الحياة (٣) عمر كريمته رباب آنذاك ثمانية شهور

ولولا رباب ما تركت هوى الربى [1]

محمد تشئونى إلى الطرس عبرتى ... ويغلبنى وجدى فأسكت لاعيًا
ولكن اشفاقاً وعطفاً على الذى ... أرى رشدى من دونه فى الورى غيا
أعيذ ربابا أن يساورها الضنى ... وأن تشتكى مما طويت به طيا
ولولا رباب ما تركت هوى الربى ... ولا عفت سعدى الغانيات ولا ريا
ولا هجرت عينى كراها ولا لوت ... ضلوعى برحاء الجوى والأسى ليا
لقد ضل قوم قائسون جهالة ... بحبى رباباً حب غيلانها [2] ميا
(إذا نظرت عيناى فى الغيد لم تجد ... جميع الغوانى جنب غانيتى شيا)
دعوناك فامنن وارع منا حشاشة ... تكابد منشوراً جواها ومطويًا
أخاف الجوى يشتد فىّ ويلتظى ... وأصبح لا ميتاً يراح ولا حيًّا
ولولا علالاتى بقربى شفائها ... لأصبحت مقضياً على ومبكيا
أبُ شفه برح الضنى وأمضه ... وأم كوتها موريات الجوى كيا
لقد دعوا منك الطبيب الذى إذا ... تنمر نادى بالشفاء الاهيًا
إذا شاء أعطى كل قلب مراده ... ورد غليل النفس من طبه ريًّا
رعى الله منك الحاذق الراجح الحجى ... وأبقاك مرعى الجوانب محميا
فداك عراقى إذا ما هززته ... هززت جرازاً للقراع يمانيًّا

---

(١) كتبها إلى الدكتور محمد لبيب وكان طبيباً للأطفال بمصر، واعتاد عيادة كريمته رباب .
(٢) هو غيلان بن عقبة الشاعر .

إنما الشام والعراق ومصر
أخواتٌ وإن تفرقن حينا (١)

طلعة الزائر الكريم أرينا ... ما ترينا مقادر الزائرينا
اطلعى من سما علاك علينا ... مطلع البدر يبهر الناظرينا
وتسامى فى ساحة النزل حتى .. ... يتسامى بذكرك النازلونا
واحملى البشر للقلوب فإنّا ... قد جعلناك فالنا الميمونا
وابعثى من ينوب عن ذلك الشـ ... ـعب عسى أهله غداً يبعثونا
وأقيمى لدى الجوانح منّا ... ما أقام الأماجد الأكرمونا
وانزلى فى الصميم منا تلاقى ... منزلاً حام دونه المرتقونا
واقبلى حفلنا لك اليوم (ذكرى) ... ليس ينسى جمالها الذاكرونا
واعلمى أننا إليك ظماء ... ان روى عارضاك ما يروينا
طالما تاقت النفوس لمرآك ... فأهلاً ببغية الرائينا
كلما لاح بارق من بعيد . . . ... حسب القوم أنت تقتربينا
حسبوه سناك فى الأفق يبدو ... كان لولاه ذلك الأفق جونا
غير بدع إذا شهدنا الدرارى ... لك تروى مشاهداً تسبينا

---

(١) فى أوائل المحرم سنة ١٣٣٠ زار القاهرة الزعيم العراقى السيد طالب النقيب فرأى جماعة من إخوانه ومحبيه إقامة حفلة تكريم له فى فندق الكونتنتال وقد حضر الحفلة نخبة من كرام رجال العرب بمصر وبعد أن انتهى المحتفون من كلماتهم وقام المحتفى به وشكرلهم عواطفهم حضر الكاظمى على حين غرة ولم يكن يرتقب حضوره لما كان عليه من مرض ووهن فاشرأبت الأعناق إليه وبعد التصفيق الكثير قام وارتجل هذه القصيدة

فلكم شاهد السنا ينجلى جلة القوم فانبروا يجتلونا
حبذا ليلة بها أصبح الده ر كريماً وكان دهراً ضنينا
حفلة ارقص القلوب سناها إذ تجلّى وصفّق المعجبونا
حفلة فاضل النجوم سناها إذ أقلت سماؤها الأفضلينا
شاقها الغائبون عنها وكم للغيـ ـب قلب يشاطر الحاضرينا
ان صغينا إلى عظات الليالى فالليالى عون لمن يصغونا
أو أصخنا لما تقول المعالى فالمعالى تشنّف السامعينا
حسنات الزمان كثر ولكن ليس يدرى أقلها إلا كثرونا
كم يد غبّ مثلها لليالى جعلتنا لها من الشاكرينا
ما وجدنا لولا صروف الليالى طالباً يحتفى به المحتفونا
ما وجدنا لولا طلاب المعالى طالباً فى جماهر الطالبينا
فعلى ذكر طالب، نشرب الليلة كاساً تلذ للشاربينا
مرحباً بالسنا العراقى يبدو منه فى مصر ما يقر العيونا
مرحباً بالعلا متى تك قلنا هكذا حق للعلا أن تكونا
مرحباً بالذى استهل فاخزى عارض المزن يستهل هتونا
مرحباً بالشذا يضوع فيطوى نشره دار فى الحمى دارينا
مرحباً بالسبوق فى حلبات المجد ان قيل برزّ السابقونا
مرحباً بالذى إذا القوم أثنوا بجليل الثناء كان قمينا
اطلبو طالباً ولا تجهلو ه فهو الفارس الذى تعلمونا

هو منا ونحن منه إذا ما ... انسب المجد والعلا الناسبونا

هو من دوحة تعهدها الله ... بعز من عنده لن تهونا

غالطتنا عنه الحوادث حتى ... مثلّته لنا كما تشهدونا

همة طلقةً وعزماً طريراً ... وذكاءً جمًّا وعقلاً رصينا

قد رأيناك طالباً فى قريب ... فرأينا أحبابنا النائينا

كان للأهل والديار اشتياق ... فأريت الديار والأهلينا

اشترط أيها الحبيب علينا ... إن أهل الجمال يشترطونا

كن لنا صارماً نكن لك درعا ... يتلقى من دونك الحاقدينا

حاول الحاقدون منك مراراً ... ثم آبو بخيبة الخاسرينا

فلدى الخير ما هناك هناناً ... ولدى الشر ماوقاك يقينا

***

أنت ياروح كل ندب أبىّ ... عربى عودى لعمرك فينا

وارينا والعاملون قليل ... كيف ينحو رجالنا العاملونا

أنت ان جئت سرت فى أول الشـــوط فأحييت سيرة الأولينا

لا نخاف الزمان نمّ علينا ... أو وشا عنده بنا الواشونا

أيها القوم كلنا اليوم عرب ... وإلى العرب يطمح العالمونا

ليكن كلنا كما كان قحطا ... ن أبو جدنا وجد أبينا

بعضنا فى الخطوب عون لبعض ... ان أردنا على الخطوب مُعينا

فعراقينا متى اشتد خطب ... ردّ سورينا الشدائد لينا

وكذاك النجدى ان ريع يوماً فالتهامى كان ركناً ركينا
وإذا أقسم الورى ان يبروا فذووا يعرب أبرّ يمينا
أيها العرب بادروا واستردوا مجدكم من مخالب الغاصبينا
ليس ذا اليوم يوم ان تتوانوا والألى دونكم علاً يسرعونا
لا يفرقكم اختلاف فانتم فى سبيل الأوطان متفقونا
انظروا موضع الخطى وتمشوا تأمموا اليوم زلة الخاطينا
فعظات الأيام أوضح من أن يتغاضى عن هديها العارفونا
ربما سرت الحوادث يوماً ثم عادت فاحزنتنا سنينا
ولكم أبكت الحوادث قوماً جهلوها واضحكت آخرينا
فإذا كان فى الخفيّات شك فمن الشك ما يعود يقينا
ألدى تلك أن تحن لهذى إن فى هذه جوىً وحنينا ؟
إنما الشام والعراق ومصر إخوات وإن تفرقن حينا
سينال الجميع بعد قليل ما رجاه لخيره الراجونا
فتعود البشرى لناتلو بشرى نتغنى بذكرها طربينا
ليعش كل طالب عربى وليقل عند دعوتى آمينا

لا ضاق فى الأرض ذرعاً كل ذى أمل

اصغى إلى الشرق ذو التتراب واستمعا ... كأن بلبله فى روضه سجعا
يصبو إلى الذكر تدعوه منابره ... والعجز يمنعه أن يستجيب دعا
ليت الفؤاد الذى بالأمس قد ذهبت ... به النوى كتلة آبت به قطعا
لعاد منى مرؤوبا وملتئما ... ما كان منى مجروحا ومنصدعا
هل البريئون مما شفنى علموا ... ماذا بمهجة نفس برحه صنعا
ليقبلن لى الأحباب عذر شج ... على الضنى فى حنايا خيسه قبعا
لله جمعية للشرق جامعة ... شتات عزم لغير الشرق ما جمعا
لله رابطة للشرق رابطة ... حبل التعارف اما انبت وانجزعا
طارت بأجنحة الهمات فاستبقت ... إلى الأمانى تعيذ الطير ان يقعا
رأت رسول التآخى خير واسطة ... ومن أتى بالتساوى خير من شفعا
لا الدين فيها بمرموق تعصبه ... ولا السياسة لاقت عندها نجعا
ترنو إلى الروع لم يخشع لها بصر ... وكم رأت بصراً من هوله خشعا
ان الخلال التى كن الخلال لها ... قد سن شارعها الحسنى لدن شرعا
تسدى النصيحة لا تبغى بها ثمنا ... وتمنح الود لا خوفا ولا طمعا
الشرق لم يألُ جهداً فى تتبعه ... أوأن يعود أخوه فى العلى تبعا
كأنما الشرق جسم والشعوب به ... أعضاء ان بايعت لا تنقض البيعا

إذا اشتكى عضوها الهندى من وجع ... رأيت فى مصر عضواً يشتكى الوجعا

وان تبينت فى بغداد ذا شجن ... وجدت فى جلق طرفا لها دمعا

وإن أناخ على الأفغان ذو جشع ... رأيت فى فارس من يدفع الجشعا

انى أعوذ أداه وأبعده ... من جائع أكل الدنيا فما شبعا

أبا الشعوب أفق ان الشعوب أبت ... أن تلبس الذل حيث الذل قد نزعا

حق الهوان على ذى عزة عظمت ... لغير وجدانه الفياض قد خضعا

أولى وأخلق بالأعراز ذو شمم ... لما عدا عزة الخلاق ما ضرعا

مضى الزمان الذى كانت خلائقه ... تابى على وازع الأخلاق ان يزعا

لا يهدم الدهر مهما كان معوله ... شعبا يحصن بالأخلاق فامتنعا

قل للذى رفعته فى الورى شيم ... فوق الذى قد سما فى الناس وارتفعا

لا تحتمل فوق ما تسطيع محتملا ... من صارع الدهر فى حالاته صرعا

يا حبذا لو تآخى الناس واتحدوا ... ووحدوا بيننا الآحاد والجمعا

ولم نعد نجاح السعى فى بلد ... إذا عددنا بها الأحزاب والشيعا

* * *

أحبابنا الصيد لا زلت بكم قدم ... وليس ينجو من الزلات من ضلعا

لا تأمنوا عثرات الدهر وارتقبوا ... فربما حطم الأطواد واقتلعا

لننهضن وماضى العزم عدتنا ... فالمرهف العضب لولا العزم ما قطعا

إذا جعلنا لنا من سعينا سببا ... فقد وصلنا به الحبل الذى انقطعا

لنضربن على أيدى الألى هجموا ... ولننصرن الذى عن عزه دفعا

شتان من نصرة الكفران ديدنه ... ومن على نصرة الايمان قد طبعا

ها ذاك باع العلا بخسا وذاك أبى ... ان تغتدى للعدا أوطانه سلعا

إذا استعان زعيم الريف [1] حق لنا ... ان نبعث الشكر للغيث الذى همعا

لئن شأت مصر بالإحسان واندفعت ... فكم شهدنا لها يوم الندا دفعا

لا يستوى فى مجال الذكر منزلة ... من ضرا قوامه عمداً ومن نفعا

قد آن من أن يقول الصادقون لنا ... ان الزمان بأمر الشرق قد صدعا

وآن ان ترجع الأيام هاتفة ... ان الجلال إلى أوطانه رجعا

قوى التعارف بين الشرق لا وهنت ... وطائر الشرق بعد اليوم لا وقعا

لاضاق فى الأرض ذرعا كل ذى أمل ... يرى له فى مجال السعى متسعا

---

(١) الأبر : عبد الكريم الريفى .

أيّها الطّائر (١)

أشرق البدر بيننا اشراقا ... فأرانا أحبابنا والرفاقا
ما ظننا الزمان يسمح يوماً ... يعد طول الفراق ان نتلاقى
ان عقد الأحباب نسق حتى ... زاده منظر الجلال اتساقا
حبذا ساعة تلافت محباً ... من سقام واسعفت مشتاقا
حبذا حفلة أقيم بناها ... انتصاراً للفضل أو احقاقا
ليس فيها ما لفقتة أناس ... واقامته باطلا ونفاقا
هكذا تحمد البرية حقاً ... مزهقاً كل باطل ازهاقا
رب سعى أصاب نجحا وسعى ... عاد فى الناس نجحه اخفاقا
يرفع الرأس ذكر فرد وذكر ... يطرق الرأس عنده اطراقا
ومن الناس من يبيع هداه ... بضلال ليشترى الأسواقا
ذل من باع مجده وعلاه ... طمعاً بالقليل واسترزاقا
ان من شاء أن يكون عظيما ... ألف المكرمات والأخلاقا
والألى كرموا الفضائل يوماً ... لم يدقوا الطبول والأبواقا
لم نكن ندرك الحقائق إلا ... ان تركنا الغلو والاغراقا

(١) قالها فى حفلة تكريم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر فى شهر مايو سنة ١٩٢٧

ليس كل امرئ جرى فى مجال كان فيه المقدم السباقا
من أبت نفسه الثناء اغتصاباً كان اطراؤنا له استحقاقا
والذى أكرم المواطن حقاً كان تكريمه جزاءً وفاقا
سل بشهبندر الليالى تعلم فى سبيل الأوطان ماذا لاقا
مثل عبد الرحمن فليلد المجد ويهدى بمثله العشاقا
الغير المجاهدين جمال راق منه لعاشق ما راقا
ليس عبد الرحمن ممن إذا ما ساقه سائق الهوى فانساقا
تلك ارواد فاسألوها تجبكم كيف كانت على الكرام مذاقا
صبرت نفسه وما ضاق ذرعاً يوم رحب الآمال ضاق نطاقا
ليكن مثله العظيم جهاداً ليكن مثله الطرير امتشاقا
لم يخر عزمه ولا عاق يوماً سعيه دون قومه ما عاقا
أبداً يقطع البلاد سهولا ويجوب الجبال والانفاقا
ان سألتم عنه وعن كل حر حيث يعيا به السبوق لحاقا
تسألوا عن ليوثه كل غاب تسألوا عن بدورها الآفاقا
فإذا ضاقت الميادين جلا فى المعالى موسعاً ما ضاقا
هادماً للهوان حصنا فحصناً بانياً للعلى رواقا رواقا
ما عرفنا للجد أكثر منه مثلا فى الأنام أو مصداقا
تارة راكبا يجوب وأخرى طائراً فى فضائه طراقا
حبذا طائر رأى الطوق هونا فتعالى وكسر الأطواقا

وأصاب الست الجهات فوفى وتعدى السماء سبعا طباقا

***

حبذا ساعة أهاجت كمينا من شجون ونبهت أشواقا
كلفتنى ابداء رأى فداريت وآثرت عندها الا شفاقا
كلما عن ذكر قومى فيها زادنى الذكر لوعة واشتياقا
يا أخا الوجد لا تسئك الليالى ان خلف الدجى سنى واءتلاقا
ردد الشجو فالمصائب أذكت جانحات وقرحت آماقا
تلك سورية التى سيروها اغلقوا النهج دونها اغلاقا
حملوها مالا تطيق وقالوا ان محل الاذلال كان مطاقا
حرموها مواردا من غناها الجم حتى تحولت املاقا
حرموها الجمام يغمر لابل حرموها الضحضاح والرقراقا
لهف نفسى على التى جرعوها من صنوف العذاب كأساً دهاقا
لهف نفسى على التى جرعوها القتل عمداً والنفى والاحراقا
وسقوها السم الزعاف على الختل واسموه بينها درياقا
لا رعى الله انفساً لا تراعى فى البرايا عهداً ولا ميثاقا
لم يخن عهدنا الأمين ولكن ائتمنا السلاب والسراقا
هم أراقوا دم العباد وراحوا يسألون العباد من ذا أراقا
خاب فأل المستعمرين فقدفا ت زمان قاد الضعيف وساقا

وأبـوا ان نـكون الا ارقاء ... ويأبى بنـو العلى اسـترقاقا

حسبونا ننيلهم إذ غضبنا ... رشة من رضا فـكانت بصاقا

غرهم نومنـا طويلا فداسـوا ... هـام شعب الآباء حتى أفاقا

نحن لسنـا إذا ذكرنا الأحاد ... يث نسينا التقييد والاطـلاقا

نحن قوم خاضوا الغمار قديمـاً ... وحديثـاً وجاوزوا الأعمـاقا

و إذا ما الحوادث السود غامت ... لا نبـالى الأرعـاد والأبرقا

لسوى المجد ليس يرضون ضما ... كلما قيـل ذو هوى وعناقا

فلئن يخطب المعـالى يوما ... جعـلوا أنفس الـكماة صداقا

حبذا العرب لو درروا أين صاروا ... فبنوا موضع الخـلاف اتفاقا

حبذا العرب لو درروا أين صاروا ... فاعادوا الشقـاق فيهم وفاقا

علمـوا ليس ينبت المجـد إلا ... أن سـقوا تربه الدم المهراقا

***

أيهـا الطائر المحلق فى الجو ... تخطى الرؤس والاعنـاقا

خيف منه على المطامع حتى ... حسبوه سمراً و بيضا رقاقا

ورسول السلام يحمل قلبا ... لسوى العدل لم يكن خفاقا

صف لقوم خلف البحار أقاموا ... إذ أقاموا واغدقوا اغداقا

صف لهم ما دهى وما حل مما ... راح يدمى القلوب والاحداقا

***

سنوالى الجهـاد دون بلاد ارهق الظـلم أهلها ارهاقا
أو يعود العراق منها شآما ويعود الشآم منهـا عراقا
وأمام الشرق المعـذب مصر مشرق نـور عزها إشراقا
انا لولا لظى الشرائين تذكو فتـكاد الحشى تذوب احتراقا
لتركت التاريخ يفصح صدقا وفضحت الأقلام والأوراقا

الـكاظمي

رُزءُ الشّآم تنوّعا [1]

عثر الزمان فلا لعا ... وقضى الأسى أن نجزعا
دمع طغى طوفانه ... فوق اليفاع فافزعا
وجوى ذكت جمراته ... كى تستفز وتلذعا
زفرات تستقرى الجوا ... نح والحشا والأضلعا
لو جاز يوماً أيقظت ... من عهد عاد هجعا
وتتبعت أخذاتها ... بلظى التجنى تبعا
هيهات أن تسدى لوا ... عجها الجميل وتشفعا

***

أى الشعوب سطا على ... أمن الشعوب فروعا ؟
ورمى فلم يترك لدى ... قوس الفجائع منزعا
أنسى البلاد مصيفها ... من هوله والمربعا
وعدا على استقلالها ... فى أن يعود ويرجعا
شعب نما استقلاله ... بدمائه وترعرعا
خلع الفضيلة لابساً ... ثوب الفخار مرقعا

(١) ارتجل الناظم هذه القصيدة فى الحفلة التمثيلية التى أقيمت بالقاهرة فى أول شعبان سنة ١٩٤٥ لإعانة منكوبى سوريا خلال ايام الثورة السورية .

أمن الوقيعة يوم جع جمع بالبلاد فأوقعا
هو ظالم فيما أتاه وكاذب فيما ادعى
لا أعطيت حرية تعطى القليل لتمنعا

***

عصف البلاد مقوضاً ذاك الجناب الأمنعا
أنحى على عرش الجلا ل فثل منه وضعضعا
وألم بالقلب الصحيـ ح فشق منه وبضعا
ما زال يغرى بالروا سى المزعجات الروعا
حتى إذا بلغ الذرى دك الشمام وزعزعا
وأثار كامنة الشجو ن كما أثار الأجرعا
أبت الشجون لطابع من أن يرى متطبعا
والمرء إما اعوز الصنـ ع الجميل تصنعا
يولى الجزوع نصيحة بالصبر ان يتذرعا
ان الرزايا خبرت رزء الشآم تنوعا
راد الشآم فلم يدع مرعى يراد ومرتعا
حورانها أمسى وغوطة بها يباباً بلقعا
فى كل دار جلجلت نوب وخطب جعجعا
ومشى الجدوب لمنزل فيه المصوح اينعا
نوب مسافتها تعد ت أن تقاس وتذرعا

كيف السكوت على جوى ... لو مس طوداً صدعا
وصدى فظائعه دوى ... فى المشرقين فاسمعا
أنى نظرت رأيت مه ... كى للبلاد ومجزعا
ولئن طلبت شريعة ... تجد المطامع شرعا
وإذا التفت فلا ترى ... إلا المريع المفزعا
تلقى حيارى فى العرا ... ء مذعرات جوعا
وترى سجودا عند مخ ... تلف المصائب ركعا
نوب تفرع خيمها ... ما شاء أن يتفرعا
للعرب شعب أينما ... سيم الهوان تمنعا
وحمى إذا ما سمته ... خفض الجناح ترفعا
ما كان سعى عادل ... بل حكم ظلام سعى
وتحكم من طامع ... جلب الهموم وجرعا
أعدى علينا الانتدا ... ب فكان خطباً أفظعا
وكذا المطامع كلما ... أقنعتها لن تقنعا
ما نام عنا مطمع ... إلا ليوقظ مطمعا

***

أترى العقيق مجاوبا ... إما سالت ولعلعا
ما ذا بحوران وما ... فى الغوطتين تجمعا
نكبات دهر ما أم ... ض بلاءهن وأوجعا
قرع المطرق عندها ... نابا وأدمى إصبعا

لنداك يا « شهبندر » الدنيا تصيخ لتسمعا
وإلى دعائك تصنت الحـ سنى لتعرف من دعا
كنت الطبيب لدائنا كنت الدواء الأنجعا
كنت الزعيم لنا كما كنت الطرير الأقطعا
أخـذ العراق نصيبه ورعى الوفا فيما رعى
أعطى الإخوة حقها مستقبلاً ومشيعا
إن ينصرن فطالما نصر الكريم الأروعا
أو يتبعن نداءه أمر الندى أن يتبعا
أو تستنر بضيائه أبدى سناه وأطلعا

***

يا قاب عـذرك بين فى أن تتيم وتنزعا
أتراك تبلغ سلوة والفرض أن تتوجعا
يا مولعاً بهوى الحمى أضحى الحمى بك مولعا
أعلمت ماذا اخلـ ف العهد القصير وأودعا
أرأيت ماذا أجـ ج الذكر الجميل وأنبعا
أذكى بلابل كمناً فينا وفجر مدمعا

***

سورية اضطجعت على أمل اقض المضجعا
وتخال هاجعـة وسـ بة عاشق أن يهجعا

هبت فوارسها لتعتر ض العداة وتدفعا
«سلطان» لايخشى الحتوف و « عادل » لن يفزعا
عرب يقون العرب كل معاند أو يقلعا
وصلوا إلى الأوج الذى أعيا السيوف القطعا
يتسابقون إلى المنا يا حاسرين ودرعا
إن يزمع الهم الكفا ح فكل هم أزمعا
خاروا الممات أعزة من أن يعيشوا ضرعا
نذر الحياة ذميمة والموت أحمد مشرعا
يا ربع أجمل بقعة فيك الجمال تربعا
غر الطموع غروره وإلى سناك تطلعا
هيهات يغرب من غدا لسنا الفضيلة مطلعا
حسبوك قاعاً صفصفاً وبلوك غابا مسبعا
منعوا الحمائم أن تنو ح على الأراك وتسجعا
الحر يوجس خيفة من أن يكاد ويخدعا
ليس الضلال بحائل بين الهدى أن يسطعا
والضر ليس بقادر أن يستزل الأنفعا
ظلموا فالفوا مصرعاً للظلم يتلو مصرعا
وجنوا ولما يجتنوا إلا الشنار الأشنعا
شربوا النمير مصفقا وسقوا الزعاف المنقعا

وتكشفت نياتهم والصبح لن يتقنعا
فى الناس يحرم مخلص وأخو الرياء تمتعا
هم يأملون بأن تهو ن الآبيات وتخنعا
وتوهموا ان الحمى يلقى الأعنة طيعا
والمجد تأبى نفسه ان تستكين وتضرعا
هيهات عرنين الهدى ما كان يوما اجدعا

***

راض المصاعب رائض جعل العصى الأطوعا
فطمته فاطمة سوى ثدى العلى لن ترضعا
دنف به وقف الضنى دون الصراح فألمعا
لو كنت بالنغم الحسا ن ملحناً وموقعاً
لضربت فى شوط المجـ لى آملا ان أبرعا
ما كل من نظم القوا فى قادر ان يبدعا
شمس الحقيقة أوشكت ان تستبين وتطلعا
أولى بنا فى مثلها بالحزم ان نتدرعا
ونموت من دون العلى والمجد أو نحيا معا

والهفَ نفسي! (١)

من ذا رمى الا بلج الوسيما ... من ذا رمى الزهر والنسيما
من ذا رمى الروض وهو غض ... يزهو بطيب الشذى شميما
من ذا رمى دوحة المعالى ... وانتزع الفرع والأروما
ورب سهم رنّ صداه ... فى الأضلع العوج إذ أقيما
رمى حشاشاتنا فأصمى ... واستطاع أن يبلغ الصميما

***

وبارقات نعت فأذكت ... لنا الخماشات والكلوما
حسبت برق الشآم فألا ... فكان برق الشآم شوما
وهل كبرق الشآم ناع ... نعى السبنتى غداة شيما
نعى لعبء العلا حمولا ... نعى لسر العلا كتوما
نعى خليلا لها وفياً ... نعى صديقا لها حميما
نعى عظيما إن جلجل الأ ... مر هون النازل العظيما
نعى شبابا ان قال رأى ... رأيته الأشيب الحكيما
نعى يراعا ان جال خصم ... جال بما يدهش الخصوما
نعى حساما ماسل يوما ... إلا أضاء الليل البهيما

(١) فى رثاء فقيد السيف والقلم المرحوم فؤاد بك سليم شهيد الحرب الاستقلالية الناشبة فى سورية سنة ١٣٤٤هـ

من نادم العضب وهو دام لا يألف الكأس والنديما
من شهد الأسد مصحرات فقد سلا الظبى والصريما
ومن رأى خيسه كناسا فقد رأى الليث فيه ريما

***

يا ثورة قادها فؤاد فأسلست طوعه الشكيما
إذا رأى عندها اعوجاجا أبى عليها أو تستقيما
جحافل العزم منه أجلت قساطل الروع والغيوما
دعاه داعى الوغى فلبى وسامه الموت يوم سيما
مشى إلى الموت لا يبالى رأى صباً أم رأى سموما
رام لأوطانه مراماً إذ حثه العزم أن يروما
ومن أحب الأوطان يغدو لخصم أوطانه خصيما
سل عنه سيناء حيثما اجتاز إن سهولا وإن حزوما
عانى لظى الأين لا ملولا مما يعانى ولا سؤوما
مجدلُ شمس أكثر علماً بما طوى ندبها العليما
سلها تجاوبك عن زعيم كيف رأت ذلك الزعيما
صارع فيها المنون حتى هوى صريعاً بها أميما
قد جدلته بها شظايا من بعد ما جدل القروما
أبى عليه الأباء إلا أن يركب المركب الوخيما
وكيف يخشى الردى شجاع قد ألف الكر والهجوما

جاهد دون الأوطان حتى أصبح شلواً بها حطيما
أيعلم الموت أى وجه غادره فى الثرى لطيما
أيعلم الموت أى ظهر للمجد أضحى به قصيما
من رام جرح الزمان حيا أصبح تحت الثرى رميما

***

مالى أرى الأسد قادمات ولا أرى للمنى قدوما
هل ضيم ذو نخوة أبى يأنف من أن يقال ضيما
رام الأعادى فكان فندا أعيى الأعادى غداة ريما
ما طأ طأ الرأس عن صغار يوم غدا رأسه هشيما
من لم يمت فى الوغى شهيدا فلينتظر موته الذميما
صلى عليه الجوى ووفى لكن أبى الدمع أن يصوما
فكان مشبوب ذا ضراما وكان شؤبوب ذا سجوما
من غرس الطيبات يجنى كرائم الذكر لا الكروما

***

يا من باقدامه تعدى شأو التى تسبق النجوما
أبن لنا الموت أنت أدرى أبن لنا سره الكتيما
خذوا فؤداً لكم صراطا إلى الآمانى مستقيما
هيهات يألو فؤاد جهدا أو يدرك المقصد المروما

أقم أو ارحل مع الأمانى يا راحلا فى الحشى مقيما
متاخما أبعد الدرارى جاوز أعداؤك التخوما
قم وابتدرها مبتدرات قد أوجب العهد أن تقوما
ارجع إلى شانئيك تعلم أى البرايا أشد لوما
هل علم الجاهلون يوما من لام غير الملوم ليما

* * *

أيا خليلى خليانى ويا عذولى لا تلوما
من كنت أرجوه للامانى عاد رجائى به عقيما
أشد ما مضنى حديثا ما أيقظ اللاعج القديما
اصغى إلى القلب من بعيد فاسمع البث والهموما
وانعم الطرف فى ضلوعى فلا أراها الا جحيما
أرى هياما بكل واد ولست أستطيع ان أهيما

* * *

والهف نفسى على بلاد أضحت مقاصيرها رسوما
سماؤها تمطر الرزايا وأرضها تنبت الغموما
عدوا عليها فدمروها وأهلكوا النسل والجميما
وذوقوا الجوّع المنايا وأوردوا العطش الحميما
كفى بنى السين لا تزيدوا كفيتمونا الخير العميما

وعودكم فى الورى قرأنا مكان أنجازها رقوما

***

ما بال قومى قلوا فرنسا واستنكروا حبها الأليما
على م ثار الذين ثاروا وفيم هذا القتال فيما
أليس أم الأحرار أماً على بنى يعرب رؤوما !
أليس أشفاقها دعاها أن تكفل القاصر اليتيما !
ألم يكن عدلها سواء على جميع الورى قسيما
جاءت الينا وجاء إداً من أنكر الجائر الغشوما
إن جاءها طالب لحق عد بها المجرم الأثيما

***

صحت فرنسا لكن أرتنا رأيا لا طماعها سقيما
بنغمة الانتداب غنت ورددت صوتها الرخيما
أذا انتداب أم اغتصاب عاد به حقنا هضيما
لا تلزمونا بكم فلسنا نرى لكم بيننا لزوما
تراجعى فالسها بعيد ورجعى رعدك الهزيما
هل دام فى الأرض حكم شعب إذا أبى الشعب أن يدوما

***

حوران عاشت ذراك تحمى أطفال حوران والحريما

لا زعزع الدهر منك ركنا ولا أراك اليوم المشوما
لهفى على الأسد من رجال قد رصدوا الغيـل والغميما
قد ركبوا الموت للمعالى وجاوروا النجم لا الأديما
تسابقوا للردى تباعا تسابق اليعملات هيما
فمن كمى تلا كميا ومن كريم تلا كريما
كان مصاب الأحرار خطبا بفقد صمصامهم جسيما

ذكرى أبى شادى

تحية وسلام يا أبا شـــادى عليك من مهج حرى وأكباد
غادرتها نهب وجد شب لا عجه وعفتها طعم نار ذات ايقاد
والنار تأكل ما تلقاه من أثر متى تشب، لظاها بعد اخماد
هل بعد وافين امجاد يكلفنى دهرى الوفاء لقوم غير امجاد
وهل كغيبة أحبابى إذا بعدوا خطب يرنق إصدارى وايرادى
خطب تنكر ماضيه وحاضره فحال ما بين إنشائى وإنشادى
خطب ألم بآمالى ففاجأها من بعد فتحى لبابيها بايصاد
لولا الشرايين تطغى كل آونة ما صدنى عن منال القصد فصادى
يرضى ويغضب والآمال ساخطة تأهبى لتلافيها واعدادى
ورب بالغ قصد عز مبلغه من غير ما نصب فيه واجهاد

***

يأساً من القرب إذ لم يبق لى طمع فى القرب من أغلب بالنفس جواد
ليث تولاه إذ أوفت سنابله فى خيسه هادم الدنيا بحصاد
فراح طرفى طليقاً فى منابعه وراح قلبى أسيراً بين اصفاد
قالوا تولى أبو شادى على عجل فقلت لا بل تولى خير أعضادى

لم يخل عام ولـكن قد خلت حقب ... فى عامه من تباشير وأعياد
عجبت للجبل العـالى وذروته ... فوق النجوم هوى تحت الثرى الهادى
كيف انطوى الطود يحوى كل مكرمة ... ملء الفجاج سناها طى ابراد
امسى أبو أحمد والخير فى حفر ... أمست قراراً لأعلام وأطواد
يا أيها البطل الفياض مربعه ... فى غير روضك شعرى غير مرتاد
إذا تزود من زاد أخو سـفر ... ففى التقى خير ما زودت من زاد
قل للذى جهل الدنيا ورقدتها ... وعاش ما بين جهال ورقاد
يغنيك عن واعظ الدنيـا ومرشدها ... ما فى المنية من وعظ وارشاد
كيف السلامة والأيام آخذة ... مدى الزيادة من كيد واحقاد
كيف السلامة فى اللأواء من قدر ... لا حاضر سالم منه ولا بادى
لينثن الدهر ولينقاد جانبه ... ان السبيل قويم غير منآد
ولتاخذن خطى الاحياء ماخذها ... ان الردى واقف منهـا بمرصاد
ما أسرع الحتف للمخلوق من نطف ... كأنمـا الحتف مقرون بميـلاد
الحر فى مشرق الدنيا ومغربها ... دريئة لسهام الأزلم العادى
وذو الفضائل لم تسـلم مقاتله ... من نطق لوامة أو عين حساد
كذاك كان أبو شادى فلا عجب ... إذا الخطوب تولتـه بقصاد
يا من فدت نفسه أوطانه كرما ... هلا فداك لدن حم القضا فاد
بدأت بالفضل لا تبغى الجزاء به ... عقيدة منك أن الفضل للبادى
أمانة لك عندى لا اخون لها ... عهدا ولا اتعداها بارصاد

وحرمة لك عندى لست اكذبها ... وعدا ولا أثنى عنها بإبعاد
ومنة لك فى جيدى عرفت بها ... أطواق منٍّ توالى فوق أجياد
أصخ إلى تصخ منى ومن قلمى ... إلى شكور لرب الفضل حماد
إذا تأخرت عن فرض أقوم به ... فقد تقدمت فى بثى وايفادى
ومن يؤاخذ والاعذار خافية ... فإن عذرى ما بين الملا باد
من أنت يا من قرى الأضياف راحته ... وزاد فى شرف الجدوى بارفاد
الست من لا يخاف الدهر فى جلل ... ولا تراع بابراق وارعاد
ما بالك اليوم لا تصغى إلى كلف ... ولا تجيب نداء المدنف الصادى
أأنت فى مصر تسعى دون بغيتها ... أم أنت فى رفح تهزا بابعاد
ناعيك ان حز فى مصر وساكنها ... ففى دمشق صدى منه و بغداد
مقدار علمك بالأشياء علمنا ... أن المقادير لا تأتى بميعاد
حياة مثلك طول الدهر خالدة ... وليس موتك إلاّ موت وفاد
لك الألوف تعاليما ومكرمة ... إذا أتى صاحب الحسنى بآحاد
اضحى مريدوك فى ساحات محنتهم ... كالجيش يغشى الوغى من غير قواد
آراؤهم وقفت فى كل معضلة ... كما الظبى بين تجريد واغماد
يهنيك قومك ان يمسى ثآلفهم ... فينا تآلف أرواح وأجساد
فكلهم صارم فى كل قاصمة ... وكلهم لامة فى كل اقصاد
شملان من ثقة فى مصر قد جمعا ... لا روع الله شمليها ببغداد

***

هنا ، لك اليوم انداد بك احتفلوا وها هناك احتفال عند اضداد
من ذا رأى قبل هذا اليوم مجتمعا فى المنزلين لاضداد ، وأنداد
سلوا الرئيس بمن ذا جاء محتفلا بمبدأ حادث أم مبدأ عادى
من جيش سعد ومن قواد جحفلة ذاك الذى جاءه سعد بميعاد
وليس قائدنا الأعلى بمنتصر لولا تعاون قواد وأجناد
يا من أمدك زغلول بهمته هل أنت مفتقر يوما لامداد
ومن يكن ركنه سعد فمخطمه لمعزعات الليالى غير منقاد
شاخت سنوه وما شاخت همامته من لم يلن عوده يوما لحضاد
كالرمح يزادد حسنا فى تاوده والسيف بدل اغمادا باغماد

***

صحيفة (الطاهر[1]) استجلت ظواهرها عن باطن الخلق من ضيم ومن عاد
قد كان عرضك موفورا بها شمما وكان مالك منها نهب قصاد

***

سلوا المحامين كم حامى نقيبهم عن الحقوق وكم لبى لانجاد
فى كل معترك فارت قواصده بمقول منه دون الحق ذواد
ولم يكن عنده فى الحق تسأله من فارق بين أفراد وأفراد

***

أين الطرير إذا كلت عزائمنا أمسى لحد ظباها خير حداد

(١) جريدة الشورى لصاحبها الأستاذ محمد على الطاهر .

أين الأديب الذى ابداعه عبق ... للناطقين من الأفصاح بالضاد
أين الكريم الذى عمت فواضله ... فكان موئل وراد ورواد
أين العزوف الذى ساعات عزلته ... كانت عناوين اذكار وأوراد
أين الطروب إلى الايات من كلمى ... و بلبل الشرق يشدو فوق أعواد
يا من غدوت ويا من رحت مذكرا ... حديثك اليوم ذكر الرائح الغادى
قد سار فى كل ما ترجوه من أمل ... عبير ذكرك من ناد إلى ناد
حدوا بذكرك فى سر وفى علن ... وأطيب الذكر ما يحدو به الحادى
عدوا بشخصك فردا لا نظير له ... فى حين فعلك لا يحصى بتعداد
بالله لا تذكروا من لم يكن أحد ... ينساه فى معضلات الأزلم العادى
تثير ذكرى أبى شادى لنا شجنا ... لما يثرها سوى ذكرى أبى شادى

آب لنا صدر العلا سالما [1]

كما بدا البشر لنا عادا ... والتأم الجرحان أو كادا
صحيفة (الأهرام) نثّت لنا ... ماهزّ أغواراً وانجادا
نثّت على الناس حديث المنى ... وارجعت للناس ما بادا
آب لنا صدر العلا سالما ... وساعد الأوطان قد آدا
أنبأنا (الخميس) أن الهنا ... قد ضرب الخميس ميعادا
قد نسى (السبت) وأهواله ... من ورد الخميس أورادا
أليلة الجمعة تلك التى ... أنم فيها البشر ميلادا
أم ليلة القدر التى استقبلت ... للحق اذكاراً وأورادا
يا ليلة الجمعة كونى كما ... كانت لنا أختك امدادا
كونى لمصر قبسا لامعاً ... وكوكبا للشرق وقادا
كونى لمصر مثلا صالحا ... يرشدها للخير ارشادا
وفتحى الأبواب رغم الألى ... قد احكموا الأبواب ايصادا

***

(١) قالها بمناسبة عودة الزعيم سعد زغلول باشا من المستشفى إلى بيت الأمة بعد الاعتداء عليه سنة ١٩٢٤

حى أساة أدركوا آسيا وحى زوارا وعوادا
وحى من واصل تسآله وحى قصاداً ووفادا
يا أسى الجرح طبيب العلا بذلك اسعافاً وإيجادا
ان الذى عالج أحبابه غير الذى عالح أضدادا
هدا أبو الشعب فضنوا به ان كنتم بالنفس أجوادا
أنى التفتّ اليوم فى بشره الفيت روادا ووزادا
قد تركوا الراحة من أجله واجهدوا الأنفس اجهادا
لو استطاعوا جعلوا نهجه أفئدة منهم وأكبادا
واحتملت صدورهم ركبه سواعداً طالت وأعضادا
كم صفد الأقوام إحسانه وفكّ أصفادا فأصفادا
زغلول من وطد ركن العلا ومن بنى المجد ومن شادا
لو مادت الدنيا وأطوادها فى عاصفات الدهر ما مادا
يسود زغلول ولولا النهى زغلول فى الأقوام ما سادا
ومن حمى أوطانه واحتمى بها ومن ذب ومن ذادا

***

خصك يا مصر وعم الهنا مكة والقدس و بغدادا
كأن سعداً مقبل بينها يستقبل الأقوام قصادا

***

من ذا رمى الأشوس فى أمة عزت جماعات وأفرادا
من ذا رمى الأمة فى فارس تملك الفرسان واقتادا

لا تطلبوا الرحمة من خائن تعمد القسوة واعتادا
قد رامت الأوطان اصلاحها ورام للأوطان افسادا
لو علم الخائن من ذا الذى كاد له بالأمس ما كادا
ولو درى كيف مصير الهوى ما كان للأهواء منقادا

***

يارجل الشرق ويا نطفه ويا مجيب الغرب أن نادى
يا حبذا أنت لنا قائداً يسوقنا للمجد أجنادا
والقائد المنصور فى يومه أسراه كانوا أمس قوادا
أنت الذى جدد مجد الألى قد عبروا عاداً وشدادا
وأدرك الأمة احسانه وجاد بالبشر كما جادا
ومن يكن بالفضل ذا خبرة كان شكوراً لك حمادا
لست الذى قد وجدوا نده ان وجدو للبدر أندادا
يسود زغلول ولولا النهى زغلول فى الأقوام ما سادا
ليغتبط سعد بأوطانه وليغمر الأوطان أسعادا
ولتحى مصر بالمليك الذى فى ملك مصر فى العلا زادا
وليحى زغلول وأنصاره ومن وقى زغلول أو فادى
وليحى من عز بآماله وشاد أولاداً وأحفادا

إنّ إبلال مصر فى إبلاله (١)

علمتْ واعتلالُها باعتلالِهْ أنّ إبلالَ مصرَ فى إبلالِهْ
علمتْ مصرُ أن إبلال سعدٍ هُوَ إبلال نيلها ونواله
هُوَ إبلالهُ إلى الصبِّ فى البحر وإبلالهُ إلى شلّاله
فلقدْ أنهلَ القلوبَ شفاءً كانَ رىّ القلوبِ فى إنهاله
زلزلَ القلبَ عارضٌ عوّذ القلبَ بذكرِ النجاة من زلزاله
كادَ يُصمى وكادَ يُدمى ولكنْ زال عنا تخوفهُ بزواله

* * *

لطفَ اللهُ بالمعالى اللواتى هنّ من بعضِ أهلهِ وعياله
لم يكدْ يُقبلُ المبشر حتى أدبرَ المرجفونَ فى إقباله
بطلتْ كلّ حجةٍ لمُراءٍ إن رأى الحقّ جدّ فى إبطاله
بعدَ ما ظلّ والحقيقةَ أهدَى سابحَ الطرْفِ فى سماء خَياله

---

(١) قالت جريدة المقطم «ارتجل فضيلة الاستاذ الجليل شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكاظمى هذه القصيدة العصماء فى الأسبوع الماضى يوم زاره بعض الأدباء لعيادته وبشروه بشفاء معالى الرئيس الجليل من الأنحراف الذى ألم به . وقد نقلها إلينا أحد الذين استنسخوها وذكر لنا أن فضيلته نظم قصيدة شائقة للترحيب بسعد باشا يوم قدومه فحال مرض الأستاذ دون نشرها إلى الآن وعسى أن لا يضن فضيلته بها حرصاً على ما حوته من المعانى الرائعة والخيال العالى الذى امتاز به شاعر العرب الكبير »

أصبحَ اليومَ لا يطيب لمصرٍ غيرُ سعدٍ وصحبِ سعدٍ وآله
انْ يُقم فالهنا مُقيم وإلاّ رَحلتْ مصرُ كلها فى ارتحاله
وإذا مهّدوا لما زوّروهُ جاءهمْ باقتضابهِ وارتجاله
كم صغينا اليهِ وهوَ خطيبٌ فرأينا الأعجازَ فى أقواله
معجزاتُ الأقوالِ لم تكُ شيئاً وزنوها بمعجزاتِ فعاله

* * *

يسقمُ العاملُ المجدُّ ويبرا والحمى شاخصٌ إلى أعماله
الكميُّ القديرُ بعدَ ضناهُ كالجراز الطريرِ بَعد صِقاله
والجرازُ الطريرُ يزدادُ حسناً فى جسام الأمورِ باستعماله

* * *

ايهِ : زغلولُ إن دهرك أمسى غيرُ زغلولَ لا يمرُّ ببالهِ
أنتَ للشعب حجةٌ ودليلٌ تدحضُ الباطلاتِ باستدلاله
أنتَ من يصنعُ الجميلَ ويولى بتوالى جهادهِ ونضاله
أنتَ ذاكَ الغضبُ الذى ليس ينبو بتباع انتضائهِ واستلاله
أنت فى حالتيكَ أمنعُ من أن يدّريه حَسوده لنباله
من يكن عاملاً لخير البرايا فالبرايا والخيرُ من عُماله
من يكن لامةً يقيها أذاها كان مَرمَى سهامهِ ونصاله

قلْ لمن رهبةُ الأساطيلِ حالتْ بينَ إقدامهِ و بينَ صِياله :
أذميمٌ تطرُّفٌ وحميدٌ ذو هوانٍ مفاخر باعتداله !
فإذا كانَ للتطرُّف أبطا — لٌ فإنى العريقُ فى أبطاله
أوَ يرضى الأحرار أن يتمشوا رَسَفانَ الأسير فى أغلاله
وإذا ما أبى العزيزُ ضعيفاً ضعفَ الأقوياءِ عن إذلاله
كيفَ لا يستقلُّ بالأمر شعبٌ هوَ أولى الشعوبِ باستقلاله
حبذا يوم يرفعُ العدلُ فيهِ عَلَماً تستوى المُنى فى ظِلاله
ليعش سعدٌ وهوَ أمضى اعتزاماً ليسَ يخشى طولَ المدى من كلاله
ليعش والحمى جليلَ المعانى كلُّ ساعٍ يسعى إلى إجلاله
أيُّها الشعبُ مثلُ سعدٍ قليلٌ أكثر الله فيكَ من أمثاله

أنتَ البلادُ وما تُقِلّ (١)

أنتَ البلادُ وما تُقلُّ ... أنتَ الأعزُّ بها الأجلُّ
أنتَ الجبالُ ثوابتاً ... ان قيلَ أهلُ الرأى زلّوا
عش للبلاد وأنت نهـ ... ـلٌ للبلاد وأنت عَلّ
ما زلتَ تطلع فيهم ... كالبدر لا يعروه أفلُ
هل يصدأ العزم الطر ... ير وأنت للعزمات صقل
من كان سعداً حدّه ... عندَ الشدائد لا يُفل
باللهِ أنتَ وبالمليكِ ... وبالألى وَلَوْا وأولوا
و بقومك القوم الألى ... فى حلْبَةِ الأقوامِ جَلّوا
و بعزمكَ الماضى الذى ... تمضى الشكوكُ متى يُسلُّ
أصبحتَ فينا واحداً ... فى الذكر يعظمُ أو يجلّ
يا سعد ظلكَ شاملٌ ... يأوى اليه المستظلُّ
ان قلتُ أنتَ الناسُ كلُّ ... الناس يوماً استُ أغلو
يصبو إليكَ المشرقان ... وأنت للاثنين حبْل

(١) قالها على أثر تولى صاحب الدولة سعد زغلول باشا رئاسة الوزارة سنة ١٩٢٤

إما يَمُتْ فليس قطعٌ — أو يبتْ فليس وَصل
الغربُ لا يرضى بما للشرق يعقد أو يحلّ
يومان ما أحـــلاهما والذكر لليومين يحلو
يومٌ تفرق شملهُ يومٌ تجمّع منه شمـلُ
إذ يبتدى الحُكم الصحيحُ — وينتهى الحكم الأشلّ
تهنيك آمالٌ وعتك — وأنت للآمال فألُ
يا سعدُ أهلك كرّمو — كَ وأنت للتكريم أهلُ
هيهات ما لسواكَ عقـ — ـدٌ فى أمورهمِ وَحلُ
عدلوا فكنتَ حكومةً وحكومةُ الدستور عدلُ
جاء الزمان على يديـ — ـك يتوبُ والبشرى تهلّ
إغفر له زلاته أىّ الخلائق لا يَزل
وليذهبنّ بكلّ من يُمسى ويصبح وهو كلّ
لا خيرَ فى رَجل تؤخـــره عن الإقدام رْجلُ
هيهات لم تبرُد له حُرقٌ ولم يَبْتَلّ غل
الصِيدُ فى أخلاقهمْ بَعضٌ وأنت اليوم كُـل
يقف الزمان وأنت تمشى — فى طريقكَ لا تمـل
أنت العظيم همَامةً أنتَ الهمامُ المصمئل
منك الهداةُ تعلموا : أنّ المحرَّم لا يحل
والصعبُ إن عالجته بتتابع العزَمات سهلُ

القولُ ليس بنافعٍ حتى يَزِين القولَ فعلُ
من لم تكن أخلاقهُ نهجا له فالعلم جهل
ما زلتَ تحملُ همَّ قو — مك أو يقولوا خفَّ حملُ
وتذودُ عنهم من أبا — حوا واستباحوا واستحلوا
وتظل تعمل أو ترا — هُمْ قد تولّوا واضمحلوا
وترى بلادك حرةً ولها على الأحرار دَل

***

الحكم جاء إليك يَسْعى والمسافةُ لا تَقل
وقد استوى فيه الأعز — لدى التشاوُر والأذل
حليت جيدَ الحكم حتى — لا يشين الجيدَ عطلُ
وحللتَ فى دَست الوزا — رة كى يطيب بك المحلّ
يا سعدُ أنتَ دعاء قو — مك كلما صاموا وصلوا
قد أجزلوا لك شكرهم والأجرُ عند الله جزْل
يهنيك شعبٌ حافلٌ لك كلَّ يوم منه حَفلُ
يا شعبُ سعدٌ ليثك الوثا — بُ والسَّعدى شبلُ
فرضٌ علينا حُب شع — ب حب سعدٍ فيه نفلُ(١)
أوَزارةَ الشَّعب استهلى — انَّ شعبك يَستهل

(١) أي فكيف اذا كان حبه من آكد الفروض

عصراً تناقله العصو ـ رُ وذكره فى الخلق نقلُ
وزراءنا جدُّوا بنا عملا فجدُّ الدهر هزلُ
ان تُغفلوا أعمالكم فوزارة العُمال غُفلُ
طال المطال فهل يقصر ـ فى يد العمَّال مطل

***

أبناء مصرٍ كلكم سعدٌ وسعدٌ لا يكلّ
هذا أبوكم فابتنوا ما يبتنيه ولا تخلوا
وزنوا الرجال فربما فى خفة الميزان ثقل
لا تُطْعمنكم خمرة راووقها عَسلٌ وخلُّ
وتعهدوا أن تملأوا تلك المقاعد حين تخلو
وسلوا النهى تتبينوا ان احتلال القوم سِلُّ
والداء هان عُضاله ان عالج الأدواء عقلُ
ولرّبما صدق الألى قالوا وقولهم الأدلُّ
عُقدٌ مسائلنا وما غيرُ الجلاء لهن حلُّ

***

يا مصر بخلك فى الورى جودٌ وجودُ سواك بخل
نمسى وروضك ناضرٌ أبداً ونصبح وهو خضل
بخسوكِ إذ يتساومو ـ ـ ن وربحهم خسرٌ و بطلُ

خلوكِ وانصرفوا بغير ـــ هدى إذ انصرفوا وخلوا
ليت الألى وُلّوا أمورك ِ قبل هذا اليوم وَلّوا
لـكفوكِ شراً طالما شقىَ العبادُ به وضلّوا
وإذا سألتِ حقيقـة دلّوا عليها واستدلوا
ووقوك يوماً كلـه ألمٌ وأشجانٌ وثُـكلُ
نفيٌ وتعذيب وسِجـ ـــ نٌ واستباحاتٌ وقتلُ
بعداً ليومِ قربُه غدرٌ وتضليل وختلُ
انّ القلوب عليهم جمر ودمع العين وبلُ

***

يا مصر أنتِ رواية يبدو لها فصل ففصلُ
وكذا السياسة يختفى شكلٌ لها ويبينُ شكلُ
وعدٌ فوعدٌ لا يغبُّ ـــ وراءه إلّ فالّ
ولعلّ هذا اليوم فصل ـــ للمطامع وهى وصلُ
ولعله حقّ عَـلا والحقّ أن تنصرُهُ يعلُ
ولعـله يومُ المنى ولعـلّ تصدقنا لعلُّ
ولعلّ سعداً ليس يَشْـ ـــ غَله عن الأوطان شغلُ
أبداً يسيرُ ولا يقا ـــ ل لسيره عجلُ ومهلُ
خلدت محامدُه التى طول المدى لا تضمحلُّ

***

يا نيلُ أنت أبٌ لنا وأبو الأعزّة لا يذلّ
من كنت أنت أبا لهُ فبنوه قد نهلوا وعلوا
لبنيكَ أمثالٌ وما لا بيك فى الآباء مثلُ
فإذا همُ نسجوا على منواله عَزُّوا وجلّوا
الحلُّ والترحالُ فيكَ — اليك ان رحلوا وحلوا
ان طاب فرعٌ منك فى مصرٍ ففى السودان أصلُ
والفرع لولا أصله ما زاد فيه منه فضل
لك فى العراق وفى الشآ — م ونجدَ والحرمين أهل
ولك الأبرّ من الجزيرة ما يبرّ أخ وخل
يتساءلون وما لهم الاّك ياذا المنّ سؤْل
أن تستقلّ كما ترَجَّوْا — فالرَّجا أن يستقلوا

سنرى المنى ونرى الهنا (١)

* * *

غنّى وردَّدَ فى البلادْ ما شاءَ من نغم وزادْ
وشـدا كما شاء الهوى وشدتْ تجاوبُه شَوَادْ
يا من تغنىَّ باسمهِ من رائحٍ فينا وغادْ
هنِّ البلادَ بعيدِها والعيدُ أن تهنا البلاد
واطلع عليها مثلما طلعَ الهلالُ على النجاد
وَرِدِ الرياضَ ومَن شئا وَرَدَ الحياضَ بها وراد
واحملْ لقومكَ باقةً ممَّا تُنمقه وَهَاد
أوْ فامش بينَ جموعها وشموعها مَشْىَ اتئاد
وأصِخْ لصوت كبارها وصغارها عند التناد
فى كلِّ قاصيةٍ وَدا — نيةٍ أخو سمعٍ وَشاد
غيدُ الظباءِ بها رَوَا — ئحُ فى خمائلها غوَاد
أللیـلُ بينَ شُعورها والصبُح ما سَترَ البِجاد

(١) إمام البيان ، السيد الـكاظمى ، أميل إلى التفاؤل فى كل ما يلوح له من مظاهر الحياة . وإن عنوان هذه القصيدة الذى هو ختام أبياتها ليفصح عن أمـل الشاعر الـكبير بفوز مصر فى معتركها السياسى بعد ان رأس وزارتها سعد زغلول باشا وبعد ان تألف مجلسا شيوخها ونوابها : (المعلقات)

يومٌ تصيدُ ظباؤه وأسودُه فيه تُصاد
فتنت ملائكةَ السما فى الأرض فاتنةُ تَهاد
إمّا بايرادٍ تحدَّى — العاشقينَ أو ارتياد

***

إطرَب على ذكر الحمى واضرب على وترِ الفؤاد
طيرُ السماء وطيرُنا كلٌ بنغمتهِ أجاد
تبدو لنا نَغَماتهُ وعلى المنابرِ تستعاد
وأخو الجوى من أيكه يرتدُّ فى ظلٍّ براد
هذاك يقصدُ ما يريد — وقصدُ هذا ما يراد
حالان ما أحلاهما والدهر صابٌ أو شهاد
يتفارقانِ إلى مدًى يتلاقيانِ على معاد
أىُّ الفريقين استوى وأمادَهُ طربٌ فماد
يا طيرَنا لا تسر فى لحنًا وفى الطرَب اقتصاد
لا يأخذنَّك ذا السنَّا ألنَّار آخرها رماد
قل للشراكِ تجملى ماذا بيوم الأصطياد
ما كلُّ من نَصبَ الحبا — ئل نالَ مِنْ عرضٍ وصاد
ولربما نجتِ الطيورُ — وهُنَّ فى حَلقِ الصيّاد
حَدِّثْ أخاكَ ولا تزدْ عن طارقٍ أو عن زياد

يحلو الحديثُ وطولهُ من بعدِ طولِ الاضطهاد
يا حبذا ذا الاتفاقُ — وحبَّذا ذا الاتحاد
أتيا بما لم يأتهِ فينا التطاحنُ والجلاد
ما كان يهدمهُ التبا — غضُ عادَ يبنيهِ التواد
مما يزيدُ لنا المنى نيلُ الأمانى فى اطّراد
إذ ليس فى ذا اليومِ إلا — كل خافٍ فيهِ باد
آياتُ «سعدٍ» هذه لا ما تلفقهُ سعاد
هو مَن علمتَ فلا ملا — مٌ يدَّريهِ ولا انتقاد
شادَ الفخارَ لأمةٍ بجهادِها أممٌ تُشاد
حتى يَرى فى يومهِ يُلقى إلى مصرَ القياد
ويَرى لها استقلالَها حازَ الكمالَ كما أراد
ويَرى سيادتها بدتْ بينَ الحواضرِ والبواد
ويرى لها أيامَها أعيادَ لا تخشى النفاد

***

عيدُ البلادِ هو الذى مجد البلاد بهِ يُعاد
تمضى عليه الأربعونَ — وواحدٌ فيها يُزاد
ضنَّ الزمانُ بما يجئ — بهِ زماناً ثم جاد

***

اليومَ يعقدُ فيهِ ما بالأمسِ كان له انعقاد
اليومَ يجتمعُ الذى بالأمس صيحَ بهِ بداد
اليومَ يَرفعُ رأسَه ويَزينُ مجلسه « فؤاد »
لفؤاده تاج العُلا ولسعده ثَنيُ الوساد
اليومَ قامَ به الذى منْ أجلهِ قامَ الجهاد
اليومَ يُفتحُ مجلسٌ للنائبين عن البلاد
كلٌ له كرسيه ولكلّ منتخب سناد
ولكلّ فرد رأيهُ ما كلٌ رأى ذا سداد
ألفردُ ليس بهيّنٍ تأتى الجموعُ من الفِراد
والرأىُ يجمعُ نافذاً إن محّصوه على انفراد
الأمرُ شورى بينكم إن كان للأمرِ استناد

* * *

نوّابَ مصرٍ أنتمُ وشيوخها نعمَ العباد
أنتمْ إذا احتدَّ اللسا — نُ العضبُ ألسنةٌ حداد
أنتمْ إذا ضلَّ الجهو — لُ غداً إلى الحسنى هواد
خيرُ الرجال لدى النضا — لِ من استفادَ ومن أفاد
روضوا الصعابَ بحكمةٍ وتجنبوا سُبُلَ العناد
القصد ليس بناجح الا على سنن الرشاد

والرأيُ تقليداً لكم غيرُ الذى لكم اجتهاد
أعطى النيابةَ حقَّها مَن ذبَّ عن وطن وذاد
وقضى الفروضَ كواملا مِن غيرِ نقصٍ وازدياد
وانسلَّ من ريبٍ كما — انسلَّ البياض من السواد
ولربَّ معتاد جرى منهُ على غير اعتياد
واللهُ عونٌ للأُلى لهمُ على اللهِ اعتماد

***

صونوا تراثَ جدودكم من كلِّ عاديةٍ وعاد
وادى المُلوكِ هو الذى هامُوا به فى كل واد
وقفتْ له الدنيا لَدُنْ وقفَ الطّموع بهِ وكاد
توت عنخ امونَ الذى ذهبَ الزمانُ به وعاد
أمسى يحدثكم بما خَلْفَ الستائرِ أو يكاد
حَسب الزمانَ يعيده لو شاء بيديه أعاد
أيعودُ من أيامه أوفت على أيام عاد
ما عادَ إلا هيكلٌ لولا الطِّلا لغدا رماد
ألعلمُ أصلحَ شأنهُ والعلمُ عاثَ بهِ الفساد
سادات « طيبة » فاتهم فى حلبةِ الحسنى «فؤاد»
فاتَ الملوكَ كرامةً وبنعمة الاسلام زاد

هل عند طيبةَ ما حوتْهُ — مصرُ من ذاك التلاد
تاريخَ مصرٍ لا تَهن أملتك آبيةُ المداد
وحصونَ مصرٍ لا تَهى رفعتك رافعة العماد
لا أبرقَ اليومُ الذى تركَ الفرائصَ فى ارتعاد
تركَ البرىءَ طريدةً وأخا الهدى غرَضَ الطراد
المنصفونَ لهم يدٌ والظالمونَ لهمْ أياد
هم أيقظونا بعدَ ما سئم الرقاد من الرقاد
أظلمُ علمنا وأيـ — ـقظنَا وكان هو السهاد
ليسَ الحياةُ مآكلاً ومشارباً ملءَ المزاد
إنَّ الحيـاةَ خـلائقٌ تسمو بصاحِبِها وعاد

* * *

أهلَ الحمى عزَّ الحمى بكم متى سُدتمْ وساد
والوا الجدودَ وجاهدوا تُحيوا لنا ما كان باد
ومجاهدينَ بلا تقىً كمسافرينَ بغيرِ زاد
ان شئتمُ تمَّ المنى أو شئتمُ تمَّ المراد
ليسَ المرادُ ولا المنى الا بتحرير البلاد
سنرى المنى ونرى الهنا ان كان فى الحبل امتداد

يقظة المنى (١)

أنتَ لا جَرَم بدرُنا الأتمّ
بدرُنا الذى بدّدَ الظلَمْ
يكشفُ الدجى كلّما ادلهمّ
يبسمْ الضحى أينما بَسَمْ
أينما بدا تُفرجُ الغُمم
عوذةٌ متى لجَّت الازم
حمدُهُ على كلّنا لزِم
يعظُمُ الفتى صالَ أو قحم
تتبعُ المُنى كلُّ مقتحِم
كلُّ مارنٍ طوْعه خُطم
أنتَ والجوى شبَّ واحتدِم
تُسرع الخطى فى بنا العُصُم

(١) من غرر الكاظمى ، وآياته الخوالد ، هذه القصيدة الراقصة ، يخاطب بها دولة ذى الرياستين سعد زغلول باشا وهى — كل ما يفيض من ذلك الينبوع المتدفق — من سهل الشعر وممتنعه ، ونحسبها آخر ما قاله الأستاذ إلى اليوم ، أمتع الله لغة البيان وأهلها بشفائه : (المعلقات)

قائلٌ لمن قوّضَ الدِّعم
ان من بنى غيرُ من هدَم
والذى حظى غيرُ من حرِم
سائلِ القُرى سائل النسم
عمَّها السنى والسنى أعمّ
أىُّ نعمةٍ أنتَ فى النعم
أىّ ديمة أبت فى الديم
خيرُ فرصةٍ أنتَ تغتنم
أنت فى الدنا مِحْور الكلِم
شرقها دَرَى غربها عَلِم
عندكَ انتهى مُعجزُ القلم
كلّه هدى كلّه حكم
آيةُ العلا آية العِظم
يرتوى به من لظى الألم
كل ذى جوى كل ذى سقم
أنتَ عَيْلمٌ فى الورى علمَ
عُربها روَت عنكَ والعجم
كلّهم على بابكَ ازدحم
من بنى أبٍ أو بناتِ عم

يقبسونَ من ذلكَ الضرم
كل جذوة عنهمُ تنمّ
عزمُك الذى فيهم اضطرم
أنتَ واصلٌ حينَ لا رَحِم
كلّنا بنو ذلك العُقُم
أنتَ إن لجا لا جىءٌ ظُلم
خيرُ مَن حمى خيرُ مَن عصم
ترحمُ الأسى إن أسىً رَحِم
أنتَ طَوْدُنا يومَ نعتصِم
أنتُ ليثُنا والظُّبى أجم
أنتَ غوثُنا والفضا رَخم
أنت عزنا والهوان جَمّ
أنتَ نَجْوةٌ يومَ نصطدِم
يقظةُ المنى والمنىَ حُلُم
أنت مَن حَنا أنتَ من رَحِم
أنتَ حاكمٌ حيثُ تحتكم
أنتَ إن تكن فى الورى حَكم
خيرُ من قضىَ خيرُ من حَكم

قلتَ واثقاً قولَ من جزَم
غير حانثٍ أنتَ فى قسم
حبذا يدٌ تحصدُ النقّم
ذَرْ مُساوِماً يجهلُ القِيم
لا يروقُهُ جوهرٌ كرُم
لا يهمُّهُ هانَ أم عظم
كل همه ان يصيب غنم
لا يضُرُّكَ من سَبَّ أو شتم
طامعٌ كوى بطنَهُ القرَم
جائعٌ إلى أكلنا نَهِم
ضرَّ نفسهَ جاهلُ التُّخَم
غيرُ آمنٍ لاعبُ الزلم

***

كل من غزا عزمَك انهزم
أنتَ فى الذُرى أنتَ فى القُمم
يَغرِفون من بحرِكَ الخِضمّ
بحرِكَ الذى فاضَ والتطم
فى عبابهِ عبَّ كل فم

أنتَ نهجنا يومَ نعتزِم
أنتَ غالبٌ يومَ تختصم
أنت عالمٌ كيفَ تحترَم
سُدتَ أمة مجدُها أمم
تأخذُ العُلا عن أبٍ وأمّ
سالَ باللّهى سيلُها العرَم
بَيْتُ «سَعدِها» دونَه الأطُم
بيتُ أمةٍ بيتها حَرَم
مصرُ موطنٌ خالدُ العِظَم
منبعُ الثرا مصرَعُ العُدم
روضُها ندٍ وردُها شَبِم
خَلقها حلا خُلقها كرُم
هكذا الإبا هكذا الشيم
فى حَديثها مصر والقِدَم
سرُّ عزِّها غيرُ منكَتِم
جمَّعَ السنى شملَها ولمّ
أصلحَ المدى شأنَها ورمّ
فى شبابِها حكمةُ الهرَم
شيخها نزا همُّها يَهمّ

هم رجالُها والرجالُ هم
إن سموْا بها فالجبالُ شُمّ
حسبُها حِمىً طَودُها الأشمّ
سعدُ ساعدٌ للحمىَ وفم
عينُ مَن غفا نطقُ من وَجم
يرقُبُ العِدى يدحضُ التّهم
يدفعُ الأذى كلما هجم
يقدمُ الوفا حيثما قدِم
فيهِ كلّ ما فى العلا ارتسم
لا يروعهُ حادث ألمّ
غيره جثا غيره جَثم
غيره بكى غيره لطم
حيث لا ردًى حيث لا يُتُم
أيها الأسى عهدكَ انصرم
شعبنا التَئِمْ شعبك التأم
نحسهُ ارتحِلْ سعدَهُ أقم
سعدُ قد سما سعدُ قد عظُم
حظه الثنا أين يقتسم
ثابتٌ على نهجه اللَّقم

طوده رسا كلّما انصدم
عوده اكتسى كلما عجم
صلْبُ عوده ليس يَنحطم
ليسَ ينثنى فى يد القزَم
إن مَضى مضى — الأبيضُ الخذِم
يَرسمُ الجلا كلما رسم
يدعمُ العلا كلما دَعم
قلْ للائمٍ كيف شئت لُمْ
أو لحاقدٍ كيف شئت ذمّ
ان كفرتَ أو مسك اللّمم
سعدُ قد شأى سعدُ قد خَطم
سعدُ قد دحا — البابَ واستلم
إيهِ يا بنى مصرَ لا جَرَم
أنتمُ بنو — النيلِ والهرم
أنتم ذوو — المجد والكرَم
أنتم أولو — السيفِ والقلمِ
كلُّ واحد منكم علم
يرضع العلا ليس ينفطم
طهّروا الحمىَ من يد تصم

واتقّــوا يداً تمـطر الحمم
أذكروا الألى فى دجى الرُّجم
أنظـروا إلى مَوْضع القـدم
ليس بالفــتى من إذا عَزَم
عضَّ فى غـدٍ إصبعَ النـدم
ليس شافعـاً عِـلمُ من عَـلم
يـومَ تـلتقى عندَه الرمم
كلٌّ من نمـا جهلهُ سَـلم
مِن لِقا جوًى مِن طروقِ همّ

***

غُصنَ أيكتى مِلْ أوِ استقم
لا تَهــزنى هــذه النَّغم
شـادنٌ لغـا رَبرَب بَغم
بـينَ ضـالهِ راحَ والسَّلم
إننى فـتىً أعشق الشيم
ذمتى رَعتْ راعىَ الذمم
خلنى على يقظتى ونم
رُبَ شاعرٍ يقطنُ الأُطُم

فاتَ . شـاعراً يسكنُ الخيم

***

سـعدُ للوفا أنتَ والهمم

قَسَّمِ الوفا فالوفا قِسَم

أنتَ قادراً غيرُ منتقم

أنت واحـد ليسَ يَنقسم

عامـلٌ على وحـدة الأُمم

ما بَنيتَـه ليس يَنهـدِم

عنـكَ آخـذٌ كل من فهم

قـد سما وفى سلـكك انتظم

سرْ بنـا فلا زلّت القـدم

وابقَ موئـلاً للعـلا ودُم

أمّ عهد رعوه

نطق (بارمور) لا تزدنا بيانا حسبنا ما أبنته وكفانا
ما شككنا وللشكوك مجال بك حتى تزيدنا ايقانا
أنت أدرى بأننا بك أدرى فاختبر غيرنا وجرب سوانا
لم تكن أنت أول القوم ظلما فى قضايا البلاد أو عدوانا
لم تكن أنت أول القوم حبيبا لذاً لهضم الحقوق واستحسانا
قد رأينا (جراى) قبلك يجرى فى ميادين وهمه جريانا
مطلقاً للخيال منه عناناً حيثما أطلق الخيال العنانا
حاسباً والحساب غير صحيح ان رمانا من حالق اصمانا
ان قبلنا للمبصرين اعتذاراً فحقيق ان نعذر العميانا
ولقد ضل بالخطيبين أفك (كرزن) متقن له اتقانا
نحن لم نرج ان يرينا طموع مستبد غير الذى قد أرانا
طالما ظل يحسب الفوز حتى كذب الله ذلك الحسبانا
ولكم ظل يرقب النصر حتى عاد فينا انتصاره خذلانا

***

يوم (فبراير) عد اليوم ذكرى ... رب ذكرى أهاجت الأحزانا
لم تزدنا تلك التصاريح علماً ... بالذى لمحوا به ازمانا
ان هذا الذى أساء حديثاً ... هو ذاك الذى قديماً سانا
ما لبثنا يوماً ولا بعض يوم ... بل لبثنا السنين رهن جوانا
نشتكى للزمان مما نعانى ... ثم نشكوا لما نعانى الزمانا
ولقد كاد ينقضى نصف قرن ... لم نكد فيه ندرك الاقرانا
هل رأينا مستعمرين أقاموا ... الصدق يوما وقاوموا البهتانا
قد تمادى المستعمرون فضلوا ... وتناسوا اليونان والرومانا
جهلوا خادعين أنا علمنا ... انعز المخدوع كان هوانا
قد بلوناهم فكانوا وبالا ... وبلا الخير كله من بلانا
وقطعنا بهم سنيناً عجافاً ... قطعوها بنا سنيناً سمانا
حملوا الرغد والهناء سروراً ... واحتملنا الهموم والأشجانا
يتمشون رافلين ونمشى ... فى قيود تمشى بنا رسفانا
فإذا أخرتهم عثرات ... قدمونا من دونهم قربانا
وإذا ما تدافعت مرديات ... دفعونا واغمضوا الأجفانا
معشر عمروا الخراب ولكن ... لا خراباً أبقوا ولا عمرانا
جربونا عزائماً لامعات ... فى رءوس أمضى سناناً سنانا
هدموا شيبنا بقولة زور ... فبنينا الكهول والشبانا
ورموا عزنا بسهم ضلال ... فوقانا من سهمه ما وقانا

عاهدونا على الخلاء وآلوا ان يراعوا اليهود آناً فآنا
وعدونا ستين وعداً وزادوا فى عهود واغلظوا الأيمانا
أى عهد رعوه أم أى وعد تم انجازه لنا فرعانا
ليس ينسى الناسون حكم أناس كان من أمر حكمهم ما كانا
دفعونا إلى الحضيض وقالوا دونكم فاسكنوا النجوم مكانا
وتملوا بكل شئ ولكن جعلوا حظ أهله الحرمانا

***

سائلوا ذلك الذى أسكتوه وأقاموا عنه فماً ولسانا
لو على قدر وجده فاه يوماً لاستحالت أفواهه نيرانا
ان يكن صامتا وغير مبين فمن الصمت ما يكون بيانا
أينا فى الورى أجب اليه أفتاهم محبب أو فتانا
هو أهل لنا وجار عزيز ان تعدوا الأهلين والجيرانا

***

سجلوا عاجل الهلاك لمصر ان محوا من سجلها السودانا
كيف تمحى تلك الحقوق اللواتى أثبتتها أموالنا ودمانا
ضيعونا وضيعوا كل عهد قطعوه ليحفظوا الأقطانا
أخذوا نيلها وأعطوا سرابا لا عليلا يطفى ولا حرقانا
ما الذى تستفيد مصر اذاما قيل مصريّها قضى ظمآنا

فرقوا روحها وهل قيل روح رضيت ان تفارق الجثمانا
لا يخاف الأيام من حث يوما فتيات القطرين والفتيانا
أو يخشى ضياع حق ذووه يحفظون الانجيل والقرآنا
ضمنت نصرها بلاد بنوها يرثون الثبات والايمانا

***

أفنحيا كما نريد وفيما عمدوا لابتلاعه محيانا
أيريدون ان نظل عبيداً وأباء الأحرار كان ابانا
أم يريدون ان نسيل نفوساً ليسيلو اللجين والعقيانا
لو درى المستبد قدر المزايا لتناسى الأطماع واستبقانا
ولنالوا بنا وهم أصدقاء غير ما نولوا وهم أعدانا
لا تحولوا ما بين تلك وهذى هذه أرضنا وتلك سمانا
أن نويتم ان ترحلوا بعدحين عن قرانا فذلك الحين حانا
ارحلوا عن مواطن قلقات وأطمئنوا بغيرها اطمئنانا
أتركوا عندنا لكم خير ذكرى ان تسيروا بالخير من ذكرانا
اتركونا نتوب عنكم ونعفو يوم لا توبة ولا غفرانا

***

ذكرنا خالد مدى الدهر باق ذاكرنا المكرمات لا ينسانا
سيظل الجهاد فى مصر دينا بمزاياه يفتن الأديانا

سيظل الثبات كالطود مهما سـدد الـكيد سهمه فرمانا
ستظل الهمات معتليات فى مجال اعتلائها كيوانا
ستظل الـكفاح منها سجالا أو يطاطون دونها اذعانا
ستظل الأوطان معتصمات ببنيها او ينقذوا الأوطانا
ستظل البـلدان متحدات او يردوا لأهلهـا البلدانا
ليس بنيان (مكدنلد) براس حيث زغلول ينقض البنيانا
ليس برهان (مكدنلد) بموه حيث زغلول يدعم البرهانا
ان تولى علاجنا من سقام غير سعد فداؤنا من دوانا
كل ركن واه إذا قيـل فينا غير سعـد يشيد الأركانا
ان سعداً أقوى اعتزاما وأعلى رتبة فى العلا وأعظم شانا
ثابروا واعجلوا الخطى واعدوا من يروم النجاح لا يتوانى

وستذكر الأجيال صنعك (١)

أرأيت كيف نوى الرحيلا أرأيت كيف سرى عجولا
أرأيت كيف الركب ما ل مخالفاً منا الميولا
حث المطايا شائياً تلك التى شأت النصولا
وحدا لهن فأصبحت سبل الحزون لها سهولا
مالت إلى كل الجها ت كأنها شربت شمولا
أيدى المطايا خفني يصل الوخيد بك الذميلا
وترفقى بثرى حمى أمسى الرفاق به حلولا
حملوا الجلال وأدلجوا يا راحلين ضعوا الحمولا
يا راحلين تريثوا وقفوا على الوادى قليلا
تلك الذبالة غودرت فى الغيهب الداجى ذبولا
تلك الربوع المشرقا ت من السنى أمست طلولا
من كان ينزل قفرها ويرد موحشها أهيلا
أمسى تراباً والترا ب على محياه أهيلا

(١) فى رثاء الزعيم سعد زغلول باشا انظر المرثية الهمزية المنشورة فى المجموعة الأولى من الديوان وكذا الأبيات الأخرى المنشورة فى هذه المجموعة بمحل آخر منها .

أرأيت تلك النفس كيـ ـف أبت على الخسف النزولا
مخضوبة بدم المنى نصلت من الدنيا نصولا
من بعد ما هدت النفو س ونبهت منهـا الخمولا

***

الشرق جـل مصـابه بزعيمـه فبكى طويلا
الشرق ليس بمرتض بالشرق من سـعد بديلا
الشرق حار دليـله يا من له كنت الدليلا
الشرق ضاق مجـاله لسواك فيـه أن يحولا
أين البيـان وسـحره والعزم لا يغدو كليلا
أين الغـنى برأيـه والسيف لا يغنى فتيلا
من ذا طوى العـلم الرفيـ ـيع وقلص الظل الظليلا
من ذا استطال إلى الذرى شاد البنـاء المستطيلا
طعن الليالى طعنـة منعته فيها ان يصولا
ورأته كـر فسلمت فغدا القؤول بها الفعولا
لو شاء قتل الدهر ثـ ـم رمى لألفاه قتيـلا
لرمى الحمـام بمثـله لو أدرك الطرف الختولا
يا أيهـا الفحل الذى بذ الجهابذة الفحولا
هضب البسيطة أو شكت من هول يومك أن تزولا

بكر النعى فطأطأت شم الأنوف له ذهولا
دهت الزمان بفادح جفل الزمان له جفولا
دهيـاء تجتاح الفرو ع متى أناخت والأصولا
قصامـة فى مرها قصمت لنا الظهر الحمولا
جاشت علينـا بالرعيـ ـل من الخطوب يلى الرعيلا
راع الشبـاب نزولها والشيب منا والكهولا
بينـا لسعد يهتفون إذا الهتاف غدا عويلا
حملوك والعـالى الذرى وطووك والمجد الأثيلا
حملوا المصاب وأغمدوا فى تربك العضب الصقيلا
ما كنت أحسب أرؤساً أعليتهـا ترتد ميـلا
لولا القضاء لأقبـلوا يتلو القبيل لك القبيلا
وتجرعوا عنـك الدواء الـ ـمر والداء الوبيـلا
واستقبـلوا بصدورهم ونحورهم تلك النصولا

* * *

غرر المعالى قد أبت الاك يا سـعد سليـلا
الثاكلات وحيـدها ملأت بك الدنيا ثكولا
يا بدر مصر طالعـاً من ذا أتاح لك الأفولا
أمقيلنـا عثراتنـا هلا تركت لنا مقيلا

هلا تركت لنـــا رديـ فاً فى مكانك أو زميلا
عبءُ الرئاسة باهظ من يحمل العبءُ الثقيلا
ليل السياسة حالك من ذا يضىء لنا السبيلا
من ذا وكلت بأمة يا من لهـا كنت الوكيلا
من ذا يقوم مقام شخصـــك جائلا فيها صؤولا
أترى أقيل اليوم سـعد أم رأى ان يستقيلا
حاشاه ما كان السؤوم من الجهاد ولا الملولا
من كان ملء الأرض أصبـ ـح فى الثرى شبحاً ضئيلا
من كان يحمى غيل مصـــر قيل عنه اليوم غيلا
ليت الرحيل وليت لا تجدى أعاد لنا الرحيلا
قد كان لى أمل فزا وله الضنى حتى أزيلا
لم يبق لى برح الضنى الا التألم والنحولا
القلب شب أواره هل نهلة تشفى الغليلا
الداء عز دواؤه هل نظرة تبرى العليلا
أحمامة الوادى اهد لى انى أشاطرك الهديلا
أيـكى وأيـكك واحد يبكى الخليل به الخليلا
قولى كما قالت يدى بينى و بين السيف حيلا
كبرى المصائب حاولت دون الأمانى أن تحولا
كبرى المصائب حولت شمس الضحى فينا أصيلا
قد كنت أعذل جازعاً وأرى العذير له جهولا

واليوم أعـذر من بكا ... ك وواصل الدمع الهطولا
لو جمعوا شمل الدمو ... ع لزاد هذا النيل نيلا
جرحتك يا شرق الخطو ... ب فرمّ جرحك أن يسيلا
الجرح ان أهملته ... أعجلت للجرح النغولا
قل للمصائب فلتهل ... ما شاء خطب ان يهولا
نفد القضاء فلا ترم ... منجى لسعد أو مقيلا

* * *

حسر الزمان فشمروا ... وذروا وراءكمو الكسولا
يدعو إلى نيل المنى ... من كان من قصد منيلا
فتكفلوا بنجاح من ... بنجاحكم كان الكفيلا
وتضامنوا تصل المنى ... إن غاب من ضمن الوصولا
أترى يعود لنا الهنا ... أم ذاك لا ينوى قفولا
أيعود فينا ممكناً ... ما عاد فينا مستحيلا
جاد الزمان به زما ... نا ثم عاد به بخيلا
أترى تزول حياة من ... أحيا المدارك والعقولا
من لى بسعد أن جرى ... مطر الخطوب بنا سيولا
هو ذلك الرجل الذى ... عدم الرجال له مثيلا
فإذا تمثل شخصه ... مثلت لنا الحسنى مثولا

أو عن يوماً فضله فضل الورى أمسى فضولا
ذكراه قد هاجت جوى فى كل جانحة دخيلا
هيهات لا ترخى العصو ر على مآثره سدولا

* * *

ما بال سعد لا يجيـــب ولا يرد اليوم سولا
يا سـعد عذرك بين يا سعد لا تخشى العذولا
إنا وردنا حنظلا ووردت أنت السلسبيلا
دنيا بلوت خلالهـا وسبرتها عرضاً وطولا
تركتك تصلح شأنهـا وتركتها قالا وقيلا
وستذكر الأجيال صنـــعك فى الورى جيلا فجيلا
لك أفضل الأجرين فى الـــدارين من أخرى وأولى
اليوم يومك فابتدر وأعد لنا الصنع الجميلا
عد للمواقف وارتجل دعت القضية ان تقولا
أوليتنا المنن الجسا م فهاكه شكراً جزيلا
والله أولى أن يزيد لك الـــجزاء غداة تـــولى

* * *

الليث أصحر فارقبى يا مصر فى الغاب الشبولا
طولى بسعد أن أبت أيام ســعد أن تطولا
أبنـاء سـعد حققوا بالجد مقصده النبيـلا
سـيروا على منواله أو ان يقال القصد نيلا

في رثاء سعد زغلول (١)

بكيت سعدا فهاج البكاء كامن حزنى
بكيت ارفع صرح فينا وامنع حصن
ولم تكفف دموعى كفى وقد بل ردنى
هل عند سعد بانى وهيت وانهد ركنى
كفى البكاء تعالوا نبنى كما كان يبنى
إذا غرسنا جنينا المنى كما كان يجنى

* * *

يا أيها الموت خذها هدية لك منى
عجل فقد طال يومى إلى غد لا تكلنى
ان لم تقصر حياتى بطولها لا ترعنى
ضاقت بى الأرض حتى رحابها لم تسعنى
إذا وجدت طريقا إلى السماء فخذنى

(١) للكاظمى قصيدتان فى رثاء سعد الأولى همزية وقد نشرت فى المجموعة الأولى والثانية لامية وقد نشرناها فى هذه المجموعة وقد وجدنا ضمن أوراقه الخاصة قصاصة ورق كتب بها الفقيد قصيدة تدل على انه عدل عن متابعة نظمها أو اتمامها وهذه هى القصيدة -

وان تزدنى جمالا فمن جمالك زدنى

***

أنوح يوما ويوما بذكر سعد اغنى
أقول سعد ولكن غير الردى لست اعنى
يا موت ان لم تجئنى ... يومى فذرنى (٢)
وان تمكنت يوما قبل الممات فزرنى

***

لهفى له من حلال تحت الثرى مستكن
عن أرض مصر تناهى إلى خمائل عدن

***

صفقت كفا بكف قرعت سنا بسن
طالت على سنينى ولم أكن بالمسن

***

رهنت قلبى فمن ذا يفك لى اليوم رهنى
وهبته لليالى عنها فداء وعنى
من لى بنافذ سهم بين الضلوع مرن
القى به الله جرحا ..... (٣)

(٢) كلمة غير مقروءة فى البيت .
(٣) إلى هنا تنقطع الكتابة فى القصاصة .

رحل الزعيم ... (١)

هل عند من ترك القضية عاما ... آمال مصر أصبحت آلاما
ما كان فى ترك الأمور مخيراً ... لكن أمر الله كان لزاما
رحل الزعيم أبو البلاد ولم يؤب ... وأقام حيث أبو العباد أقاما
ولّى وأسلمها الثبات ولم يكن ... ولّى وأسلم أمرها استسلاما
ترك الحمى وهو العليم بحاجه ... ومضى يلبى الواحد العلاّما
لولا القضاء جرى عليه محتما ... لنجا وكان على الحمام حماما

* * *

لو عند سعد ما دهى أوطانه ... من بعده نفض التراب وقاما
ومشى إلى ظلاّمها بمذرب ... من عزمه فاستأصل الظلاّما
كم ليم فى سبل الجهاد فلم يبل ... أيرى عواذر أم يرى لوّاما
وإذا العظيم جرى إلى غاياته ... خلى المديح وراءه والذاما
حمل الخطوب عواصفا والطارقات قواصفا والنازلات جساما
همم علت أقدارها وتجاوزت ... حد الظنون وفاتت الأوهاما

(١) انشدها فى إحدى الاحتفالات بعيد الجهاد الوطنى بمصر .

من ذا يسامى النجم فى درجاته ... من كان سعداً فهو ليس يُسامى
ان الذى أعلى مقام بلاده ... عزا فذاك بها أعز مقاما
هو من علمت فليس يرجع عزمه ... عن قصده أو يصرع الصمصاما
فإذا تنكرت الحوادث ردها ... بعزيمة لا تعرف الأحجاما
وإذا الخطوب تقدمت بزحوفها ... ألفيت سعدا قد مشى قدّاما
من كان فى لقيا الخطوب أمامنا ... فهو الخليق بأن يكون اماما

* * *

يستصغر الجلى إذا هى جلجلت ... عظما ولا يعنى بها استعظاما
وإذا السيوف تجاوبت بصليلها ... كان الصليل بسمعه أنغاما
وإذا بدا والقوم فى جبروتهم ... أحنوا الرؤوس وأوطأوه الهاما
ندب تجمعت العلا فى ثوبه ... وتفرقت بين الورى أقساما
عشق المعالى وهو طفل يافع ... وصبا وهام بحبهن هياما
ولربما عشق (المعالى) ذو هوى ... لكن بقلب لا يحس غراما
أخذ العلوم فقال خابر صدره ... زغلول ألهم علمه إلهاما
جلّى فكان الفذّ فى حلباتها ... شيخاً شأى أقرانه وغلاما
ولىَ القضاء فقال شاهد عدله ... العدل منذ اليوم عاش وداما
ان التى فتحت بفضل جهاده ... قد أحكموا ايصادها إحكاما
دار النيابة ليس تنسى بأسه ... يعلو بها فتحاسب الحكاما

وسل الحكومة يوم كان رئيسها كيف استقل وصرف الأحكاما
ما بيننا سوّى الحقوق فلا ترى من يشتكى عنتا ولا ارغاما
لا مهجة أدمى ولا حرية أصمى ولا صحفاً ولا أقلاما
وعلت صراحته فكانت حجة لا لبس تستره ولا ابهاما

* * *

لم يمض عام والحياة عزيزة حتى تراجع عزها أعواما
و إذا الحوادث خصّ مصر لهيبها عمّ العراق شرارها والشاما
قد عطلوا الدستور لا بل جندلوا ذاك الوليد وانكروا الاجراما
عبثوا باحكام الشرائع واعتدوا ودعوا التحكم بالنظام نظاما
حفلوا بأنفسهم وقالوا ضلة عنت البلاد لوجهنا اكراما
لبسوا لها ثوب الخداع وألزموا ثقة الضعاف بأمرهم الزاما
هل جاز عبد الله أمر منافق صلى الصلاة مريبة أوصاما ؟
ولربما خضع الأخسّ تزلفا ليصيب جاها أو يصيب حطاما
خير لمن أكل السبيكة شاربا كأس المذلة أن يسف رغاما
ومن المصائب والمصائب جمة والعسف سل على الرقاب حساما
ذو العىّ بصبح بيننا متكلما ونصيحنا لا يستطيع كلاما
ولقد نرى فى العالمين عجائبا ونعد ما بين الأنام اناما
وهمو همو الأصفار مهما حاولوا ان تجعلوا أصفارهم أرقاما

ظهروا ومن خلف الستار تمدهم ... أيد غدون على الشعوب جذاما

وهم الأولى ان جاملوا أذنابهم ... وضعوا لهم فوق الأنوف خزاما

فإذا هموا خلقوا القصور لراشد ... جعلوا عليه حرابهم قواما

و إذا هموا بالمنكرات توسلوا ... عدوا له حسناته آثاما

فإلى متى غمط الحقوق إلى متى ... وعلامَ نكران الجميل علاما ؟

أحسبتمو آجام سعد قد خلت ... وشبول سعد تملأ الآجاما ؟

الشبل ماعدم الوسيلة فى الشرى ... من أن يكون لدى الشرى ضرغاما

سيرى و يسمع من طغى طغيانه ... مهما تصامم فى الورى وتعامى

ان الذى شمم البلاد يقيمه ... لا بد أن يرسو بها و يقاما

شتان من شاد العلاء ومن غدا ... فأسا لبنيان العلا هدّاما

* * *

أنا لست أرجوا الصلح الا ثابتا ... طول السنين ولا أخاف خصاما

لكننى أخشى إذا طال المدى ... بلغ الكمين من الحمى مارامى

و إذا الوئام أتى بافظع ما نرى ... خطبا فلا كان الخلاف وئاما

شرفا لقوم كان سعد منهمو ... يبنى القبيل و يدعم الأقواما

طلب النظير له وعاد بيأسه ... من عالج الأصلاب والأرحاما

هانت عظيمات الأمور لدن رأت ... سعداً وصحبا أكرمين عداما

فسل المنافى هل أساغ رقيبها ... لهمو شرابا أم أساغ طعاما

ان أنس لاأنسى الضحايا حللوا دمهم وكان على الزمان حراما
أجروا على النيل المفدى من دم نيلا ومن جثث بنوا أهراما
لم يحدثوا أمراً ولكن جددوا مجداً طوته الغابرات قداما
لا فرق ما بين الذين تألفوا جيشاً يذود عن البلاد لهاما
سيان كان الدين نصرانية فى نصرة الأوطان أم اسلاما
انا اتخذنا ديننا استقلالنا ولقد عبدنا الله لا أصناما

***

خلقان محمودان كل منهما يسمو بصاحبه وليس يسامى
نطق يروع بيانه وشجاعة وقف الجلال لذكرها اعظاما
أخلال سعد واصلى أبناءه واستخلصى خلفاءه الأعلاما
قوم إذا فى الأرض ضاق مجالهم ضربوا لهم فوق النجوم خياما
ضربوا القباب على الرؤس وطنبوا فوق الأنوف وزعزعوا الآطاما
وإذا الكماة تعددت أسماؤها عدوا هماما أيّدا فهماما
هذى بنو مصر وتلك بناتها ملء الفجاج كرائما وكراما
الرافعون لمصر رايات العلا والرافعات وما رفعن لثاما
يا سعد ان ترحل فحسبك أمة خلّفت فيها البأس والأقداما
ما عنّ ذكرك والجوى فى غفلة إلا ونبه فى الضلوع ضراما
ذكراك لا تدع المجال لغاصب فى أن يحاول أن ينال مراما

فلسان ذكرك فى المشارق ناطق يعظ الشعوب ويوقظ النوّاما

***

هذا خليفتك الذى استخلصته وأقمته حيث الجلال أقاما

أدى الأمانة حاملا اعباءها وحمى لنا الوطن العزيز وحامى

الضيم فى وطن الأبىّ محرم والحران سيم الهوان تحامى

ياروح سعد ردد الكلم الذى بهر العقول وادهش الأحلاما

يا أم مصر وأنت أكرم من أرى لمقامها الاكبار والافخاما

ناجى لنا تلك البقية واثرى تلك الدرارى والعقود نظاما

عيشى كما عاشت لمصر شمسها يغشى السهول سناك والآكاما

عيشى ترى غرس المجاهد مورقا يسقى عهاداً من رضاك رهاما

وترى الثمار وقد تدانى قطفها والجرح تم علاجه والتاما

فلتحى أم الشعب عينا للملا ويداً يلوذ بها الملا وعصاما

وليحى نواب الحمى وشيوخه ما عاش ذكر للثبات وداما

عيشوا لتحقيق المنى وترقبوا يوما يزين بذكره الأياما

هذا هو الوحى المبين فهاكه فى الخالدات تحية وسلاما

ولتحى ذكرى ذلك الفجر الذى أحيا الشعور وأنطق الأفهاما

خلدت حياة ليس يبرح ذكرها عاما تردده البلاد فعاما

جهاد سعد زغلول

أحصت عليك جهادك الأمم ... وتناقلتك العرب والعجم

خلع العظيم عليك حلته ... فضفا الجلال عليك والعظم

فوق الجلال وفوق فارعه ... ما أنت فى العلياء مستلم

خفقت على ذكراك أفئدة ... فيها شواظ الوجد مضطرم

أقبلت والأبصار شاخصة ... جمدت عليها الأدمع السجم

يا يوم عش واسلم فأنت يد ... فى مصر خالدة وأنت فم

فعلى يديك مشت قضيتها ... وعلى يديك رست لها قدم

يا يوم . من كرموا بك اعترفوا ... واستنكر الاحسان من لؤموا

أحييتك نهضتنا وما برحت ... تحيا بها العزمات والهمم

وسقاك شربان الحياة دما ... لم يحكه فى الطاهرات دم

جاءت ضحايا للكرام به ... وشعوب جرحاك الأولى كرموا

قد أرخصوا للنفس قيمتها ... فغلت لهم عند العلا القيم

جاءوا بأنفسهم وما بخلوا ... فهم الكرام السابقون هم

ذهبوا كما ذهب الربيع وقد ... تركوا به ما تترك الديم

يا عيد نهضتنا الذى بعثت ... فى ظله أعيادنا القدم

ما أنت الا روضة أنف نبتت بها الأخلاق والشيم
والعيش الا أنه خضل والورد الا أنه شبم
يا مولد النهضات عشت لها ان الأولى ولدوك لا عقموا
لاقلت أنت الشمس طالعة الشمس فى الطلعات قد تسم
أنت الهدى أعلى منائره وبنى سناه المفرد العلم
قام الزعيم وصاح صيحته فاهتزت الوديان والأكم
ما كاد يزأر فيك زأرته الا وكاد الجرح يلتئم
لبّاه صحب أينما انتثروا عادوا كعقد الدر فانتظموا
وأنابه عنه ووكله شعب صراح الحق منهضم
حمل المخيس صدره ومشى غضبان تحمى ظهره الأجم
أملت على الجبار عزمته ما كان ينويه ويعتزم
طلب الجلاء وصاحباه معاً طلبا وعاد الصم والبكم
فتزلزل الجبار وانفجرت أحشاؤه وتطاير الحمم
ودعا ذئاب البحر فاقتربت وكأن رواد العلا غنم
وأهاب بالأسطول منتقما فأجابه الأسطول ينتقم
ورمى بهم فى صخرة قذفا والصخر دون الحق ينحطم
والشعب لما ثار ثورته وتكدست جثث وسال دم
فكوا القيود وأطلقوا فمشى للغرب ليث الشرق يحتكم
وهناك طاح الود فانتقضوا وهناك لاح الحقد فانقسموا

ولدن رأوا العقبات ماثلة ... نكصوا على الاعقاب وانهزموا
جمعتهم الغايات فائتلفوا ... وأتت وسائطهن فاختصموا
هل مثل يومك فى الجهاد له ... ذكر على الاحقاب محترم ؟
يوم متى ذكرت مناقبه ... فمناكب الجوزاء تزدحم
ومتى تمت به قرابته ... فالنيل فى الأدنين والهزم
أنى تلفت فى مطالعه ... ذكر الجهاد تلفت العلم
أنف الحمى أن يستبد به ... وأبى الهدى أن يعبد الصنم
لله قوماً فى العلى غررا ... ظلمتهم الأحكام فانظلموا
وتوسلت بالنفى عادتها ... والنفى للأحرار لا يصم
أما السجون فانها عظمت ... فى كل ناحية بمن عظموا
فعذابها عذب لمن ثبتوا ... دون الحمى ولمن به قحموا
سلها تجبك عن الأولى برئوا ... سلها تجبك عن الأولى ظلموا
فالحر ما تعلو عقيرته ... خلقوا له الأجرام وانتقموا
وإذا البراءة صرحت علناً ... عمدوا إلى الشبهات واتهموا
جاعوا إلى أكل البلاد فلا ... شره يجاريهم ولا نهم
لا يشبعون ولو أتيح لهم ... ما فى السما والأرض لالتهموا
قد أنكر الخلاق ذو طمع ... لم ترضه الأرزاق والقسم
قد حكموا فينا الضعاف هوى ... وتستروا خلف الأولى حكموا
قل للأولى صرعوا الوليد وما ... رأفوا بمصرعه ولا رحموا

توبوا عسى تنسى ذنوبكم ... فشعار مصر الصفح والكرم
وإذا أتى يوم الحساب فلا ... أسف يفيدكم ولا ندم
أين الشرائع من مظالمهم ؟ ... أم أين من دعواهم النظم ؟
حرية ذبحوا صحائفها ... فبكى دماً من وجده القلم
رقموا به تاريخ سطوتهم ... وفظائع التاريخ ما رقموا
لله يوماً كله أمل ... لله يوماً كله ألم
يوم به المنصورة احتفلت ... بضيوفها منصورة بهم
من كل قاصية ودانية ... جاءوا كموج البحر يلتطم
قدمت وفودهمو مرحبة ... إذ قيل حراس الحمى قدموا
ذكروا حمى دستورهم فبكوا ... وتأملوا الحامين فابتسموا
أنصرة الأوطان زاحفة ... تلك الجيوش وتلكم اللجم ؟
قد حاربوا الوفد الذى حسدوا ... والوفد كل الناس لو علموا
خير لمن ردموا لنا بركا ... لو أنهم (بركانهم) ردموا
زعموا بناء الوفد سوف يهى ... فتبينوا غير الذى زعموا
الوفد والأوطان تدعمه ... كالطود رأس ليس ينهدم
يا مصر قومك خير من ثبتوا ... فى مدلهم الخطب واقتحموا
يمضون فى الجلّى إذا نزلت ... فى حيث ينبو الصارم الخذم
قوم إذا ما السعف أرهقهم ... صبروا على الأرهاق واحتشموا
هيهات ما خارت عزائمهم ... لكنهم فى الأمر قد حلموا

يا يوم . لا تغرب وان غربت شمس النهار وحالت الظلم
سلمت علاك كما سلمت لها وعداك فى الأحقاب لا سلموا
ولتسلم الذكرى تظللنا رايتها لا الظال والسلم
ليواصلن الشرق راحمه فالشرق مقطوع به الرحم
ويحارب الأيام ما فتئت حربا على الأوطان تحتدم
حتى تسود به قبائله وشعوبه فى الأرض تلتئم
وتسود عرب الأرض فائزة بمرامها والترك والعجم
وتجئ مصر يوم مفخرها ومكانها الذروات والقمم
فهناك مجد الشرق مبتدئ وهناك مجد الغرب مختتم

إنزل على الرحب بعمان (١)

إنزل على الرحب بعمان ... وبدد الشك بايقان
انطلق اليوم بارجائها ... انك والطير طليقان
أقم مع الطير على بانه ... وطر مع الطير من البان
وسابق الطير إلى من له ... من سابق العزم جناحان
تعلم اللقط وكن هدهدا ... يجئ من عند سليمان
ولا تمل لشادن قصده ... لدى التآخى قصد شيطان
فى يده هاروت أجفانه ... وفى يدى عصا ابن عمران
أراك يا أسعد أنساك ما ... لم يك من بعدك انسانى
أخاف أن تغدو لنا قائلا ... ان الضنى سرى فاعدانى
فتب إلى الرحمن مما مضى ... واستبدل الكفر بايمان
وكن أخا لمسلم ناصحا ... وكن أخا لكل نصرانى
لا يسلم العالم من حربه ... مالم يعاونه الفريقان

* * *

(١) كتبها إلى الأستاذ أسعد داغر (رئيس قسم الصحافة بجامعة الدول العربية الآن) وكان قد أرسله الناظم بمهمة لجلالة الملك (الأمير آنذاك) عبد الله بن الحسين .

صل الخطا وارق إلى ساحة من دونها هامة كيوان
واذهب بإنجيلك نحو السما وعد إلى الأرض بقرآن
واغتنم الفرصة ما أمكنت واطلق سراح البطل العانى
تبين القصد وسطر لنا سطور هاد كل حيران
واختبر الأمر وكن راويا يصدق فى سر وإعلان
واحمتل الأنباء من غيرما زيادة فيها ونقصان

دموع الأسى

قالها فى تأبين أديبة مصر السيدة ملك حفنى ناصف المعروفة بباحثة البادية[1] :

عــلامَ دموع الأسى جارية ... وفيمَ تـكاثر احزانيــه
إلى أىّ منتصف بالحمى ... شكت ما ألمّ بهـا الشاكيـه
وعن أىّ جانحـــة أعربت ... وفى كل جانحـة كاويه
أمن ذكر دانية أصبحت ... على عجـل فى الثرى نائيـه
فبينا تَبْخَتَرُ فوق العيون ... إذا هى تحت الثرى ثاويه
وكم تركت فى الحشا من جوى ... زنود تباريحـــه واريه
ففى كل قلب لهـا موقـد ... وفى كل عين لها هاميه

---

(١) باحثة البادية هى ملك بنت حفنى بك ناصف ، كاتبة شاعرة من نوابغ جيلها ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ وتلقت مبادئ العلوم فى مدارس أولية . دخلت (المدرسة السنية) فحصلت على شهادتها الابتدائية سنة ١٩٩٠ وأحرزت شهادتها العالية (الدبلوم) سنة ١٩٠٣ واشتغلت بالتعليم فى مدارس البنات الأميرية ، واقترن بها عبد الستار بك الباسل (من زعماء قبيلة الرماح بالفيوم) سنه ١٩٠٧ وتوفيت بالقاهرة سنة ١٩١٨

كتبت فى الصحف والمجلات وكانت توقع مقالاتها (باسم قلمى) اختارته لنفسها هو (باحثة البادية) وأكثر ما كتبت فى (الجريدة) التى يحررها الأستاذ لطفى السيد باشا ، وقد جمعت من هذه الآثار كتابا طبعته عنوانه (النسائيات)

وللآنسة مى كتاب ثمين عن (باحثة البادية) فى تبيان أثرها فى النهضة النسائية والحياة الأدبية فى مصر .

سلوا سحب الدمع هل أطفأت ... لظى جمرات الحشا الذاكيه
وهل خفف الصبر وقع المصاب ... إذا كانت الكبد الداميه
فلا تحسبوا غيرتها الخطوب ... فتلك المزايا على ماهيه
إذا صحّ فينا بقاء الكمال ... فإن المزايا هى الباقيه

***

وقائلة ما لقلبى التوى ... وضاق به رحب اضلاعيه
إذا ضاق رحبك يا اضلعى ... فمن توكلين باحشائيه ؟
إذا جفّ غمرك يا أدمعى ... فمن ذا يكفكف أشجانيه ؟

***

أمفزعة القلب أم ناعيه ... نعت لِىَ باحثة الباديه ؟
صغيت ويا ليتنى لم أكن ... بنعى الفضيلة بالصاغيه
ويا ليت شعرى فمن لى إذا ... ضللت وقد غابت الهاديه
شهدت رباحى حتى ثوت ... شهدت بعينى خسرانيه
مضت والثلاثون فى نظرة ... وفى الناس من فات حتى المليه
ولولا القضاء وتصريفه ... وقتها من القدر الواقيه
ولولا رضى الموت عنها الفدا ... ء عاشت مدى الدهر بالفاديه
لك الله يا مألف المكرمات ... خلوت من الحكم الغاليه
ويا مسرح العين لا تزده ... فقد غربت شمسك الزاهيه

كأن فتاة الحمى بعدها نعته بمهجتها الصاديه
كأن دموع الأسى فى الخدود عقود سوالفها الحاليه
كأنى بحائرة المقلتين تنادى ألا أين انسانيه

***

بما أخذ الشرع أخّاذة بما جاء آمرة ناهيه
سخطت على الدهر دون الفتاة لتصبح فى عيشة راضيه
ويارب ليل كحظ الأديب حواشيه تسفع بالناصيه
تسنمته دون حيرانة من الوجد واهية ساهيه
فنبهت غافلة أو شكت تلين للمس اليد القاسيه
أبيت على مثلها أن تبيت كرامتها غرض الراميه
ومازلت حتى اهتدت وارعوت وكانت لك المنن الوافيه
وكم لكِ فى الدهر من منةٍ تجئ وأخرى لها تاليه
ولولاك كاد حجاب العفاف به تعبث الفئة الباغيه
ولولا جهادك عاد الحجاب على أهله خرقاً باليه

***

أذات اليراع الذى طأطأت لديه ذوات الشبا الماضيه
إذا ما مضى نحو غاياته فبيض الضبى دونه نابيه
أرينىَ كيف استباح الحما م شباه وأنت له حاميه

أرينيَ كيف دهته المنون ... وكان الأمان من الداهيه
وكيف جثا جده للخطوب ... وفى جده أمم جاثيه
هل الدهر أنكر تلك الفعال ... وفى جبهة الدهر منه شيه
أعيذك أن يشتكى علةً ... عرته وأنت له آسيه
بكته الخدود ورباتها ... ودانية الدار والقاصية
لأن تسمع اليوم نواحة ... فكم قد سمعنا به الشاديه
تشاطر باكيه ذات الجناح ... فلا يُسمع النوح من ناحيه
وشتان هذا بكى لوعة ... وآخر يبكى مع الباكيه

***

ألا فاسمعى والثرى حائل ... لهيفى عليه وتحنانيه
خططت رثائى وياليتنى ... خططت له اليوم إطرائيه
وأفضل ما قاله شاعر ... متى تك فى مثله القافيه

***

إليك ابنة الخير ألقى القياد ... أبوك وكل فتى راويه
فبرّزت بالكلم المستطا ... ب حتى ملكت به الناصيه
تواضعت حتى رأى ذو الغرور ... عظيم مكانتك الساميه
ورقت عظاتك حتى كست ... غلاظ الحشا رقة الحاشيه
فما قلت معجبة إننى ... عملت وهاتيك أعماليه

ولا قلت ذى شيمى فى الورى تروق ولا تلك آدبيه
ولا كنت فى الأمر معجالة ولا كنت ذات الخطى الوانيه
وأجهدت نفسك كى تستريح سواك وتنجو بك الناجيه
وعلمتنا أن بين النساء رجالاً على صور الغانيـة
أيجدى الرجال سوى دولة دعامتها المرأة الذاكيـة

***

تقول إليكم فمى فانتضوا ودونكم اليوم اخباريـه
وهذا كتابى حوى ما حوى من الأمر فلتقرأ القاريه
نشأت وللجهل حول النفوس ضجيج مريع حشا الناشيه
فقائلة ان حظى عفا وقائـلة إننى عافيـه
ومن قائل لا تجروّا العنا ولا تطلقوا الحرّة العانيه

***

وكان أبى واثقاً بالهدى وكنت بغير الهدى هازيه
بنور المعارف غذانيه ومن ظلم الجهل نجانيه
ومازال يمنحنى عطفه وما زلت طاعمة كاسيه
إلى أن شببت وشبّت معى نفوس جدودى وآبائيه
وسرت على أثر المصلحين وعدت غبيطاً باصلاحيـه
إلى ذلك الفرد مجموعتى ومن ذلك البحر إروائيه

فمن كنف المجد والمكرمات إلى كافل كفه راويه

* * *

فما انتشر العرف حتى انطوى نسيمك أيتها الذاكيه
عجبت من الموت كيف ارتقى وراض جماحك يا آبيه
كأن لم يكن بالحمى (باسل) إلى عزمه يلجأ اللاجيه
إذا قيل (حفنيها) ما كفى و(باسلها) فمن الكافيه

* * *

سألت الفضيلة عن حالها فقالت سل الخطب عن حاليه
لقد حيل بينى وبين التى لها كنت عوناً وكانت ليه
ورب يدٍ فصلت عن يدٍ وعاشت بعيداً عن الثانيه
وكنت أظن زمان الهنا ء يدوم على رغم حساديه
وما كنت أعهد قبل الأوان تدور الرزيئة فى باليه
وما كنت أحسب شمس الكما ل تسفى على وجهها السافيه
أحب الكمال ومن أجله أحب الودودة والقاليه
وأرعى الجميل وان لم يكن على سالف الدهر يرعانيه
أحبّاىَ كثر على ما أرى وأكثر من ذاك اعدائيه
وانى لأمقت أهل الرياء وما ذاك شأنى ولا دأبيه
فليسوا باكفائى الصالحين متى جيئ يوماً باكفائيه

ألا أين تلك التى لم تكن ... متى ذكر الخير تنسانيه
بنت لى بيتاً وأخشى الزمان ... يقوّض أركان بنيانيه
ولولا العلالة بالصالحات ... لعدت نجيبة آماليه
عسانى أرى خلفاً صالحاً ... يتمم ما بنت البانيه
ويرشد تلك التى ان سرت ... مع الجهل سارت إلى الهاويه

* * *

أخىّ عزاءً على ما دهى ... فما بك من حرقات بيه
ومن كان مثلك كان العليم ... أتخفى عل مثلك الخافيه
فبينا لنا العصر يخلى المجال ... إذا نحن فى الأعصر الخاليه
وكم كوز جرعتنا الخطو ... ب من بعد شربتنا الصافيه
سرت إبنة الخير نحو الخلود ... وسار أبوها إلى العافيه

فلسطين إن القصد لا يتحول (١)

فلسطين ان القصد لا يتحول ... وان صعاب الأمر سوف تذلل
فلسطين لا تلوى عن القصد واعملى ... فليس ينال القصد من ليس يعمل
فلسطين شاء الظلم أن تتحملى ... فكيف وهذا الظلم لا يتحمل
فلسطين سارى وفدك اليوم نازل ... له مربع فى كل قلب ومنزل
أأمة موسى جاوزت فيك حدها ... وموساك عنك اليوم فى الناس مرسل
إذا أدبرت عنك الليالى بوفدها ... فإنا على تكريم وفدك نقبل
أوفد فلسطين نحييك كلما ... زها محفل أو عن فى البال محفل
أوفد فلسطين الذى لست واحداً ... فإن جميع العرب فيك تمثل
لأنت الذى تمشى لذكراه والذى ... نكبّر اجلالا له ونهلل
إذا قيل وفد الحق جاء فاننا ... حفلنا به والحر بالحر يحفل
إذا لم يكن أهل البلاد حلى لها ... فجيد المعالى من فخار معطل
وكيف ترانا واقفين وقد مشت ... بأعراقنا الآمال تحدى وترحل
عسى الدهر بعد اليوم يصبح قاضياً ... بتحقيق ما نبغى وما نتأمل

(١) القيت ارتجالا فى حفل تكريم الوفد الفلسطينى الذى مر بمصر سنة ١٩٢١

ترى العرب فرضاً رعى ود حليفها ... إذا جدّ فى رد الحقوق تشرشل[1]

وان لم يكن حكم اليراع بعادل ... فإن رجوع السيف فى الناس أعدل

بنى المجد ان شدّ الزمان عليكمُ ... فشدوا واما يجهل الدهر فاجهلوا

أعدوا له ما اسطعتموا وتأهبوا ... وإن جلجل الخطب المريع فجلجلوا

وليس سواء والخطى تتبع الخطى ... غداة الوغى شاكى السلاح واعزل

فكم ليلة ألوى باذنىّ سمعها ... صدى صارخ فيها يجد ويهزل

فقال بشير الخير هبوا إلى العلا ... وقال نذير الشر لا تتعجلوا

---

(١) ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني فى ذلك العهد وقد كان بالقاهرة آنذاك لبحث قضية العراق

إنّا بنوك المخلصون

وقال عند زيارة جلالة المنقذ الملك حسين لعمان سنة ١٩٢٣ .

يا حبذا يوم المنى يوم الهنا يوم السعود
يوم بطلعته لنا جاء الزمان بما نريد
طلع الحسين به كما طلع الصباح على النجود
مولاى بشرك هزّنا هزّ الصبا غضّ القدود
مولاى عطفك فوق سا لفة العلا عقد فريد
مولاى ذكرك وردنا فى الصالحات من النشيد
مولاى جودك نصرنا ان عضّنا الزمن العنيد
تشريف مولانا لنا عقد الفخار لكل جيد
مولاى يومك عندنا عيد ولكن أىّ عيد
العيد لفظ يستفيد وأنت معناه المفيد
إنا بنوك المخلصون وأنت خير أب ودود
نحن رعاياك الأُلى سعدوا بمقدمك السعيد
نظرت إليك قلوبنا ان العيون من الشهود
تلقاك بالطرف الطموح إلى الكواكب من بعيد

تلقاك بالشكر الذى ما فوق كثرته مزيد
تلقاك بالقلب الذى ما فيه غيرك من لبيد
تلقاك بالأمل الكبير وأنت مبديه المعيد
بلغتنا آمالنا بالرغم من أنف الحسود
أحييت آمال الورى وسواك يحيا بالوعود
ما فوق فضلك فى الأنام زيادة للمستزيد
ليعش لنا سلطاننا فى العز خفاق البنود
زاد الهنا بوجوده ميلاد من زان الوجود

لولا رباب ونزار [1]

أشكوا إلى مولاى ما رابنى ... ولست أعدوه بشكرانى

محبب تحلو أحاديثه ... إذا جنا الحنظلة الجانى

ما زال يدنينى حتى إذا ... تملك المهجة أقصانى

عاديت كل الناس من أجله ... فصادق الناس وعادانى

خادعنى حيناً وخادعته ... وقبل أن أغريه أغرانى

أثلج قلبى بمواعيده ... لكنه بالخلف أصلانى

يعترض الرد باعراضه ... ويخلف الوعد بامعان

ويأكل الحق كما يشتهى ... ويطبخ العذر باتقان

لو كان قلبى بين أضلاعه ... ما قابل الوصل بهجران

لو عرف الحب وأسبابه ... أيقن باللوعة إيقانى

* * *

(١) كتبها إلى صاحب الجلالة الملك عبد الله ملك شرق الأردن (أمير شرق الأردن آنئذ) يشكو إليه السيد حامد الوادى رئيس الديوان الأميرى عند ذاك وكان من أصدقاء الكاظمى الحميمين . رباب كريمة الشاعر المعروفة ونزار شقيقها وقد توفى فى سن السابعة .

يرافق المولى ولا يقتدى برعى مولاه فيرعانى
ألم يكن أبصر ما خصنى المولى به يوم تولانى
كأنه لم ير ما أجزلت نعماه من عطف وتحنان

* * *

إن قيل فى الذكر له حامد قلت نعم حامد نسيان
وكيف لا أذكر خلات من يذكرنى حيناً وينسانى
يقول من شاهده ما أعتدى ولا سعى يوماً لحرمانى
لو وقف الرأى على مكره لقال ذا فارس فرسان
أستغفر الله إذا لم أزن فعاله الغر بميزان
مواعد لكنه مسرع ومنجز لكنه وان
إنجاره جرَّ إلى أحقب ووعده يدرك فى آن
لا عيب فيه غير فرط الحيا ونفعه لكل إنسان
وهو لمولاه إذ داهمت جائحة أقرب قربان
وهو على ما فيه من جفوة أخلص أحبابى وخلانى
إن كان قد أذنب أو قد جنا فالذنب ذنبى وأنا الجانى
إنى أقاضيه ولا أكتفى وحبذا لو كان قاضانى

فاحكم له أو لىَ فيما ترى واجز المسيئين بإحسان
واقض على المذنب أو جازهِ صفحاً وعاقبه بغفران

* * *

لولا رباب ونزار وما يبتغيان ويريدان
ما كان أغنانى عن حامدٍ عن حامدٍ ما كان أغنانى

لا يذهب السقم بعزمى

وكتب إلى سمو الأمير (جلالة الملك) عبد الله : ـ

أكتب هذا وأنا فى الفراش ... وأنملى من الضنى بارتعاش
وأعين على وسادى لقاً ... وأكبد حول سريرى عطاش
يهمّ عضبى ولا فعى الضنى ... ما بين قلبى وضلوعى نهاش
لا يذهب السقم بعزمى ولا ... تقعد بى عين رقيب وواش
وكيف لا يرهف عزمى إذا ... ما نبَضَ القلب أو الصدر جاش
لا مات قحطان وفينا دَمٌ ... إذا سفكنا الدم قحطان عاش
إنا إذا ما قيل أوطاننا ... حمنا عليها حومان الفراش
جميعنا فى حبها واحد ... من راكب إلى الأمانى وماش
انا بنو المجد فما بالنا ... ينيمنا طارق يوم غشاش
يعبُّ ذو المجد عبابا ولا ... يرضى على الظماة سقيا رشاش
المجد يبقى ظله سرمداً ... وما سوى المجد خيالاً تلاش
لنا ظبى عزم حداد الشبا ... مضرمات وسهام تراش
أليس منا كل ضرغامة ... فحل ضراب لم يرعه خشاش
كل فتى مرسّخ قلبه ... كأنه ذو لبد أو مشاش

يقتحم الهول ولما يبل ليل طغى بهوله أو غباش
قولوا لمن يجهلنا فليجئ بخادع يخدعنا أو بواش
لسنا بنى العلياء ان لم نعد أوطاننا فى طرب وانتعاش
حياتنا موت إذ لم نشد حياتنا كل بعيد المناش
أفضلنا من سار دون العلا وافترش الصخر وعاف الرياش
من هجر الأهل ولم ينكمش وجاوز الوحش وفيه انكماش
لم أر عذراً لحسامى إذا ما إتسع الخطب وضاق المعاش
أكتم أو أفشى وكم فى الورى من كاتم سر الأمانى وفاش
من كان عبد الله رب الندى عوناً له فسهمه لا يطاش

يا طيرُ.....

أنا بالقدود وأنت بالأغصان ... يا طير شأنك والغرام وشانى
همى يطول مدى وهمك ساعة ... تشدو على فنن من الأفنان
شتان بين أخى هوى لم يأسه ... بين وبين أخى جوى أسوان
ان كنت ذا وجد يبرح فى الحشا ... فانا وأنت لدى الهوى سيان
أو كنت من وجدى خليًّا فليكن ... لى منك ذو عطف وذو تحنان
يا طير ان يخفق جناحك فى الهوى ... يوماً فقلبى دائم الخفقان
أصبو وتصبو غير أنك سالم ... مما شجانى حُبُّه وبرانى
حسبى وحسبك لوعة وصبابة ... أنا أوّل فيها وأنت الثانى
هل أنت عونى فى الزمان وصاحبى ... إمّا هتفت بصاحب معوان
بينى وبينك يا حمامة نسبة ... موصولة الأشطان بالأشطان
أبداً كلانا لم تعقه علالة ... ببلوغ آمال لنا وأمانى
أو ليس قلبك بالغصون معلقاً ... وحشاى بالأوطار والأوطان
هل من يكابد أو يعانى فى النوى ... مما نكابد حرّه ونعانى
فلقد عهدت الطير خير محدث ... يروى حديث الدار والسكان
يا طير هل خبر وكم أنا سائل ... يا طير هل خبر عن الخلان

يا طير لا تركن إلى النفر الالى ... سدّوا عليك مسالك الطيران

قل للعقاب الغر إن يد العدى ... مدت لهدم معاقل العقبان

هل نأمل اللائين حالوا بيننا ... فى الرائعات وبين كل أمان

آليت بعد اليوم ألا أبتنى ... مجداً بغير مهند وسنان

وأنا الذى صقل الصوارم والقنا ... دعماً فذاك موطد الأركان

ولقد ذكرت وما ذكرت سوى الصبا ... وهوى بريعان الصبا أصبانى

فإذا طلبت فليس أطلب صاحباً ... أرعى العهود له ولا يرعانى

وإذا صبوت هوى فإنى لم أكن ... أهوى حبيباً لم يكن يهوانى

لا إلف حتى أصطفيه كما اصطفى ... واراه خلاً صالحاً ويرانى

قالوا استمع قصص الهوى وحديثه ... هل حاجة للسمع بعد عيان ؟

إنى ألفت العشق فى شرخ الصبا ... وتركته والسن فى ريعان

وكرعت فى كأسيه فيما سأنى ... أو سرّ من وصل ومن هجران

هل أنت مذّكر لياليا التى ... سلفت على النغمات والألحان

أيام كان البدر رهن إشارتى ... والدهر ذو الجبروت من غلمانى

حيث الجآذر والربارب سُنّحٌ ... بمساقط الانقاء والكثبان

والشمس ترنو من فروج مجامر ... نحو الربيع بناظر فتان

ومعاطف الأزهار تسرع فى الربى ... ميلا وراء خطى النسيم الوانى

هل مثل رغدان في الورى علم (١)

ضنىً أمضَّ الفؤاد أم ظَمأُ ... يفرغ مما كوى ويمتلئُ
حجارة مسها الجوى فذكت ... بين حوانى الضلوع لاحمأ
جاشت بقلب المحبّ جائشة ... تلظى التياعاً وليس تنطفئُ
هذا مجال الروا فلا عجب ... ان صحت يا أيها العطاش شئوا

***

إليك يا ابن النبي مألكة ... كطبعك الصقل ما بها صدأ
جميع أجزائها جوى وهوى ... لا جزء أرقى بها فيجتزئُ
كمثل عهد الصبا لمن كتبوا ... ومثل نور الضحى لمن قرأوا
فما تلاها من لوعة ملأ ... إلا وعاها من لوعة ملأ
يرفعها بيتك الصغير إلى ... الكبير حيث الجلال يتكئُ
كأنما أمّ حوضها أسد ... كأنما راد روضه رشأ
كأنما الطير جاء من سبأ ... أو جاء يشأو جناحه سبأ
ينبئُ عن وجده المضيض بما ... يقصر عن وصف خطبه النبأ

---

(١) أرسلها إلى جلالة الملك عبد الله (سمو الأمير آنذاك) ملك شرق الأردن .

يشكو لرغدان كربةً نزلت وغاب عن درئها الأُلى درأوا
هل عند رغدان وهو ملتطم ان موالى رغدان قد ظمئوا
عزَّ على المجد ان يقول شجٍ انّ بنى المجد بالحما رزؤا

***

يا منبتاً للهدى لمن نبتوا ومنشأً للندى لمن نشؤا
ويا حما اللاجئين أىَّ حماً يلجا اليه سواك ان لجؤا
راجوك فى يومهم قد اضطربوا فإن تجب سؤلهم فقد هدؤا
لا تدع الآملين يكنفهم من عبثوا بالوفاء أو هزؤا

***

يفديك من عاهدوا وما حفظوا وأخلفوا وعدهم وما فتؤا
نفوسهم سلعة لمن بذلوا وهامهم تربة لمن وطأوا
لا يحسنون المقال ان نطقوا أو أحسنوا مرة فقد بذؤا
ولا يفى بالأقل ما اكتسبوا ولا يقى المستظلّ ما رفؤا

***

هل مثل رغدان فى الورى علم تأوى اليه الدنيا وتلتجئ
أوله للعلا وآخره ومنتهًى للندى ومبتدأ
لو جرؤ المالكون أن يصلوا إلى آدانى علاه ما جرؤا

هيهات لا يرتقى البغاة إلى ما يرتقى فى العلا وقد خسئوا
عداه داء سرى إلى نفر بداء نكث العهود قد وبئوا
كيف يعيش الرجاء فى كنف لا الورد مستعذب ولا الكلاء

***

يا جود رغدان من يجرئنى سواك يوم الندى فأجترئ
عهدى يجاريك لم يكن أبداً المهل من طبعه ولا البطأ
بن بالايادى جسامها وأجب غرك يوم السؤال يختبىء
ولا تكل ريثنا إلى عدنا يا ريثنا قد امضنا الظمأ
يعيش رغدان ما سعى ورمى وليس منه الاخفاق والخطأ
نبقى على عهده وكم نكث العهد أناس عمداً وما عبئوا
هيهات ان نرتضى سواه حماً أنا لقوم بعزهم ربؤا
نبرأ من حبّ معشر كلفوا بحبّ غير العلا وما برئوا
يا حبذا والقلوب شاهدة من ختموا ودهم كما بدأوا

إلى صديق

دارة لهوٍ بالجزع أعهدها ... يزهو بهيف الظباء معهدها

رعى مهاها حبّ القلوب ولا ... تقضم غير القلوب خرّدها

كم نظرة لى امّا وقفت بها ... والعين مطروفة اردّدها

تسعدنى عندها بكلّ جوى ... حشاشتى والدموع تسعدها

ومهجة ما برحت أكلؤها ... فى كل طرف باللحظ يقصدها

ضيّعتها أمس بين أربعها ... وضلّ عنها من راح ينشدها

لهفى عليها لو كان ينفعنى ... لهفى ووجدى لو كان يوجدها

ما خطر الرافدان فى خلدى ... إلاّ ترانى للعين مرفدها

من عبرات يمتد معبرها ... على خدود باد مخدّدها

أو زفرات يسّن زافرها ... قصد ضلوع فشا تقصّدها

وكيف يسلو الحما ذوو كمدٍ ... لم يدر طعم السّلو مكمدها

دع اللديدين واستعر كبداً ... يطول نحو الحما تلدّدها

الآن أيقنت ان جيرتنا ... لا تسمع القول حين انشدها

---

(١) أرسلها إلى صديقه الشيخ محمد المازندرانى فى الهند .

إذ نزح الحى وأختفى أثر الـ ـدار وفات العيون مشهدها

وفتيـــة كالنجوم حجّبها نحس الليـالى وزال أسـعدها

عهدى بها كالجبال راسيةً لا ينثنى فى الخطوب مفردها

كيف ثنتها الأحداث وأقتعدت منها الرزايا ما كان يقعدها

بدّدها حادث الفراق وقد كان جميعـاً لنـا مبددها

فارقتها والحشـا تساومنى تجلـداً لو يفى تجلـدها

فانتزع البين ايما مهج يبرق فيها الأسى فيرعدها

فى حالة لو تعى الصخور لهـا رقت لحالى وذاب جامدها

الوجد من خاطرى يقرّبها والبين عن ناظرى يبعدها

ما أبتدرت من حيا بوادره ولا طغى من لظىً توقدها

مثل دموع رحنا نصوّبها أو زفرات بتنـا نصعـدها

ولست أنس بالجزع دار هوىً أصبح نهب البلى مجددها

وقفت فيها أضفى السؤال ولا يطيق ردّ السؤال مُهمّدها

أزود الطرف من معالمها ويا لهـا حسرة ازودهـا

يا دار لا تطمئنى إلى مطر تسقيك عين ثراك أثمدها

وكل دار حاك الربيـع لهـا وشيا وقام النسيم يرصدها

اليوم تزهو بسربها وغدا طارفها للبلى ومتلدها

ورب أرض يغص نفنفها بصبوتى أو يضيق فدفدها

يظل عن حرها يظللنى ... فى بردها ضالها وغرقدها
شارفت منها اليفاع فانحدرت ... نفسى فيها وعزّ مصعدها
فى روضة غضة الشذا أنف ... يطرب أسماعنا مغرّدها
وكلما شوشت خمائلها ... صبىً أتاها الندى يلبدها
نزلتها طارحا بها رسنى ... والوجد من جانبى يصعدها
فاعترضتنى غيدائها ولوىً ... على فخ الشراك أغيدها
فصحت أهل الحمى غريرتكم ... فى الحسن قد تامنى تفردها
خذوا أحاديث حسنها ودعوا ... رواتها عن هوى تسندها
فرعاء ما أسبلت غدائرها ... يحمل منها الشذا مقرمدها
ينساب سبطا كالأيم مرسلها ... وينثنى شوشبا مجعدها
فتانة المقلتين خامصة الـ ... ـبطن محبب السنا مقلدها
ترمى فتصمى بالنبل من قصدت ... وهل تعدى الفؤاد مقصدها
تعمدت مقتلى فقلت له ... هناك يا مقتلى تعمدها
رأيت منها تودداً وقلىً ... فما قلاها وما تودها
يسوّف الوصل يومها لغدٍ ... لا يومها ينقضى ولا غدها
توعدنى باللقا وأحسبها ... تنجز يوم الحساب موعدها
ماذا عليها لو واصلت دنفا ... قربه للبلى تبعدها ؟
يا أخت ريم النقابنا غلل ... وفى ثناياك ما يبردها
تنهدت عن مفلّج عطر ... فهاج برح الجوى تنهدها

حتى إذا الليل مدّ كلكله ... على الروابى ونام حسّدها

جردتها من ثيابها علناً ... فراق ناظرى مجردها

مفعمة الساق قد توسدنى ... عبل ذراع وقد أوسدها

وكان جنبى بجنبها لصقاً ... إذا تمشت وفى يدى يدها

حتى إذا ما انزوى الكرى وغدا ... معاوداً مقلتى تسهدها

قمت ولا ما شهدته وإذا ... تلك خيالات كنت أشهدها

وعدت استعطف الرقاد وما ... إخال يدنو إلىّ مرقدها

فما لذى النفس وهى آبية ... ينقاد طوع الغرام مقودها

أليس تعزى إلى أمين خير أب ... يصدرها حرة ويوردها

فلست منى يا نفس أنت إذا ... راعك من ذى الخطوب مؤيدها

يا نفس لا تطمحى إلى بلد ... يعفى شيخها وأمردها

توردى العز واتركى بلدا ... تظما بجنب الحياض موردها

أنجدت أم غرت فى البلاد فما ... يغنيك أغوارها وأنجدها

عودى ولاقى محمداً فهو الـ ... ـخير وخير الورى محمدها

يرد عنك الخطوب ناصلة الـ ... ـأنياب يحمى فى التراب أوردها

يحفظ ما ضيع الأنام لنا ... عهود فضل فى الدهر نعهدها

له أياد علىّ ضافية ... أجحد نفسى ولست أجحدها

تفقدتنى بالطول منه يد ... يحى رفات الثرى تفقدها

كان لئيما من لم يكن أبداً ... يشكر معروفها ويحمدها

حسب بنى المجد سؤددا وعلا ... منه علاها ومنه سؤددها

نماه للعز والد عقمت ... بطن المعالى فجاء يولدها

وأولدته للمجد والدة ... زكا بحجر الفخار مولدها

بخ بخ للعلا إنه أبا ال ... قاسم فى فضله مقلدها

مصلحة للبلاد شيمته ... إذا عثا فى البلاد مفسدها

أقام فى الهند برهة فغدا ... إلى شباه يعزى مهندها

من لى به والديار شاسعة ... لا يتدانى إلىّ أبعدها

أخى دع مهجتى وما لقيت ... يطلقها الشجو أو يقيدها

سحاب جفنى وأنت ممطره ... ونار وجدى وأنت موقدها

لو فتشوا أضلعى لما وجدوا ... غير هموم هواك موجدها

أو قوموها رأوا فضول حشا ... يقيمها الشوق ثم يقعدها

ذرِ الليالى أقضها سهراً ... ونم خليا إن بت ترقدها

نحن أناس قضى الغرام لها ... ألا يذوق الكرى مسهدها

وزع أجسامها السفار كما ... توزعت فى الديار أكبدها

كم طرق للعلا وكم خطط ... إلى الأمانى كنا نمهدها

حتى إذا أينعت جوانبها ... قامت بنات الأحداث تخضدها

لما يزل يخلق العزاء لنا ... مطارفا والأسى يجددها

تزاحمت حولى الخطوب كما ... تزاحمت فى الرياض رودها

حملت منها ما لو تحمله ... روا كد الهضب ساخ ركدها

تطول ذؤبانهـــا علىّ ولا يقصر عن جانبى عمرّدها[1]
و إن من أعظم الخطوب على النفـــس اللواتى أمست تكبدها[2]
أسرة بغى أضحى يطاول ذا المجـ ـد لدى المكرمات أو غدها
لا فرعها طاهر الأروم ولا يعرف طيب النجار محتدها
يمسى ـ ووردصاب إلى صدرى ـ مصـــدرها سائغا ومواردها
بلوت من غيبها ومشهدها فساءنى غيبها ومشهدها
تبدى لى النسك ثم تحسبنى يغرنى فى الريا تهجدها
كيف ورجس الفحشاء قبلتها وحانة الخندريس مسجدها
إن لم أذقها حر الحديد فلا يقال لى فى الأنام أو حدها
قم عاطنى الراح راح أرؤسها تلك كؤس يطيب صرخدها
وروّنى من دمائها بردى أو يتروى الإيمان ملحدها
تقـــاعد الهم بى ولى همم يأنف ذلّ المقام مقعدها
لا بدعة نهضة يثور بها إلى مراقى السماك ملبدها
ومن تكن أرضه السماء فنعلا ه إذاً نسرها وفرقدها
ألست إما ركبت يفخر بى طرف كريم الآباء قعددها
بين ظبىً لو رأيتنا وقنـــا نسحب من ذى، وذى تجردها
وفى حشا المارقين نركزها وفى طلى المشركين نغمدها
قلتَ جبـــال الدنيا تقلّع والعيالم السبع عجّ مزبدها
هيهات توهى نبا العدا دعما مثل أبى قاسم موطدها

(١) الشرس الخلق ، والذئب الخبيث
(٢) أى تقصدها

فاسلم أبا قاسم وعش أبدا ... فى عيشة صالح مؤبدها
تسلّ أو تغمد السيوف لنا ... فمنك مسلولها ومغمدها
لتهتد الناس فى سناك وهل ... ضلّت أناس وأنت مرشدها
فُق البرايا وسد غطارفها ... فأنت ياذا الجلال سيدها
هذى القوافى والويل من نفر ... ينفر من طبعهم معقدها
أصوغ منها قلائدا غررا ... يقلّد الفخر من يقلّدها

يا لأيام الوصال (١)

قَرُبت أيامُ سعدٍ يا لأيام الوصالِ
بتُّ حتى جلبت لى رقدتى طيفَ خيالِ
وكستنى الفرحَ الدا ئم من غيرِ زوالِ
وأنالتنىَ ما قد كان مأمول المنالِ
وارتنى وصلَ مىٍ بعد صدٍ ومطالِ
برزت تختالُ فى مشيتها أى اختيال
غادةٌ ترفل بالسنـ ـدس فى المرط المذال
أقبلت فى لفتة الـ ـريم وفى عين الغزال
تَتَثَنَّى بين أسرا بٍ من الغيد حوالى
صحتى فى يد من با تَ ضجيعى واعتلالى
وشفائى سقم عينيـ ـه من الداء العضال
بات يسقينىَ فى فيـ ـه من الماء الزلال
يا سقى ليلتنا بالجـ زع وكّاف العزالى

(١) من قصائد الناظم العراقية وهى من قديم ما نظم .

نظم الأنسُ بىَ الشـــمل بهـا نظم اللئالى
فسناها ملء عينى بالتهانى متـــلالى
وشذاها فاضح منشـــور مطويُّ الغوالى
بينما كنت أرجّى النـ ـفس إبلاغ المعـالى
وإذا بالبشر يتـــلو عن يمينى وشمـالى :
قربت أيامُ سـعدٍ يا لأيام الوصـــال

دع الدمع يكثر إكثاره (١)

دع الدمع يكثرُ إكثاره ... فقد جاوز الوجدُ مقدارهُ
بنفسى رشاً رادَ حب القلو ... ب وعافَ الكثيب ونوّاره
تفرّع كالليل معقوصه ... فأرخى على الصبح أستاره
ومن وسط البان حلّ النطاق ... وزرّ على البدر أزراره
نضا فاتر الغرب من جفنه ... وأغمد فى القلب بتّاره
وقوّمَ هزهاز ذاك القوام ... وثقّف للفتك خطاره
وجار على كبدى طرفه ... كأن لم تكن كبدى جاره
يجرّ على الغنج طمر الدلا ... ل وقد ملأ الغنج أطماره
جنى ناظرى الوزر فى نظرةٍ ... فحمّل قلبىَ أوزاره
وقد جرحت مقلتى خدّه ... فأدرك من مهجتى ثاره
فمن رام إدراك غالى الجمال ... تتبع فى الحسن آثاره
أظبىَ النقا ـ صل معنًى رقا ... سهول الغرام وأوعاره
لقد طال منك التنائى فزر ... محباً سوى الهم ما زاره
وسَرَّ لكَ الوجدَ لكنما ... أذاعَ له الدمع أسراره

(١) من غرر قصائده العراقية ومن قديم ما نظم

قضى وطراً منه برحُ الغرا ... م ولم يقض من مىّ أوطاره

وعضّ على الوجد منه البنان ... وأدمى من العض أظفاره

يقول وقد بان منه الخليط ... خذى أيها الريح أخباره

متى يكُ طوقاً له ساعدى ... وفاضل نهدىَ زناره

فكم بتُّ والراح حولى تدار ... أسامر فى الحى سمّاره

وبات على الروض زهر الربيع ... يغازل نرجسه غارُه

أهذا بغام ظباء النقا ... أم العود حرّك أوتاره

وتلك وجوه طَلَعْنَ له ... أم الليل اطلع أقماره

عهود تقادم أزمانها (١)

سقى دار نعمى الحيا المنسجم ... وروّى ثراها سحاب الديم
تذكرت عهد شبابى بها ... وعهد شبابى بها منهشم
وهل نافع لى إذكار الصبا ... وقد زال عهد الصبا وانصرم
أهاج لقلبىَ تذكاره ... كوامن ما فى الحشا من ألم
فقدت شبابىَ قبل الفطام ... ولاقيت شيبىَ قبل الحُلُم
وقبل الثلاثين فى خمسةٍ ... تناهى المشيب بفودى وتم
على مسقط الرمل من عالج ... وفى مربط الجزع من ذى سلم
وفى بطن نجدٍ فنقب الغوير ... فوادى النقا فثنايا العلم
عهود تقادم أزمانها ... فلهفى لتلك العهود القدم
وأيام لهوى بقى عمرها ... على اللهو حتى فنى وانخرم
وسرعان ما زال ريعانها ... وطوّح حادى المطايا وزم
أحباىَ خلفتموا لى الهموم ... وبتم خليين من كل هم
وعهدى تواصون دون الصديـ ... ـق بحفظ العهود ورعى الذمم
تهادى النجوم على إثركم ... كأن النجوم دموعى السجم
فما رضت وجدىَ إلا طغا ... ولا ذدت دمعى إلا انسجم

(١) من قصائده العراقية

قلوب كلها ألم ووجد (١)

صروف الدهر أهونها أشد ... إذا نزل القضاء فلا مرد
أجل الرزء ما ترك البرايا ... تروح على مرارته وتغدو
وأدهى الخطب ما جلب الرزايا ... ولم يحسس له برق ورعد
وأفجع ما دهى أسر المعالى ... علاء غيل صاحبه ومجد
وهل يبلى الجوى تركت لظاه ... جوى فى كل يوم يستجد
وأعظم ما يمض النفس ند ... يفارقه من الأحباب ند
وما كل امرىء أمسى فقيداً ... يحس له مدى الأيام فقد
فلا كان الجوى أو كان بينى ... وبين عقائر الناعين سد
خلا روض الأحبة من طروب ... وأصبح نائحاً من كان يشدو

* * *

هل الأحباب قد علموا بأنا ... نبيت على الجوى والغمض سهد
لقد سارت مطاياهم عجالا ... غداة سروا وحادى البين يحدو
أهاب بهم منادیهم فلبوا ... وجد بهم مسيرهم فجدوا

---

(١) فى رثاء الأستاذ القانونى أحمد بك لطفى.

وما التفوا و بى كلف وشوق ولا سألوا ولى كدح وكد
وهل كان الأحبة يوم حلوا رحالهم كما هم يوم شدوا
مكان البيض من تلك الليالى ليالٍ حالكات اللون ربد
فوالهفى وما لهفى بمجد قد انقطع الرجا وارفض عقد
كذاك طبائع الأيام يوم يجود لنا ويوم يسترد
هل الآجال للآمال إلا معاول كلها نسف وهد
وما الأقدار للمخلوق إلا وقوف عن تماديه وحد

***

تصبحنا منايانا وتمسى وليس لها سوى التفريق قصد
تفرق جمعنا والألف خدن وتجمع شملنا والألف ضد
وبينا المرء طود مشمخر إذا هو فى قرار الترب لحد
تضم السبعة الأشبار قرماً له الآلاف تعنو وهو فرد
ومن وطاء السماء باخمصية يعود له وراء الترب خد
وينتزع الصديق الدهر قسراً ويفجعنا الزمان بمن نود
وكم جاءت صروف الدهر أداً وما علمت بأن الأمر أد
تشد على العظيم ولا تبالى أهان الأمر أم وقع الأشد ؟
وتتخذ الكرام لها مراماً فتأخذ ما تروم ولا ترد
كذا الدنيا على طرفى نقيض مزاج كؤوسها صاب وشهد

فيوماً وجه أحمد ليس يخفى ويوماً وجه أحمد ليس يبدو

***

ألا أين الصديق إذا توارى وفاء الناس يصدق منه وعد
ألا أين الذى إن زال عهد يدوم مدى الليالى منه عهد
وأين فتى المزايا لا لؤى تعد له ولا ومنه معد
ولكن الفضيلة خير عرق به يزكو أب ويطيب جد

***

أحب الناس للأوطان ندب له عرق بها منها يمد
يسير بها الهوينا غير وانٍ ولا متسرع والسير وخد
ويأبى أن تكون له بلاد يعيش الحر فيها وهو عبد
وراكب رأسه أن سارَ يوماً فليس له من العثرات بد
ومن ركب العزائم للأمانى فليس يضيره حر وبرد
ومن جعل الجهاد له وسيطاً فحصته من الغايات خلد

***

أعيذك أحمداً وأعيذ عزماً لأحمد لا يهوم منه حد
أجدك لم أخل تلج المنايا وحول الغاب أشبال وأسد

عجبت من الردى وعجبت مما ... يحاوله الردى فيما يود
وأحمد فى كهولته شباب ... تخاوص دونه شيب ومرد
فضائل أحمد والبدر طفل ... ولائده وأفق الفضل مهد
وما كل الجراز العضب لكن ... تعالى السيف حين طغى الفرند
وما سئم المجاهد إذ تولى ... ولكن شفه وصب وجهد
ففى مصر عليه وفى سواها ... قلوب كلها ألم ووجد
أأحمد إن فى مصر نداء ... وليس لأحمد فى مصر رد
محامو مصر والقاضون فيها ... لأحمد كلهم شكر وحمد
فكم لجأوا لفكرك واستفادوا ... وكم لجأوا لبحرك واستمدوا
وكم لجأ الأباة إليه حتى ... ضفا منه على اللاجين برد
إذا ما عد للقانون فضل ... ففضلك قبل والقانون بعد

***

نصير الأبرياء أجب ضعافاً ... أهاب بهم قوى يستبد
قضت أغراض قوم أن يبيتوا ... كما بات الجناة وساء قصد
وعدوا فى الجناة وهم كرام ... غيابات السجون لهم تعد
ولولا دفع أحمد يوم ضيموا ... وقد ملوا حياة الخسف أردوا
تكشفت الحقائق من شهود ... بفضلك والمجلى ضغن وحقد
نصرت العدل والدنيا مجال ... وآجال المظالم لا تحد

لقـد بطل الزمان وأنت حق ولم يأخـذك دون الحق نقد
وأنت لـكامل وفريد ند بحيث يعز للقمرين ند[1]
ذهبتم مثلما ذهبت سـيوف لهـا عند الطلى فرى وقد
وقد بنتم وللأوطان حزب يناصره من الأوطان وفد
يعز الشعب يرعاه بنوه وليس يهون شعب منه سعد

(١) مصطفى كامل باشا ، ومحمد فريد زعيما الحزب الوطنى المصرى

تأريخ

قال الأبيات التالية مؤرخاً مسير جلالة الملك حسين فى رحلته من العقبة إلى عمان فى شهر جمادى الآخر سنة ١٣٤٢ هـ .

مليكُ العربِ قد سارَ وحلَّ اليومَ فى العَقَبة
لتحقيقِ الرجا يسرى وما فى نهجه عقبه

معانٌ والمليكُ بها ومن حساده الفلك
هى الدنيا بأجمعها وأجمعها هو الملك

ما بين إعظام البلاد و بين إجلال العباد
أحلِلْ محلك فى القلو ب فداك منا كلّ فاد

آمالنا تحققى وردّدى وحبّذى
أهلاً وسهلا بالمنى ومرحباً بالمنقذ

تحية الحسين (١)

ربُّ الجلال تحيةً يهديكها ربُّ القوافى
آمالُ يعرب كلها من حول ركبك فى طواف
عادَ النجاحُ لها إذا عادَ التدارك والتلافى
وافت وفودُ العربِ كى تسعى إلى البطل الموافى
أما لقاءك فى المدائن أو لقاءك فى الفيافى
فإذا أبيت فقد أبوا غير التباغض والتجافى
وإذا رضيتَ فقد رضوا من أجل سعيك بالتصافى
ساداتُ يعرب جانبوا طرق التنائى والتنافى
إن اعتراف الناس لا يغنيكم عنه اعترافى
هذى وفودهمو وخافى القصد منها غير خاف
إنى أخاف عليهم يهفو بهم فى الأمر هاف
أخشى على استقلالهم يُمسى ويُصبح فى العوافى
وأخافُ إن طالَ المطال سفت على الأمل السوافى

---

(١) قالها مؤرخاً وصول جلالة الملك حسين فى رحلته بشرق الأردن إلى عمان يوم السبت ١٣ جمادى الآخر سنة ١٣٤٢ هـ .

وتلا انصرافهمو على رغمى ورغمهمُ انصرافى

ان ائتلاف القلب لا يُبنى على غير إئتلاف

لم يستقم نهج الوفاق على تعاريج الخلاف

ليت الذى أضنى هدى المضنى إلى طرق التصافى

إنى انتشيت وطاستى قلمى وذكركمو سلافى

وكتب إلى سمو الأمير (جلالة الملك) عبد الله :

عامٌ وأنتَ الموئلُ يمضى وعام يقبلُ
ما سائنا الماضى إذا ما سَرّنا المستقبلُ

وكتب إلى سمو الأمير (جلالة الملك) على بن الحسين عند زيارته لعمان :

أقرَّ العين مطلعُكا ومتّعها تمتّعُكا
ليهن العُربُ تسمعُها علانيةً وتسمعُكا
لك الأوطان أجمعها وللأوطان أجمعُكا

حسبكِ يا ليلاى ... (١)

كم بالقبيبات على حاجرٍ ... من قمرٍ بادٍ ومن حاضرِ
وكم على الرضراض من رمله ... من رَشأٍ ظامى الحشا ضامرِ (٢)
ومُشرأبٍ بالحما آلفٍ ... لمشرأبٍ بالحما نافرِ
وفاتر الناظر يعطو إلى ... مُذعّرٍ ذى نظر فاترِ
ملتفتاً فى الحى من رقبة ... تلفّت الريم إلى الذاعرِ
قد لعبَ الدلُّ بأعطافه ... لعب الصبا بالغُصُنِ الناضرِ
من لى به من عطرٍ ثغره ... يسحب فض البَرَدْ العاطرِ
بكسر قلبى كاسراً طرفه ... فهل لذاك الكسر من جابرِ
جارَ على قلبىَ سلطانُه ... الله فى سلطانه الجائرِ
ما لى عليه أبداً ناصر ... وكم له علىّ من ناصرِ
يا مهجتى صبراً على ظلمه ... ما أكبر الظلم على الصابرِ
ويا جفوناً سهرت ليلها ... ما أطول الليل على الساحرِ
فهل لصبحِ الوصلِ من أول ... وهل لليل الهجرِ من آخرِ
يا آمرى فى الحبِّ لا تنته ... أفديك من ناهٍ ومن آمرِ
طرفُ غريمى واترى فى الهوى ... يا ترتى من طرفه الواترِ

---

(١) قصيدة عراقية من قديم ما نظم الناظم (٢) الرشأ : ولد الظبية .

لم تخلُ منه أبداً مهجتى ... إذا خلا من شخصه ناظرى
أنْجَدَ أَمْ غارَ فلما أَزَلْ ... من منجدٍ فيه ومن غائرِ
غدا عليه لائمى حاسدى ... وراح فيه عاذلى عاذرى
كم واردٍ وردى فيه ولا ... عن ذلك المورد من صادر
وكم فتى كان به رابحاً ... عاد بقلب الخائب الخاسرِ
يُنسب فى الحسنِ إلى هاشمٍ ... فياله من نَسَبٍ طاهرِ
ما بنت عنى يا غزال النقا ... ما خطر السلوان فى خاطرى
فدى لعينيك عيون المها ... من رمل نجران إلى حاجر
حسبك يا ليلاىَ ما نلته ... ما ناله قيس بنى عامرِ
راح فؤادى قطعاً واغتدى ... يرقص فى قدر الجوى الغائرِ
وبان عنى سامرى شارداً ... وبتُّ فى الحى بلا سامرِ
فليهجر الطرفُ لذيذَ الكرى ... فقد غدا مواصلى هاجرى
وأنتِ يا عين أعينى الحشا ... برشةٍ من دمعك الهامرِ
وأنتَ يا جحر الجوى نجّنى ... من غمدات المدمع الغامرِ
كم زمن قضيته بالحمـــا ... بذكره لذَّ فمُ الذاكر
جنيت فيه ثمرات الهوى ... من وارق العود إلى ثامر
إن غاب عن عين المعنّى فكم ... من غائبٍ بين الحشا حاضر
من مُبلغٌ عنى الورى قولةً ... تفتر عن ذى كبدٍ فاغر
إن ريب الخدر فى حسنه ... راض جموح الأسدِ الخادر
عجبت من صعبى كيف إننى ... طوع زمام الرشأ النافر

مشتهرٌ عزمىَ بين الورى ... كالسيف هزته يدُ الشاهر
أهتزُّ شوقاً لاقتناص العلا ... مثل اهتزاز المقضب الباتر
أنمّق الشعرَ ولكننى ... منزهٌ عن حرفة الشاعر
صنت به كل فتًى طيب ... ممزقاً كل فتًى عاهر
فخرت بالنقس وكل إمرئٍ ... بغيره بين الورى فاخر(١)
كم لك يا دهرىَ من عثرة ... فلا لقاً لجدك العاثر
ما آن من أن تأتنى طائعاً ... كالبازل المنقاد للناحر
لتزدهى الدنيا على الزهر فى ... سنا شقيق القمر الزاهر
فكل معنًى من معانىَّ قد ... سار مسير المثل السائر

(١) النقس : المداد الذى يكتب به

لك أزكى السلام والصلوات [1]

عاقنى عن لقا الحبيب الموانى ... والكريم المحيط بالمكرمات [2]
وصبٌ شاغل لخمس حواسى ... وأسًى آخذٌ بست جهاتى [3]
غادرانى فى حالة لا إلى الأ ... حياء أدعى ولا إلى الأموات
فلك العذر إن ما قد تراه ... كان منى فلم يكن من ذاتى [4]
انما السقم آفة دون ما يه ... وى المعنى من أبرح الآفات
يعدم النفس لذة الأكل والـ ... شرب ويودى بسائر اللذات
كم الى كم أشكو ضنايَ لآ ... سيه وآسيه معرض عن شكاتى
إن ما فات كان ضنكاً وضيقاً ... فعسى فرجة بما هو آتِ
وفد العام مستجيراً بنعما ... ك كأمثاله من النائبات
فأجره بصيب من أياديـ ... ك اللواتى لما تزل صيبات
وأتره بكل آية فضل ... فمعاليك جمّةُ الآيات
وتولَّ الذين والوكَ فيه ... بتوالى الإشفاق والمعطفات
ومر الدهر يمتثل فيبدل ... سيئات الزمان بالحسنات
غير بدع إذا رأينا الليالى ... لك أمست دون الورى خاضعات

---

(١) قالها على البديهة فى صدر كتاب كتبه وهو مريض إلى صديقه الإمام محمد عبده
(٢) الموانى : الموافق (٣) الوصب : المرض (٤) الذات : الطبيعة .

إن طاعة الإمام على كل موا ... لٍ من أفضل الطاعات

لا عداك الهنـا ولا جازك البشر بكر الشهور والسنهات[1]

كل وقت يمر فهو على النـاس بذكراك أبرك الأوقات

إن نحتك العفاة من كل فجٍ ... فهى تنحو محيي رجاء العفاة[2]

وإذا أمّك الضنيك من الكر ... ب فقد أمّ فارج الكربات

وإذا جاء ساحـة دون ناديك فقد جاء أرحب الساحات

بك يضحى الطلوب أقصى أما ... نيـه ويغدو بأنجح الطلبات

عش محلاً فى كل عام جديد ... بجديد عذب المذاق فرات

من تهانٍ ممزوجة بكؤسٍ ... من تهانٍ شهية النطفات[3]

وليوم ذكرك المبارك فى الـ ... ـخلق قرين الخيرات والبركات

لم يكن فى الأنام يصلح ذكر ... غير ذكرٍ يعيش فى الصالحات

وأبقَ للدين جامعاً كل شملٍ ... آل بعـد ائتلافه للشتات

وتقبّل جهد امرئ راح يهدى ... لك أزكى السلام والصلوات

---

(١) السنهات : السنوات (٢) نحتك قصدك ، والعفاة جمع عاف وهو الفقير ، والفج الطريق الواسع (٣) النطفات : جمع نطفة وهى الماء الخالص الذى لم يشبه شىء .

وقال هذه القصيدة مخاطباً الجناب الخديوى عباس حلمى الثانى :

هل الأقدارُ تمنعُ ما يكونُ ... إذا حَكَمتْ بها تلك الجفونُ

فلا وأبيكَ لم تملك حراكاً ... ولم يسكن لهـا أبداً أنينُ

يقاضينى الغريم ولى عليه ... ديون ما تقاضاها المدين

ويرسـل لى بنظرته سهاماً ... لها فى كل جارحة رنين

يساومنا قلوباً غاليـاتٍ ... فيرخص عنده الغالى الثمين

ونرهن مثلها فى كل يومٍ ... ونعـلم لا تردُّ لنا الرهون

وكم عند الزمان لنا ديونٌ ... ولا ندرى متى تقضى الديون

عهدتك يا عميد تذوب وجداً ... إذا مرّت بخاطرك العيون

وتأخذك اللحون جوى وشوقاً ... إذا عزفت بساحتك اللحون (١)

فمالك لا تميل إلى التصابى ... ومالت بالبدور لك الغصون

ومالك لا يهزك ذكر عهـدٍ ... به سنحت لنا حورٌ وعين

إذا ما قلت لا يشجيك ذكرٌ ... فمالكَ لا تزايلك الشجون

وتلهجُ بالحبيب ولا حبيبٌ ... وترتاد القطين ولا قطين

لقد ظعن الخليط وكنت أدعو ... ولـكن لا تجاوبنى الظعون (٢)

أقولُ أحبتى وأرد طرفى ... ولا خلٌّ يردُّ ولا خدين

(١) لحون : جمع لحن (٢) ظعن : سار أو رحل عن الديار .

أحنُّ لهم ولى شجنٌ مقيمٌ ... وهل يجدى أخا شجنٍ حنين
وأرجع والبلابل مشعلات ... ووبل الدمع منهمل هتون
وكيف يبلّ حرّ الوجد دمعٌ ... وماء الجفن ـ كيف جرى ـ سخين
إذا ما قيل صبٌ أو ضنينٌ ... فها أنا ذلك الصب الضنين
أحب العاشقين ولست منهم ... إذا فى العشق منقصة تكون
وإنى إن عشقت فلا أبالى ... يطير اللوم أو تقع المنون
فلا تتبينوا سرًّا لمثلى ... فسرّى فى الخواطر لا يبين
إذا أُودِعتُ سراً مات عندى ... وساد على تحركه السكون
إذا أشرجت أضلاعى عليه ... أتدرى ما الذى فيها دفين
يميناً بالحجون وبالمصلّى ... وما ضم المصلّى والحجون[1]
فما أنا بالضنين ببذل روحى ... ولكن باسم من أهوى ضنين
دعونى أستبدُّ به دعونى ... لكم دين ولى فى الحب دين
هبوا أنى ضنيت وطالعتنى ... من الأحداث أبكار وعون[2]
فهل أنا للزمان أذلّ عنقى ... وهل أنا لليالى أستكين
فكم سلّت على بنات دهرى ... صفاحاً لم تصافحها العيون
سيوفاً إن تهمُّ إلى وتينى ... تزايل ـ قبل أن تصل ـ الوتين[3]
وكم قد أشرعت فيها الليالى ... رماحاً لا يبل لها طعين
وكم حشدت علىّ من الليالى ... جيوش أسًى يشيب لها الجنين

---

(١) الحجون : اسم مكان (٢) العون : جمع عوان والمرأة العوان ما كانت بمنتصف السن
(٣) الوتين : عرق فى القلب يجرى منه الدم إلى العروق .

فلا والله ما لانت قناتى لنازلة ولا كادت تلين

هو البدر المنير لكل أفق وهل للبدر غير ذكا قرين ؟

يشعُ سناه فى الآفاق حتى تزول به الحنادسة الدجون[1]

ويظهر للأنام فتجتليه وتنكص خشعاً عنه العيون

فيا لله أى سناً شهدنا شهدنا الشمس والآفاق جون

شهدنا كل مكرمة وفضل يفيض عليهما كرم ولين

فخذ ما شئت من دنياً ودينا فملء ردائه دنيا ودين

فهل يخفى لنا عدل مبينٌ وها هو فى الورى عدل مبين

وكنت إخال إن الأمن وصف إذا هو شخصك الملك الأمين

فيا قمراً له الأحشاء أوج ويا أسداً له الدنيا عرين

بمعقلك الحصين نقرّ عيناً بعين الله معقلك الحصين

أرى الدنيا هدوناً واضطراباً ودنيانا به أبداً هدون

وألفيت المكارم والمعالى تهلل فوقها ذاك الجبين

تساوى حكمه حتى تساوت وهاد الناس فيه والرعون

وساس الملك وهو فتىً سنٍّ ولكن الحجا كهل رصين

---

(١) الحنادس : الليالى الشديدة الظلمة

فأضحى الملك طلق الوجه لما تهلل فوقه ذاك الجبين

* * *

أقول وقولتى شرف ونبل و بعض القول بين الناس هون
لأصدقك الوداد وعزّ فرد يصرّح بالوداد ولا يمين
ستخترق القوافى طامحات إليك خيول أفكار صفون
وتضرب فى فيافى القول حتى تضيق بها الأباطح والحزون
كآساد الشرى تنزو ولكن فرائسها الهواجس والضنون
ضمنت سراحها إما اطمأنت ببابك حيث بابك لى ضمين
إذا زأرت بذكرك فى البرايا فقل زأر الأسود غدا طنين
فعدها بالرضا وعداً أكيداً يعد سلساً بمصعبه الحزون
شحنت سفائن الآمال نجحاً إذا وقفت بساحلك السفين
وحققت الظنون ولم تخيّب فبظن ظنوننا أبداً بطين
وكم قالوا ولم أسمع مقالاً ولكنى بما قالوا فطين
وعدت أشك فيما قلت حتى يعود الشك وهو بها يقين
فما عانى الملوك أقل شر إذا ما كنت أنت لها معين
وما افتقرت إلى عون المواضى إذا كانت بعزمك تستعين

* * *

ومر ببعض القصور فقال مرتجلا :

ومقاصر قصر التخيّل أن يقارب سمتها[1]
أعيت فصيح الخافقين إذا تكلّف نعتها
البدرُ يشرقُ فوقها والماء يجرى تحتها
هذابها يبكى قواهُ وتلك تندب بختها

(١) المقاصر : الدور الواسعة ، السمت : الطريق وحسن الشيء .

هذا الحسين [1]

أعلمت من راض الجماح فأسلسا ... أرأيت صبح البشر كيف تنفسا ؟

ما ريض ممتنع وبشّر شارق ... إلا لمطلق عزمة لن تحبسا

عد للمهند مجملاً ومفصلا ... ودع اليراع مرصعاً ومجنّسا

واظهر ظهور النيرات ولا تخف ... عند الخطوب ولا تكن متوجسا

أوَ لم تر الشطب الوهيف مجرداً ... أحلى وأعذب فى العيون وأسلسا

كالروضة الغناء دبّجها الندى ... ومشى بغصنيها الصبا فتميسا

تشتد لينة الشفار تمنعاً ... والعود يسهل قصفه إما عسا

إن الكمى متى استهل بعضبه ... يزداد فخراً فى العلا وتحمّسا

والليث أصحر إن أمسّ بنبأة ... والظبى إن خشى الشراك تكنسا [2]

للروع مدّخر الرجال فإن سطا ... خطب ولم تنكص فللأمن النسا

لا يعقدنّ بك الطلاب عن العلا ... فرض على المقدام أن يتلمسا

ولئن يفت قود الصعاب مضعناً ... نكساً فما فات الأبى الهندسا

لا خير فى عيش إذا هو لم ينل ... مجداً سماوياً وعزاً أقعسا

العزم أفضل ما ينيل وإنما ... بالعزم تعلو لا بليت ولا عسى

---

(١) جلالة الملك الحسين بن على (٢) استتر فى مخبئه .

من واصل العزمات أدرك قصده ... منها ومن خوّى أرمّ وأوكسا[1]
والخلق أدعى للعلا من فاته ... خلق فما شمّ العلاء ولا احتسى
والعلم أسماه تواضع أهله ... والجهل آفة من طغى وتغطرسا

***

شاورنهاك وعد لسيفك تستشر ... لبقاً بتصريف الأمور وكيّسا
السيف أوفى صاحبيك بموقف ... أو مجلس ان موقفاً أو مجلسا
أتعيش فى أمل النعيم وضوئه ... وتكاد فى حلك الشقا أن ترمسا
كدنا وكاد الدهر يبطش بطشه ... بالرغم من آمالنا أن نيئسا
كم بات ذو الكمد اللئيم مؤملاً ... نيل المنى مترقباً متحسسا
يرجو الليالى أن تنيل وربما ... جاد البخيل وقيل أحسن من أسا
يخفى السؤال لكى ترد له الهنا ... وتعيد موحشها عليه مؤنسا
بأشد ما عانيت من جرع الضنى ... دهراً وما قاسيت فى مضض الأسى
حتى استوى الزمنان فى عينى معاً ... لا فرق بين الصبح عندى والمسا
أتفرس المرء الأنيق وإنما ... من فاته الخير اليقين تفرسا
قنط المقر على إساءة محسن ... ونوى وآن لمحسن ألا يُسا
أدرى الزمان وقد طغى طغيانه ... قد حان فى صحف البقا أن يطلسا
هل يستقيم إلى مدى من ظهره ... قد عاد من طول الشرور مقوّسا
ولرب نجم فى المعالى أسعد ... عادت به سود الليالى أنحسا

---

(١) أرم : عض على الضرس ، أوكس خسر .

غالت مطامعهم وتلك قضية ضمنت بوادرها لهم أن تعكسا
من يوقظ اليوم الضروس طماعة فهو الحرىّ بناره أن يضرسا
قل للعدى فيئوا إلى أصلابكم تنمو غراساً ما أخس وأنجسا
فيئوا إلى تلك التى ما أنتجت إذ انتجت إلا العقور الأبخسا
هل فيكم إلا الذى من خسة أقوى ومن شرف المكارم أفلسا
أين المفلق برده من عرضه ممن تردى بالفضائل واكتسى
جهلوا لباس المكرمات فعاذر إن أنكروا غير المخازى ملبسا
ولو انهم قذفوا بأطهر خيمهم فى زامر متلاطم لتنجّسا
ظلموا ولو انهم ذاقوا الرشاد لأبصروا يوماً على الجانين أشأم أتعسا
يوم كأن عجاجه وسبوحه بحر طمى وأبو قبيس قد رسا
ما ان تنقل فارس فى حندس من نقعه إلّا وصادف حندسا[1]
إما اختفت أقماره وشموسه ففضاه أقمر بالصفاح وأشمسا

***

حَكَمَ الحسامُ على الأعادى حكمه وقضى على آثارهم ان تطمسا
والسيف إن يغضب تعاظم حده فأذلّ عرنيناً وأرغم معطسا[2]
إن يرجعوا فالعفو أقرب عندنا أو يطمعوا فالنجم أقرب ملمسا

---

(١) الحندس : الليل الشديد الظلمة .
(٢) المعطس : الأنف .

والويل للبـاغى إذا ما استيقظت أسيافنا واستنـكفت أن تنعسا

***

أين المفلق برده من عرضه ممن تردى بالفضائل واكتسا
نحن الأُلى اما تنض برودهم ألفيت أبيض فى نجـار أملسا
انظر إلى سوح المعالى تلقنا طبنا بهـا مجـنًى وطبنا مغرسا
إنا غرسنا المجد قبـــــل أوانه ولربَّ حارثة ونت أن تغرسا
نحن الأُلى اما تشد رحالهم تركوا لهم فوق السماك معرسا
تعنوا الوجوه لشيخنا ووليـدنا ونعيـد أوجهنا لها إن تعبسا
ترجى مواهبنا ويخشى بأسـنا إن قيل ليل للحوادث عسعسا
هذى خـلائقنا وتلك أصولنا تأبى البوازل أن تـكون العنّسا[1]
نحن الأُلى حفظوا ببذل نفوسهم حقاً أضاعتـه الغواصب أقدسا
نحن الأُلى تركوا الحياة وغلّسوا إن قيـل ركب للمنية غلّسا
يتهافتون على الحمام كأنه كأس الرحيق تبلّ غلة من حسا
وإذا تـكدست الخطوب وجلجلت أمروا العتاق القبَّ أن تتـكدسا
إما إلى الفردوس أو لذرى العـلا سوى كتائبنا البشير وكردسا[2]
إن كانت الأولى فاجر يقتنى أو كانت الأخرى ففخر يكتسا

***

(١) البوازل جمع بازل وهو الرجل الخبير .
(٢) كردس الخيل : جمعها وجعلها كتيبة كتيبة .

أو بعد ما ضاق الخناق وأطبقت ... عصب الضلال على الهداة المنفسا
تبقى سيوف بنى لؤى قوّماً ... وتظل أعلام الهداية نكسا
وهم الألى اما قضوا لم يسمحوا ... فى الأرض للأذناب أن تترأسا
يتباعد الإذلال عن وقفاتهم ... أبداً ولا يرنو إليهم حلّسا
قوم إذا خطبوا لمجد وليدهم ... غرر المعالى أمهروها الانفسا
وإذاهمو زفوا له أبكارها ... جعلوا النشار لها الطلى والأرؤسا
نشوى القلوب من القراع كأنهم ... يحسون ثغراً من أميمة ألعسا(١)
فهم المعاذ إذا تهوّر ظالم ... أو إن غوى شيطانه أو وسوسا
وهم الملاذ إذا تنكر حادث ... وأهرّ أن يهرى النفوس ويهرسا

***

من شاء أن يكسى العلا فليلتم ... للخمسة الأعلين من أهل الكسا
هذا « الحسين » وذاك أوّل من دعا ... والرأس أولى بالعلا أن ترأسا
ذو عزمة جعل الإله شباتها ... نقماً تصبّ على الطغاة وأبؤسا
قد شاد فوق ذرى الأشاوس مجده ... من عضبة الجبار دك الأشوسا
عضب كطبع الصبّ رق فرنده ... لكنه يجتث مهجة من قسا
فكأنما القهار قال لحدّه ... كن عاصفاً يذر الرقاب ومكبسا
وكأنما عزريل عاهد غرسه ... أن لا يغادر فارساً أو يفرسا

---

(١) ثغر ألعس أى كان فى شفته لعس أى سواد مستحسن فهو ألعس .

ما شام بارقة المذرب حالماً إلا انزوى فى فرشه وتكرفسا[1]
متوقد يبدى السنا ويعيده قبساً وبغية حائر أن يقبسا

***

نيطت حراستنا على رغم العدى بك «يا حسين» وسؤلنا أن تحرسا
يفديك منا كل أغلب مدره كان القضاء إذا قضى وتحمسا
ينقاد طوعك مسلساً لك قوده صعب تمنّع أن يقاد ويسلسا
من كل أروع كالسبنتى مصحراً ضحك الجراز بكفه إن عبسا
إما يطير إلى ذراك مفاخراً أو أن يطان على ذراه ويكاسا[2]
وإذا استقر له فؤاد فى حمًى فالليث إن أمن الطريق تخيّسا[3]

***

وقف الهدى لك حيث شاد لك العدى عرشاً تدين له العروش لتجلسا
لم تمتلك الا وزدت تواضعاً ولرب ممتلك يزيد تغطرسا
فانف على العرش الذى لك قد علا واشرف على الملك الذى بك قد رسا
أمطرت بالبيض الذكور مطهراً أرضاً بها عاث الشرير ودنّسا
والله عونك يوم تنقذ للهدى حرماً به هبط الأمين مقدسا
فمن الندى إلى الندى وعلى الندى رجع الحما خضل الربى مستأنسا[4]
ونجا بك البيت الحرام وللورى أمل بأن تنجى ضباك المقدسا

---

(١) تكرفس أى انضم ودخل بعضه فى بعض (٢) يطان من طان الحائط أى طلاه بالطين
(٣) تخيس من الخيس وهى غابة الأسد .
(٤) خضل الربى أى ندى الربى ، مبتل .

دم للهدى يا من وقيت لنا الهدى ورعيته من أن يراع ويوجسا
يمتد طرف الرشد نحوك شاخصاً يرتد طرف الغى عنك منكسا

* * *

أهدى إليك من المقال فريدة تسمو ويقصر طامعٌ أن يلمسا
طابت بذكرك فهى ترفع فخرها علناً وجاز لمغلق أن ينبسا
تأتيك بالقول الصريح بحيث لا يستطيع أن يومى الفصيح ويهمسا
تصبو النفوس لها وأما سمتها سمت الأعزّ من العقود الأنفسا
كلم بجيد الدهر منه قلادة وبسمعه نغم ترن تحمسا
كلم كشهب الأفق أسمع وقعه فى الأرض ذا صمم وأنطق أخرسا
والقول اما راع وانٍ أو صغى لسماعه الرعديد عاد عرمّسا
أدلى لديها السامعون من التى يلقى الفرزدق عندها المتلمسا
تلك العصور الحاليات تجمعت فى خلتى واخضر منها ماعسا
تبقى بقاء النيرات وإن تكن درس الزمان فذكرها لن يدرسا

دار العِزّ...

يقولون الديارُ عليكَ ضاقتْ
ودار العز واسعةُ النطاق
وهل سكن يضيق بنا إذا ما
سَكنّا فوق أكوار النياق ؟[1]

(١) أكوار جمع كور وهو القطيع من الإبل .

أمط الكرب واكشف الغماء

وقال فى أغراض له وقد أرسلها إلى صديقه الوفى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده :

من يبيد الأكدار والأقذاء ... ويعيد الأنوار والأضواء[1]
أمنير الآفاق شرقاً وغرباً ... أمط الكرب واكشف الغمّاء[2]
أولست الذى جنود الليالى ... إن رأته تراجعت أشلاء[3]
نط بهذا الزمان بعض معانيـ ... ـك يعد كله علينا هناء
وارم فى البحر قطرةً من مَزا ... ياك يعد ملحه الأجاج رَواء
قد أناجيك عن ضمير وود ... وأخو الودّ لا يملّ النجاء
وأناديك مرةً بعد أخرى ... ثمّ لم أسل أو تجيب النداء
أوَ تغضى يا أيُّها البدر عنا ... ما عهدناك تألف الاغضاء
أيُّها البدر ان إغضاك أقذى ... ناظر الرشد والهدى اقذاء
فاخرق الحجب وانشر النور يطو ... ى اللمعان الخلوب واللألاء
حبّذا ساعة أرى الشرق فيها ... بك يختال بهجةً وسناء
انّ ظنّيك لست تخلف ظنى ... ورجائيك لا تخيب الرجاء

---

(١) الأقذاء جمع قذى وهو مايقع فى العين والشراب (٢) أمط فعل أمر من أماط الشىء أزاله
(٣) جنود الليالى : ظلماته أوحوادثه ، والأشلاء جمع شلو وهو الجسد الواهن الأعضاء والظاهر يخاطب البدر فى آخر الشهر ولعله يريد غير ذلك .

أرنا ذلك الضـــياء يمزّق عن مواليك هـــذه الظلماءَ
أسر الهمّ كل قلب فهـــلّا نظرة منك تطلق الاسراءَ
أوشكت هـــذه القلوب تشظّى حرقاً والدموع تهمى دماءَ
كم نعانى من الأسى ما نعانى ونقاسى الزمان داءً عياءَ
أو ما آن أن تدور رحًى تط حن هـــذى الخطوب والأرزاءَ
سر بهـــذى النفوس عن خطّة الخسف وذرها تواصل الاسراء
خلّها تكثر النجاء فهـــذى رسل البشر ما تقلّ النجاءَ
وادعها تستجب دعاك سريعا تٍ إذا كنّ عن سواك بطاء
يالهـا ساعة إذا قيـل هبّت تشكل الأمهـــات والآباء
تحمـــل الميتين للبعثة الـكبر ى وتبلى بهولهـا الأحيـاء
بأسود مثـــل الأسود إذا ما زأرت تترك الزئير عواء
ورجال متى تجعجع على قو مٍ تزعزع رجالهـــا والنساء
وإذا يمّموا فناء الأعادى صاح داعيهم الفناء الفناء
فتميل المنون حيث يميلو ن اماماً طوراً وطوراً وراءَ

***

كل حر اذا أتى بعد حرّ خلت رضوى يغشى الوغى وحراء
آه لو صدّقت ظنونى الليـالى وأرتنى الأيام ذاك البهـاء
فـترانا والشرق يزهو على الغر ب بخر البرود فيـه ازدهاء
وتجلّت لنـا حقائقهـا الغر وأوضحن للعيون الجـــلاء
ما إخال الزمان يبقى عنيداً ربمـا أحسن الذى قد أساء
كم ديار كانت مقاصير عمرا نٍ وقد أصبحت طلولاً قواء[1]

(١) قواء : خالية

ثم عادت ربعاً فربعاً فكانت كل جرداء روضةً غناء
أين ذاك اليوم الذى نتمشّى فى رباه رغم العدى خيلاء
أتراه حيًّا فننشى التهانى أم تراه ميتاً فننشى الرثاء
من لجفنى بغفوة فى ليال أنكر الجفن عندها الاغفاء
لم يكن ذا المساء طال علينا إنما الصبح قد أحيل مساء
ليل همّ فى كل (ثانية) منه طوى الهم ليلةً ليلاء
إن يهج فهو كالفنيق اذا ها ج من العُقل يخبط العشواء(١)
أبداً يرهج الهموم على النف س كما الهوج ترهج البوغاء(٢)
كأبيه يشنّ فى كل آن غارة من صروفه شعواء
أهو العَوْد قام يرغو علينا أو كما العَوْد لا يملّ الرغاء(٣)
أنا فى جوفه كمن كان فى الحو ت يدارى الشجا ويبدى العزاء(٤)
أو أنا والظنون معكوسة فيه كمن جاءه بنوه عشاء(٥)
تارة أرقب الدرارى وأخرى أحسب الشهب كلّها رقباء
وكأنّ الظلام حظّ أديب فيه لا تلمح الربايا ضياء(٦)
وكأنّ النجوم فى خلل السحـ ـب عيون تكفكف الأقذاء
وكأنّ السحاب فيه دخان يتعالى فيعتلى الشغواء(٧)
أو عجاج تثيره أرجل الخيل وتسدى بنقعه الأجواء

---

(١) الفنيق : الفحل من الإبل والعقل بالضم جمع عقال (٢) أرهج الغبار أثاره والهوج جمع هوجاء (٣) العود : الفحل (٤) يشير بهذا البيت إلى قصة يونس عليه السلام (٥) ويشير بهذا البيت أيضاً إلى قصة يعقوب وأبنائه (٦) الربايا : جمع ربيئة وهو طليعة القوم
(٧) الشغواء : العقاب يضرب بها المثل فى ارتفاع الطيران

وكأنّ البروق أسياف آبا ئى إمّا توسطوا الهيجاء
هـذه تخطف العيون من الها م كما تلك تخطف الأحشاء
هـذه تترك الغمائم أنقاضا كما تلك تترك الأعداء
وكأنّ الغيوث أدمع مسبيٍّ ولت قومه الغزاة سباء
وكأنّ الرياح أنفاس مكرو بٍ تواصت أن ترمض الرمضاء(١)
وكأنْ برد ذا الشتاء حرورُ الصيف يشوى بحرّه المغراء(٢)
صوّب الغيث دمعه حين ألفى الريح فيه تنفّس الصعداء
وخيول الدموع فى حلبات الـ ـنوء تجرى فتسبق الأنواء
كسيول البطاح فى كلّ واد مرنت كيف تغمر البطحاء
أىّ ليل سهرته بك ياليل وكابدته جوًى وعناء
حرّ ما فى الحشا كسانى بك الصيف ولمّا انزع عليك الشتاء
كلما عنّ لى به ذكر ما فا ت تنهدت حسرةً وشجاء
والذى زادنى ضنًى ودعانى نضو همٍّ لا أعرف السرّاء
نفر كنت أفتديهم بنفسى وأقيهم بمهجتى الأسواء
أجّجوا فى جوانحى البرحاء وأثاروا علىّ داء فداء
كلفونى إبداء وجدى فأخفيت وزادوا فزدته إخفاء
وألحّوا فأظهرت منه شيئاً هفواتى وأبطنت أشياء

(١) رمضه : أحرقه .
(٢) المغراء : الأرض الصلبة .

كنت قد خلتهم دواءً لما بي ... من سقام فأصبحوا أدواء

ولقد كنت أحسب الودّ منهم ... نيّةً حرّة فكان رياء

كيف وليتهم فؤادى لا كيـ ... ـف وليسوا لما ولوا أكفاء

فكأنى أدعو إذا رحت أدعو ... هم لأمر حجارةً صمّاء

غرّنى خلّبٌ توهّمت فيه ... ديمةً تشمل الربى وطفاء

ولكم غرّ قبلى الآل قوماً ... حسبوه فى قفرة البيد ماء

فدع الناكثين يا قلب واطلب ... من يراعى لذى الوفاء الوفاء

الحبيب الذى به يعذب الحبّ ... وتغدو به القلوب رواء

وإذا ما به استطبّ سقيم ... كان طبًّا لسقمه وشفاء

يتردّى شمائلا لو تردّى ... مثلها البدر لاستقلّ السماء

وإذا فاضلت ثراه الثريّا ... فضلتها وجازت الجوزاء

ومتى شاء نيل أىّ مهمّ ... نال منه بحزمه ما شاء

قل لمن راح طالباً ندّه اطلبه ... تجد دون ذلك العنقاء

أىّ بدر ضاها محمد أم أى ... سماء حكت يديه سخاء

جلّ باريك يا محمد لم يُبْـ ... ـكَ إلا حمداً له وثناء

لك ذكر زان الوجود ووجه ... كلما أظلم الوجود أضاء

أنت يا حجة الإله على الخلـ ... ـق أرِ الخلق تلكم الأشياء

اللواتى إذا تبدّت على النا ... س أرتهم فى بردك الخلفاء

من مزايا وهبتها وسجايا ... وهب الله مثلها الأنبياء

يا حماة الإسلام هـل من أغرّ ... قام يحمى الشريعـة الغرّاء
هادراً عن شقاشق القدم لا يفـ ... ـتر عنها أو يخزم الخصماء[1]
ينتضى مضرب اللسان فيغـدو ... لَسِنُ القوم دونه فأفاء
يرفع المسلمين والدين عمّا ... كان دين الإسلام منـه براء
غـير مفتى الأنام من يمنّ اليمـ ... ـن سناه وأسـعد الافتـاء
افسحوا اليوم عن عروش المعالى ... لإمـامٍ يزيدها إعـلاء
وتنحّوا عن الزعامـة يعطا ... ها زعـيم يشرّف الزعماء
قد شآكم عزماً وحزماً وعـلماً ... وكذا الرأس يسبق الأعضـاء
واعذرونى إذا أنا قلت فصلاً ... وتجنبت فى المقـال الهراء
وتخـيرت من تخـيرت كفوءً ... للعلا حين لم أجد أكفاء
يا أبا القاسم المعظَّم أعظم ... بك من سـيد شأى العظماء
من يساويك فطنة وذكاء ... ويدانيـك عزة وإباء
لك فينا مآثر أتعبتنا ... لو أردنا لعـدّها إحصاء
وأياد موصـولة بأياد ... تسع الأرض والسما آلاء
كلّ يوم يضوع منك علينا ... أرج عمّ نشره الأرجاء
قد خصصناك بالدعا وسألنا الوا ... حد الفرد يستجيب الدعاء
ويبقيك رحمة لمواليك ... وسـيفاً على العـدى مضّاء
يا عماد الدنيا ويا عدة الدّ ... ين ويا كوكب الهدى الوضّاء
دمت للمسلمين عزاً وجاهاً ... وفخاراً وسـؤدداً وعـلاء

(١) خزم البعير : جعل فى منخره الخزامة .

مالنا نحن ضعفنا وقووا ... ؟

بى هلالاً فضل البدرَ سناء وغزالاً علَّم النفرَ الظباء[1]

فإذا ما روّضَ الجزع عطا وإذا ما أظلمَ الكونُ أضاء[2]

وبنفسى قمرٌ إمّا بدا أو رَنَا أغضت له الشمسُ حَياء

لم يَزل ينسخُ آيات الضحى نوره أو يلبس الليل رداء

بينما كنت أرى إيضاحه يخطفُ الأبصارَ اذ عاد خفاء

وخليط قد وَصَلْنا ودَّهُ وقطعنا فى هواه الخلطاء[3]

ألفَ الصدَّ فقلنا رشأ شأنه الصد تدانى أو تناءى

غاله صرف الليالى فانطوى فطوينا الودَّ فيه والولاء

كنتُ أرعاهُ صَباحاً ومساء صرتُ أنعاهُ صباحاً ومساء

وإذا أنعاهُ أو أندبهُ أندبُ العزَ وأنعى الكبرياء

كان ملوىّ السرى إلا لنا فلوى عنا التفاتاً وانثناء

أتراه قد تناءى عن قِلىً ما عهدنا فى تدانيه قِلاء[4]

أم ترى ترحاله كان جفاً لا وعينيه فما كان جفاء

---

(١) نفر الظبي نفراً تباعد وشرد (٢) عطا الظبي أى مشى ماداً عنقه وهى حالة محمودة فى الظباء (٣) الخليط الذى يخالط فى العيش والصحبة (٤) القلى البغض .

إنما الحادى دعا حتى لقد ... طبقت دعوته الدنيا زقاء[1]

ثم ما أمهله أن جاءه ... مستحثاً فتولاه وفاء

وكذا الأيامُ إمّا حاولت ... قطع أمرٍ واصلت فيه العداء

وخطوبُ الدهر إمّا نزلت ... فى فناء أقفرت ذاك الفناء

ودواعى البين إمّا قويت ... جعلت أندية الحى قواء[2]

ورياحُ الجدب إمّا عصفتْ ... فى ألاء قلعت ذاك الألاء[3]

ولجاجُ الحب لا يبقى على ... من تفانى فى الهوى إلا الفناء

وكذا يلقى الأسى من لم يكن ... دون من يهواه حرزاً أو وفاء

***

قل لحاديه أجب تسآلنا ... قد نراك اليوم أعجلت الحداء[4]

أتعودتَ النجا عند السرى ... أم تعمدتَ بمسراك النجاء[5]

ما نراك اليوم إلا ظالماً ... أخذَ الغصن وأعطانا الغثاء[6]

قد طويتَ البشر عنا والهنا ... ونشرتَ الهمَّ فينا والشجاء

وزجرتَ الطيرَ عن أوكارِهِ ... غلطاً جرَّ على الوكر العفاء

خله فهو فتىً يافع ... ثم ذرنا نحتفظ ذاك الفتاء

خله تنعم به أوطانُه ... وأبقه نحمدْ به هذا البقاء

وإذا ما رمت من ذاك فدىً ... فخذ الدنيا وما فيها فداء

---

(١) الزقا بالضم الصياح أو صداه ويريد بالحادى الدهر (٢) القواء بالكسر الخالية
(٣) الألاء نوع من الشجر (٤) الضمير فى حاديه راجع إلى الخليط وقصد به الشاعر المجد
(٥) النجاء بالفتح السرعة . (٦) الغثاء البالى من ووق الشجر .

بنت بالرىّ وغادرت لنا ... مهجاً حرقها الوجد ظماء
قد كذبنا ما وفينا معه ... إذ وأدنا الصدق فيه والوفاء
وانقلبنا من ذرى عادية ... لربى أحدثن للذل وعاء
وظللنا فى زمان كله ... سقم أفقدن أهليه الشفاء
وكذا من لم يكن ذا مِرّةٍ ... بالليالى كابد الداء العياء[1]
والذى هذبه العلمُ فلا ... يألف الداء ولا يعدو الدواء
وفّه يا عين فرضاً واجباً ... وأحذرى أن تهملى فيه الاداء
وأرينى كيف تسكاب الحيا ... يجعل الأوداء غدرا ونهاء[2]
واقضى يا نفسُ عليه جزعاً ... وتعزّى عنه أو فأقضى عزاء[3]
هل لنا والعيش أمسى خشناً ... غير أنّا نذكر العيش الرخاء
ونُمَنّى النفس فى فاقتها ... أن سيملا الدهر كفيها غناء
هكذا فليهج الذكر الأسى ... وليثر بين الحشا داءً فداء
قد ذكرنا مجدنا العذب الرواء ... وانثنينا نندب العذب الرواء
وكنينا عنه تخواف العدى ... تلفت الطرف لكانيه اشتفاء
أيها المجدُ تراجع وأقم ... واقصر اللبثَ علينا والثواء[4]
لا تكن مغترباً عن عصب ... أصبحوا منك جميعاً غرباء
بنتَ لا بنت فهل بعد النوى ... نلتقى أم أنت لم تنو اللقاء

---

(١) المرة بالكسر العلم والداء العياء الذى لا يبرأ منه .
(٢) الأوداء جمع واد وغدر جمع غدير ونهاء بالكسر الأنهار
(٣) التعزى الصبر والعزاء الصبر .
(٤) اللبث والثواء الاقامة

هـذه الأوطان تدعوك فعُد وأعد فى أهلها ذاك البهاء
لا تدع عين العـدى تنظرنا نظر الغرب إلى الشرق ازدراء

***

أيها الرامى إلى غاياتهـــا محسناً عن قوس فـكريه الرماءَ
أجل الطرفَ وجل بين الورى وابعث الفـكر هبوطاً واعتلاءَ
تجد الشرقَ هدى من صرحـه وترى الغربَ تعالى حيث شاءَ
إنّ ذا من كسلٍ نامَ وذا قامَ يشأى عزمه السيف مضاءَ
وكذا من كان فى يقظته ترك الراقد فى الشوط وراءَ
والذى يرجو المعـالى راقداً فاته اليقظان عزاً واعتلاءَ
ظلّ هـذا ينشق الهوج وذا راح لا ينشقها إلا رخاءَ(١)
أبداً من جال فى أنحائه لا يرى غير رزايا تتراءى
لا يرى غير أسًى يتلو أسى وعناءً لا يلى إلا عناءَ
وفتًى من جبنه بعـد فتى يتركُ الجمَّ ويرتاد اللغاءَ(٢)
وحمًى منهتك بعـد حمى ليس يلقى فيه ذو الروع إحتماءَ
كلُّ يوم أزمة تفرسه بنيوب تدع الطود هباءَ(٣)
يسرق الأزلم من أحداثه لمحة الطير إلى الفخ إقتذاءَ(٤)
ويردّ اللحظ فى أجفانه دامياً يعثر بالفجر عشاءَ

---

(١) الهوج جمع هوجاء وهى الريح العاصف والرخاء الريح اللينة الناعمة الهبوب (٢) الجم الكثير واللغاء الخسيس اليسير (٣) الأزمة الشدة . وينوب جمع ناب . (٤) الأزلم الدهر الشديد الكثير البلايا اقتذاء نظرة الطير ثم إغماضه عند وقوعه فى الشرك

وأولى الأمر كما تنظرهم أغفلوا الأمر وعدوا أمراء
قربونا للبلى وابتعدوا قاتل الله الطغاة البعداء
من يد للظلم أقوى من يد لم تنل إلا العباد الضعفاء
من أقاضى وغريمى ذو القضا فخذونى والقضاة الغرماء
أين لا أين الألى قد أنفوا وأبوا إلا المعالى والإباء
رجحوا حلماً وخفوا هماً ونشوا صيداً وشبوا زعماء[1]
للهدى كانوا أدلاء ولد مدل والمعروف كانوا خلفاء
فكأن لم يخلفونى أول الخلق إلا ليكونوا عظماء
لو دعاهم صارخ لا نتفضوا عن بطون الأرض واحتلوا السماء[2]
اطلقوا كل أسيرٍ مثلما ملكوا الأحرار جوداً وسخاء
لو تبعنا فى العلا آثارهم لزحمنا الشرقَ والغربَ علاء
تركو المنزل معموراً لنا ثم جئنا فتركناه خلاء
ضربوا العز لنا أخبية فنقضناها خباءً فخباء[3]
بنوا المجد علينا صُرُحاً فعقرناها بناء فبناء[4]
وبقينا صوراً جامدة لا يرى فيها أخو الرشد ذماء[5]
كلنا نلهج بالعلم ولا أحد منا يبارى العلماء
ليس للفضل نصيب عندنا غير أن نعرف منه الفضلاء
ندعى العلم ولو أنفسُنا أنصفتنا لدعتنا جهلاء

---

(١) الصيد جمع أصيد وهو الكريم السيد (٢) الصارخ المستغيث (٣) النقض ضد الابرام
(٤) الصرح بضمتين جمع صرح (٥) ذماء بالفتح بقية النفس

علماء الأرض قوم علموا ان فى الأرض نعيماً وشقاء
علموا من أين يجتاح الشقا فأزاحوه وعاشوا سعداء
شمروا والشك فى حندسه فأحالوا ظلم الشك ضياء[١]
كشفوا كل غطاً واكتشفوا كُنُزاً كان بها الترب ملاء[٢]
سخروا البرق فأضحى طوعهم واستقادوا من لظى النار العِصاء[٣]
وأذابوا من حديد زبراً وأعادوه رشاءً فرشاء[٤]
ثم مدّوه على هام الورى وأمدّوا فى حشاه الكهرباء
جعلوا البحر قصوراً والثرى أبحراً تزخر صيفاً وشتاء
ولقد عبّوا بأصفى مائها وشربنا فضله الرنق حساء[٥]
وخليق بالروى من صرم الـ ـكَدَرَ الآجِنَ عذبا ورواء
ليت شعرى ما الذى أطلقهم من عقال ودعانا أسراء
ما لنا نحن ضعفنا وقووا أوَ لسنا كلنا طيناً وماء

---

(١) الحندس الظلام (٢) ملاء جمع ممتلئ (٣) استقادوا الشيء جعلوه منقاداً لهم وعصاء جمع عاص لإشارة إلى الآلات البخارية (٤) زبراً أى قطعاً من الحديد والرشأ بالكسر الحبل يشير بذلك إلى أسلاك التليفون والتلغراف (٥) الرنق الماء الكدر .

وقصد الكاظمى مرةً إلى زيارة المغفور له الشيخ محمد عبده فى داره بعين شمس فقيل له إنه غائب وإنه لا يعود إلا بعد غروب الشمس ، فترك له رقعة كتب فيها هذين البيتين :

قيل بدرُ الهدى إذا غابتِ الشم سُ عليكم يعودُ فى عينِ شمسِ
فلهذا أودعتُهم هذه الطر سَ وأودعتُها حشاشةَ نفسى

والتمس أحدُ أصدقائهِ صورتَه ليقدّمَها إلى جلالة الملك حسين ابن على فلبى الطلبَ ، وكتب على الصورة هذين البيتين ارتجالاً :

ما العُربُ إلا صورةٌ مثلُ ذى تلتمسُ الروح من المنقذِ
فهى له إن قال هاتى لها وهى لها إن قال يوماً خُذى

فما راق لى إلا بذكرك محفل [1]

وصلت ولى قلبٌ لديك مقيم ... وبنت ولى طرفٌ عليك سجومُ

كأن فؤادى يومَ بنت عن الحما ... وحالت سهول بيننا وحزوم

قطاة أطارتها النسور فأصبحت ... تلوبُ على أوكارها وتحوم [2]

لقد سوّد البين الفضاء بناظرى ... ويوم النوى ليلٌ علىَّ بهيم

لعمر أبى أن القلوب جميعة ... إذا افترقت منا ومنك جسوم

وإن ليالى الاجتماع جميعها ... وضاء وأيام التفرق شيم

فما عنّ لى ذكراك إلا تجاوبت ... شعوب باثناء الحشا وكلوم

أبيت كليل الناظرين وفى الحشا ... بلابل تجثو مرة وتقوم

إذا هبّ ريعان النسيم أهاج لى ... حثيث الهوى شوق إليك قديم

وإن أنا لم أنشر من الوجد ما انطوى ... فأنت بما تطوى الضلوع عليم

أنادى على جمّ الهموم فلم تجب ... همومى إلا مثلهن هموم

أروح وطرفى - ياتنعمت - ساهرٌ ... وأغدو وقلبى ما سلمت سليم

فما راق لى إلاّ بذكرك محفل ... ولا رقّ لى فى ذى البلاد نسيم

---

(١) كتبها إلى صديق له وهى من قصائده العراقية

(٢) تلوب أى تحوم

فكل مكان لست فيه جهنم وكل مكان أنت فيه نعيم
أتتك مطايا الشوق تحدى وسيرها زميل وسير الأكثرين رسيم
توارك جزع والغميم كأنما لها القلب جزع والفؤاد غميم
فلو شامها وادى الصريم على النوى لما ضمّ غزلان الصريم صريم
أراشت سهام الحتف سود لحاظها وقلبى فى تلك السهام رجيم

خطب ألم (١)

ما نامَ عنك وهوّما إلا ليوقظ نُوما
يوم إذا نثر الكنا نة كان يوماً أيوما (٢)
يوم إذا ما لاح قـ دّ السمهرى اللهذما (٣)
يـوم إذا ما لاح فلّ المشرفى المخـذما
يوم يرد إلى الهبـاء متـالعاً ويلملما
. . . . . .
ماذا الذى ينجى إذا نزل البـلاء وخـيما
ماذا يقيك إذا الردى عصب الرؤوس وعمما
ينجيك من شرك الحمام إذا أحدّ وحمما
يزرى بمعتقـد الحـكيم بأن تظن وتزعما
والدهر يعبث بالمزاعم سـاخراً متهـكما
لم يبق معتصم ولو تخـذ الثريا أعصما
لم يبق ذو نفس إذا آل الغنـاء وأقسما
يا آمناً والدهر يفتـك كيف سـار وأينما

(١) قالها فى رثاء صديق له ـ السيد حسين رضا ـ على أثر اغتياله غدراً (٢) يوم أيوم : أي آخر يوم من الشهر (٣) اللهذم هو الحد القاطع .

ما أن تغافل أزلم إلا ونبّه أزلما
أيداً يباغتُ بالنوا زلِ منجداً أو متهما
يدلى بها فى وهدةٍ أيداً ويعلو مخرما
إنزل على حكم القضا ء ولا تكن متبرما
كلٌّ يصيرُ لربه إن محسناً أو مجرما
فلجنةٍ هذا ، وذا يلقى الجزاء جهنما
إجهد لنفسك إن تعزّ إذا استهل وتكرما
واربأ بها إن تشتكى عنتاً وأن تتألما
واجعل لها الحسنى إلى نيل الأمانى سلما
إشتدّ واقسُ وعُقّها إما قست أو ترأما
واقذف بها فى لجةٍ أو تنقذ المستسلما
واقتصّ منها إن عصتك ولم تكن لك مثلما
برح الخفاء لحائر يقضى الحياة توهما
يقضى الحياة تعللاً بعسى وليت وربما !
وطوارق الحدثان تمنع ماجداً أن ينعما
والدهر لا ينفك يعترض الرجاء ليعقما
انظر إلى الدنيا تجد بؤسىٰ تجدُّ وأنعما
هذا بها يشقى ، وذا فيها يبيت منعما
أفرغتَ إلا من أسًى قلباً بهمك مفعما
طال انتظارى يا حمام ! ولم أشم لك مقدما

لرغيب جرحى لم أجد إلا قدومك مرهما
أترى أبالى بالزمان أساءنى أم أكرما
لا يخدعنك مبطن للشر يوماً أنعما
فلرب غنم لم يجىء إلاّ ليعقب مغرما
ولرب غرم فى الأنام جرى فجر المغنما
ناهيك أن تلفى رضيت لجائر أن يحكما
تعطى القياد لمن إذا ملك القياد تحكما
تقضى المدى ممن قسا مستعطفاً مسترحما
ومن الضلال تقرب من ظالم لن يرحما
ومن العدالة أن تجو ر على المسىء وتظلما
ما للمغير يسوؤنا ويسومنا أن نكتما
إن لم يجد جرماً أغا ر على الحشا وتجرما
سلب الجفون رقادها ودعا بنا أن نحلما
ليس الفتى من لم يكن لأبى المكارم ابنما
بئس المنادى من إذا يدعى لخطب أحجما
ولنعم من إما زقا صوت المنادى أقدما
ما العز إلا لامرئٍ خاض الردى وتقحما
وأحق بالحسنى فتًى خزم المسىء وأرغما
باع الحياة رخيصة دون الضعيف ليسلما
إن عاش عاش معظماً أو مات مات معظما

المجد وقف عند من أسدى رِداه والحما
من كان صباً فليكن بالمجد صباً مغرما
أو كان تُيّم فليكن بالصالحات متيما
شتان صب بالعلا كلف وصب بالدمى
إن الذى رشف الطلا غير الذى رشف اللمى
هذا يتوج بالحضيض وذاك ينتعل السما
دع عنك ذكر الجود أو يغنى الضريك المعدما
ودع الشهامة أو تذود عن الضعيف الأظلما
ودع العزيمة أو ترد بها الملم الصيلما
ودع الهدى وضياءه أو تنجلى ظلم العما
ودع الكرامة أو كما فعل الحسين تكرما

***

فليتبع آثاره من شاء أن يترسما
وليتخذه معلما من شاء أن يتعلما
اسلك محجته إذا رمت الطريق الأقوما
فهم إذا ما الأمر أش كل رمزه أن يفهما
متواضع لو شاء فا ت النيرين تعظما
عبق العفاف بجيبه فانصاع أنقى ملطما

أحسين يا عـذب الروا غادرت صحبك حوما
ما كان أبلج ناصـعاً قد عاد أســفع أقتما
من ذا يكون كما تـكو ن على الشباب القيما
جارى شـبابك شـيبها فتـــأخروا وتقـدما
شـيدت بالصنع الجميـل لهـا البنـاء المحـكما
ما كل بانٍ فى الورى شـاد البناء وأحـكما
يا بدر عاجلك الغروب وعاد أفقـك مظلما
يابدر كيف رضيت من ذاك السنا أن نُحرما
متهللاً نلقـاك إن وجه الخطوب تجهما
ياغصن مال بك الذبو ل وراعه ان تعظما
ألفـاك ذا ثمر فخا ف عليك من أن ترجما
انحى عـلى من يجتنى تلك الثمـار فأجرما
وأبى على من يجتـلى نور الهدى أن ينعما
وقضى على من يعتـلى بك أنفه أن يخطما

* * *

أدرى الردى إذ صمما أى الهضـاب تسنما
وسطا فوارى فى الثرى ذاك الخضم العيـلما
ألوى ببعرب فالتوى بك عزهـا وتحطما
واحتـل ذروة هـاشم فغـدا السنام المنسما
واجتث فرع أرومة حوت الفخار الأقدما

أصلٌ باعماق الثرى ... راسٍ وفرعٌ فى السما
حاولت كتمان الأسى ... لو لم يكن دمعى همى
جلداً وقلبى قد غدا ... نهب الشجون مقسما
أضحى حميد تجلدى ... بعد الحسين مذمما
من كان يطمع أن يرا ... ه رأى النعى المؤلما
سرعان ما طرق النعى ... مطبقاً ومصمما

***

طرق القلوب فأضرما ... وغزا الضلوع فحطما
نبأ كدفاع الحريق ... تلا الحريق المضرما
طرق المسامع نعى من ... كان الأعز الأكرما
شجنٌ تغلغل فى الجوا ... نح برحه واستحكما
وجوًى كما اضطرم الجوى ... والوجد بالوجد ارتمى
فلتقض حائمة الرجى ... أسفاً على رى الظما
خلّى الحمى ، وحماته ... وبأيمن الوادى احتمى
خطب ألمَّ فلم يدع ... طللًا يروق ومعلما
قد كنت ألحى من بكى ... واليوم ألحى اللّوما
خلّ الدموع وشأنها ... تشأى الغمام المرزما
فالروض من فرط الأسى ... عدم الربيع المرهما

وعلى الأسى وربوعه خلع الرداء المعلما
حاك الأسى برداً له بجوى القلوب مسهما
أضحت بحمر مدامعى كل الأزاهر عَنْدَما
بكت العيون لفقد من بكت القلوب له دما
أبداً يجاهد ممصراً جهد الشجاع ومشئما
يدنى إليه من العلا بكراً ويبعد أيما
حتى هوى فهوى به صرح العلا وتهدما

* * *

يا خاطب العلياء عر سك عاد فيها مأتما
أمهرتها نفس الكريم فما أعز وأكرما
نفس أحلتها العلا منها المحل الأفخما
أبكى عليك تحرقاً وتلدداً وتألما !
أبكيك للأدب الذى أوتيت منه الأحشما
أبكيك للقلم الذى نثر العقود ونظما
زان الطروس بما وحى بين الطروس ونمما
أبكيك للنطق الذى ترك المفوه أعجما
أبكيك للخطب التى نظّمت فيها الأنجما
دحض المدلّ بنورها حجج الخصوم وأفحما

أبكيك للعيش الشهى يصير بعدك علقما
أبكيك للافق المنيـــر إذا دجا أو أظلما
أبكيك للّاجى إذا ما الخطب هم وهمهما
أبكيك للعانى إذا قصد الغناء ويمّما
أبكيك للأخلاق أثـــكلها نواك وأيتما
ثكلتك مطبوعاً لمـ ـوج الطباع مقوما
أبكى بك الرجل الطرير إذا الشجاع تلعثما
أبكى لك الفهم المبين من الحجا ما أبهما
أبكى لك الرأى الوفا فرضاً عليه محتما
لهج الزمان بذكر آ يك فى الورى وترنما
أبكيك للدنف الغريب إذا شكا وتألما
أبكيك للعانى الأسير إذا بكى وتظلما
أبكيك للمجد الذى خلّفته بك مخزما
أبكيك للشرف الذى كافحت عنه الألأما
شرف أبيت بأن يضا م على يديك ويهضما
فحميته من أن يدنـــس باللئيم ويثلما
آويته حتى نجا ورعيته حتى سما
وجعلت نفسك دونه هدفاً إذا الرامى رمى !

* * *

أكذا الصديق إذا وفا وكذا الوفاء إذا غا
وكذا الشريف إذا أبى وكذا الكريم إذا حما
قضت الشهامة والمرو ءة أن تفرج بالدما
لا تنفع الجانى الندامـــة إن رأى أن ينـدما
هيهات يسلم شامت مهما سعى أن يسلما
قلمون ما هـذا بأو ل حادث طرق الحمى
قلمون أختك كربلا رأت المصاب الأعظما
رأت الحسين مضرجاً بدم الوريد محطما
رأت الحسين وصحبه يقضون فى الوادى ظما
ويل لقوم لم يرا عوا للشريعة محرما
بمحرم قد حللوا ما كان ثم محرما
حسب الحسين بجده الس بط الحسين إذا انتمى

***

نفذ القضاء ومن ترى نقض القضاء المبرما
أملا فيا سهم الردى هلا اتقيت الأسهما
ماذا تحاول أن ترى إما فقدنا الضيغما
يهنيك أن تذكو القلـــوب جوًى وأن تتضرما
يعزز عليك بأن ترى كنف الطريد مهدما
يعزز عليك بأن ترى أنف المعالى محطما
يعزز عليك بأن ترى عضد الكمال مفصما

أتعللا بالبـدر عنك ولم يكن لك توأما
إنى خبرت النيرين فـكنت أنفع منهـــما
إن الذى يسلاك كا ن على التسلى مرغما
مثل الذى فقـد الطهور لفرضـــه فتيمما
من لى وأنّى لى بأن تدنو إلىّ وتقدما
لترى وتنظر ما أصا ب بك القلوب وتعلما
لك فى الورى آراء نطس ما أسـد وأحكما
لم يعط فضلك حقه أو تغتدى الدنيا فما
لاقيت ربك ضاحكاً مما دها متبسما
وذهبت لا أسفاً على الدنيـــا ولا متندما
بدأت حياتك بالعلا وبهـا رأت أن تختما

حكم القضاء (١)

حكم القضاء فصمّمى وجرى المقدر فاحكمى
بمجلاتٍ بالمنيّة بالمجلّ المعظم
بمجلجلات بالمغذ من الخطوب المتئم
بمؤللات من نيوبك لا نيوب الأرقم
بمحولات أيمن الدنيا لأسوأ أشأم
بالراسمات أكفها بك لا بأيدى الرسم
بالعارقات بك اللحو م مرنة فى الأعظم
بالغانمات من النفو س نفائساً لم تغنم
بالضاربات على الأنو ف رواق ذل مرغم
بالراقيات كأنها ترقى السماء بسلم
بالساطيات على المعا لى سطوة المتعظم
تسطو بأسهمها فتنفذ فى حشا المستلئم
تسطو فتقتلع الأصم بوهدة وبمخرم
• شيمى صفاحك وادهمى كل البرية واصدمى

(١) نظم هذه القصيدة بمناسبة رثائه للسيد حسين رضا بالقصيدة المتقدمة حيث تذكر أصدقاءه المتوفين فرثاهم بهذه القصيدة .

شيمى صفاحك وارزمى وجه البسيطة بالدم
شيمى صفاحك والطمى خدّ السماء بمنسم
لم يبق وجه للمعالى خده لم يلطم
لم يبق روض للمعالى لم يعد بمهشم
لم يبق طرف للمعالى دمعه لم يسجم
لم يبق نادٍ للمعالى حصنه لم يهدم
لم يبق أفق للمعالى جوّه لم يظلم
لم يبق عضب للمعالى حده لم يثلم
أى الورى لا يشتكى وجداً ولم يتألم
أم أى حىّ للفضا ئل قلبه لم يكلم
سيان عندى فاعلمى أن تجهلى أو تحلمى
أنوائب الدهر اعلنى ما تضمرين أو اكتمى
خلت العرائن فاسرحى وتملكى وتحكمى
واستهدفى ما شئت من مهج الورى وتخرمى
من منجد أو متهم أو معرق أو مشئم
ذهب الألى أخشى عليهم سطوة المتهجم
ذهبوا كما ذهب الصبا تلو الصبا المتنسم
ذهبوا ولم يبقوا سوى حر الجوى المتضرم

مثـل النجوم تناثروا خلل التراب المظلم
وتهافتوا مثل الفراش على احتمال المغرم
من كل أروع معـلم فى إثر أروع معـلم
نائين فى البلد الغريـ ب عن المحب المغرم
زفرت لهم أحشاؤنا زفر الوطيس المضرم
نثر الدموع على الخدو د وقال يا حزن انظم
من ذا رأى ظلم القبو ر ترى بروج الأنجم
من ذا رأى فوق السنا م يعود تحت المنسم
تحت الثرى جثمان من نعـلاه فوق المرزم
حفر لطمن بها الخدو د على نقى الملطم
حفر تلاقى فى ثرا ها كل حب مكرم
حفر لها تحثو القلوب لمن بها من جُثّم
حفر أراها خـير مأ وى للبـدور ومجثم
واريت فيها كل بحـ ر بالفضائل مفعم
ووصلت هضب متالع فيهـا بهضب يلملم
لهفى « لمحمود » قضى والذكر غير مذمم
لهفى على الأدب المروع بعـده المتـألم
لهفى على «الحسنين» عا دا فى عداد النوّم
لهفى « لعاصم » لم يعد إن قيل خطب يعصم

لهفى « لعاصم » فتّ فى زند العلا والمعصم
لهفى « لقاسم » لم يكن يوم القضا بمقسم
لهفى « لقاسم » ليس يقضى فى الملم المبهم
لهفى له لا يستشار ولا يرى بمحكم
لهفى « لأحمد » وهو ير دم فى الصعيد المردم
لهفى لسيما طلعة خفيت على المتوسم
لهفى على العلم المفار ق فيه خير معلم
لهفى على الأخلاق عا د نسيمها لم ينسم
لهفى على الآمال آ ل بها الردى للمعقم
لهفى على الاخياس تخلو من زئير المرزم
قنطت فلا لمهمهم تغدو ولا لمزمزم
يا نفس عدٌّ عن السلا مة بعدهم واستسلمى

***

هونى بغيضك وانجمى حرقاً بأعلى المنجم
مات « الإمام » فلا حمى يلجا إليه المحتمى (١)
مات الإمام فلا فم يعلو الخصوم بمفحم
مات الإمام فلا يد تسدى النوال لمعدم
مات الإمام فلا مغيث من صروف الأزلم
مات الإمام فقلت ماتت عصمة المستعصم

(١) الإمام الأستاذ الشيخ محمد عبده .

مات الإمام فلا عما د للبناء المدعم
مات الإمام فهل ترى لحمى الشريعة من حمى
مات الإمام فأى قلب بعده لم يضرم
مات الإمام فأى أنف بعده لم يخرَم
من كان يلقانا بقلب الخائف المتلعثم
قد عاد يرمقنا بطرف الهازىء المتهكم
مات الذى ما من علًا الا إليه تنتمى
مات الذى ينفى عن الإسلام كل مرجم
فيصحّ كل أخى علا بالمكرمات متيم
مات الذى إن قيل أحجم ذو الجراءة يقدم
مات الذى يهدى الأنا م إلى الصراط الأقوم
مات الذى رد الحدي ث إلى الفخار الأقدم
أبكيه أم أبكى على آى الكتاب المحكم
وجمت فلا لمفوه تحلو ولا لمترجم
حامت عليه قلوبنا يا للقلوب الحوّم
يا للحشا من نازل بين الضلوع مخيم
وجد كأطراف الأسنة برحه لم يرحم
يوهى حمى قلب بأكناف الحما متقسم
يوم الإمام بعد ت من يوم علينا أيوم

يوم الإمام بك انطوى ظل الغمام المرزم
يوم الإمام بك انمحى أثر الربيع المرهم
يوم الإمام بك انقضى عهد الإمام الأعظم
يوم الإمام قد استوى فيك البصير مع العمى
أقسمت لا أسلو الإما م وذاك جهد المقسم
أصبحت بعدك يا «محمد» بين شدق أرقم
أصبحت من دهرى ولا أدرى بأى أحتمى
أمن الظبى بمثلم ومن القنا بمحطم
ومن الأنوف بأجدع ومن الأكف بأجذم
قد كنت إن عبس الزما ن أريه كيف تبسمى
واليوم صرت أرى الفؤا د عليك كيف تألمى
يابدر إعوالى علي ك غدا مكان ترمى
شعبت شعوب بك القلو ب وعز نيل المرهم
ورمت بك الدنيا فكل أخى علا فيها رمى
«أمحمد» أسفى علي ك على الأبر الأرحم
ما زال ذكرك غرةً زانت جبين الموسم
آيات فضلك رتّلت بين الحطيم وزمزم
يادار فاجأك الحما م بمرمل وبميتم
أيام عرسك قد أبا دتها ليالى المأتم

أخلتك عادية الخطو ب من المعز المكرم
ومحا مراسم عزك الـ ـحدثان محو الأرسم
واقيك من سهم البلا ء غدا دَريئة أسهم
الصاحب المنن الجسا م على الزمان الألأم
يادار ليس بنافع قول المحب لك اسلمى
برجاك قد عصف الـ ـردى فعلى رجائك سلمى
من بعد ذياك السنا لدجى الفضاء الأقتم
من مرتع خضل الجم يم لمرتع متوخم
كالجنة الفيحاء تصـ ـبح من جوى كجهنم
أمن الفصيح بك السمي ع إلى الأصم الأعجم
أمن الأشد بك الأسد إلى الأشل المجذم
أمن الجواد بك الكري م إلى الأشح الصمصم
أدنيت من وضح الضحى ومن الدجى المستبهم
داريت فى يومىّ من بؤسى تضير وأنعم
وكرعت فى كاسىّ من حلو المذاق وعلقم
فعلمت من أين البلا ء يجىء ما لم تعلم
وعرفت كيف الخطب يبـ ـلونا ولم أتوهم
أأقول كيف أرد ظا لمتى ولم أتجشم
بالحزم تنكشف البلي ة لا بكيف ولا لم

للموت أعذب مشرب فينا وأطيب مطعم
ليت المنيـــة أسفرت عن وجههـا المتلثم
لو انهـا جهرت بمـا تنوى ولم تتـكتم
لغدت محـــلات السما والأرض كتـلة سوّم
ولطار كل شمردل بجنـاح كل عرمرم
من فوق كل مسوم ضافى السبيب مطهم
من أبيض أو أحمر أو أشقر أو أدهم
متقحم أهوالهـــا والفوز للمتقحـــم
فى حيث ما البطل الـكمـ ـى تراه بالبطل الـكمى
يتسابقون إلى الردى دون المحب المـكرم
يفدون خـير أب لهم فى الصالحـات أو ابنم
هيهات ما من ناقض حكم القضاء المبرم
كل يقاد برغمـه طوع القضا المتحتم
فى كل يوم حادث يسم الأنوف بميسم
لا تنتهى من صيلم إلا لآخر صيلم
تنقابنـــا بنيوبهـا دهيـاء فاغرة الفم
وتصك أبواب المسا مع بالنعى المؤلم
ومشحط بدمائـــه ولّى ولم يتلوم

عانى من الأيام ما عانى ولم يتبرّم
لم يقترف جرماً ولـكن ردَّ كيد المجرم
يأبى الوفاء عليـه إ لا نصرة المتظلم
فقضى ولم يقض سوى فرض عليـه محتم
بذل الحيـاة بكفه كرما ولمّا يندم
بينـا نؤمل أن نرى للبشر أوضح مبسم
وإذا بصاعقـة تلف مؤخراً بمقـدم
تغشى الأنام وطيهـا نعى الأعز الأكرم
لتحول بين منى النفوس وبين ذاك المقدم
لله فى قلمون قبر ضم أطيب أعظم
ضم الحسين وخير شهـم فى الأمور مصمم
لك نفس بر نـكبت بك عن طريق المأثم
لك بالشهيد مدافعاً أجر الشهيـد المحرم
شرف الأروم قضى عليـك بأن تشحّط بالدم
وتـذب عن شرف تمد له يد المتجرم
بمحرم تقضى كجد ك إذ قضى بمحرم
من ذا يلومك فى العلا ويعود غـير ملوم
إنى عذرتك فى لقـا ء الموت أن لم تحجم

من كان مثلك لم يقل يوماً تضايق مقدمى
خاطرت كى تنجى الضعيف ومن يخاطر يعظم
هل بعد هذا المجد عند المجد من متردم
قد كنت لى عينا أميز بها البصير من العمى
ويداً أردّ بها يدَ العادى علىّ الأظلم

يأس ورجاء ...

ألا هل إلى ماضٍ من الدهر عائدُ ... وهل لى إلى ما ضيعَ القلب ناشدُ

خلا من ظباء الأنسِ معهد أنسنا ... فلا عدمت صوب العهاد المعاهدُ

فكم رحتُ فى تلك المعاهدِ واقفاً ... أناشدُ عن سكانهـا ما أناشدُ

فما لىَ فيها من يجيبُ سوى الصدى ... ولا غير دمع العينِ فيهـا مساعدُ

إلى كم أبيتُ الليـل أرعى نجومه ... بطرفى وما طرفى عن النجم راقدُ

فبينَ ضلوعى والشجون تقاربٌ ... وبين جفونى والهجود تباعدُ

أيهجعُ منى الجفنُ والجفنُ ساهر ... وينقصُ منى الوجدُ والوجدُ زائدُ

أروحُ وأغدو والهمومُ ملمـةٌ ... أكابدُ من حر الجوى ما أكابدُ

أخىّ وأيمُ الله حلفة صادقٍ ... لقد سأمتنى فى نواكَ المراقدُ

أقومُ فأهوى فى هواكَ صبابةً ... وما أنا عمّا همك اليوم قاعـدُ

أينساكَ منا الشوق أو ينفدُ الجوى ... فلا الشوق مغنىّ ولا الوجد نافدُ

فبى منكَ أنفاسٌ حرارٌ وأدمع ... تصوب دماً حمراً وذى تتصاعدُ

وعندى جوًى إن رمتُ إخماد جمرهِ ... ذكا لهباً والجمر ذاكٍ وخامـدُ

لقدْ قدتَ منى كل صعبٍ وإنمـا ... فؤادى منقادٌ وودك قائدُ

لقد حسدتنى فى هواك بنو الهوى ... وإنى على ما أنتَ فيـه لحاسدُ

فإن تبتغى منى على الحب شاهداً ... فهذى دموعى فى هواكَ شواهدُ
علىّ عزيزٌ ما وجدتَ وإنما ... يعزّ عليكَ اليومَ ما أنا واجدُ
وليس الغريبُ النازح الدار إنما ... الغريبُ الذى عنه الرفاق تباعدوا
رجوتُ خيالاً منك يطرقُ فى الكرى ... فلو أنّ لى جفناً على البين هاجدُ
وقد ركضت هضبُ الجوى فى حشاشتى ... وما زلزل الأبعاد ما هو راكد
رعى الله أياماً تقضّتْ بذى النقا ... بها العيشُ غضٌّ والصبابة ناشدُ
وليت ليالينا اللواتى تصرمتْ ... تعودُ لنا فيها عليها العوائدُ
وكم رمتُ إصلاحاً لإفساد دهرنا ... وهل كيف إصلاح ودهرك فاسدُ
صدقتَ وماذا الناس إلا عقارب ... تدب وما الأيام إلا أساودُ
وإنى لأرجو عن قريبٍ لنا اللقا ... وعما قليلٍ يقرب المتباعد
سيجمع منا الشمل فى كل مجمعٍ ... مصادره تحلو لنا والموارد

توضيح وتصويب

١ — الكاظمى حجة فى مفردات اللغة العربية وكثيراً ما يجد القارئ كلمة غريبة يخالها خطأً حتى إذا ما حققها لغوياً وجدها من شارد اللغة الصحيح .

٢ — القصيدة « لا ضاق فى الأرض ذرعا كل ذى أمل » بالصفحة ١٤٨ ، أنشدها الناظم فى إحدى حفلات جمعية الرابطة الشرقية بمصر .

والقصيدة « ذكرى أبى شادى » بالصفحة ١٦٨ أنشدها فى رثاء المحامى المصرى المعروف محمد بك أبو شادى سنة ١٩٢٧ .

٣ — شرح القصائد بالصفحات ٣١ و ٦٣ و ٨١ و ٩٤ و ١٠٢ و ٢٩٢ هو شرح الناظم نفسه لتلك القصائد وقد أدرجناه بنصّه دون أى تصرّف .

٤ — أصدر الأستاذ خير الدين الزركلى سنة ١٩٢٤ بمصر مجموعة من شعر الكاظمى دعاها « معلقات الكاظمى » طبعت بالمطبعة السلفية وهى تضم قصائد فى زعيم مصر سعد زغلول باشا . ومن تلك المجموعة أخذنا القصائد المنشورة بالصفحات ١٧٣ و ١٧٦ و ١٧٩ و ١٨٥ و ١٩١ .

٥ — رجائى إلى القارئ الكريم إمالة نظره إلى جدول الخطأ والصواب عند تصفح هذه المجموعة لتصويب ما أخطأته المطبعة أو ما سهت عنه الملاحظة .

ولله الشكر والحمد على أى حال .

القاهرة ٣ جمادى الآخر سنة ١٣٦٧
١٢ نيسان (أبريل) سنة ١٩٤٨

حكمت الجادرجى

فهرس

الصفحة	
	كلمة السيدة رباب الكاظمى
	صورة شاعر العرب عبد المحسن الكاظمى
	صورة بيتية للكاظمى
١	عبد المحسن الكاظمى - بقلم الأستاذ رفائيل بطى
١١	صديقى الكاظمى - بقلم الأستاذ الجليل عبد القادر المغربى
١٧	قصيدة ألا خبر من ثنايا العراق
١٩	« اطراقة المأموم
٢١	« هوى الحمى
٢٢	« ويل الألى
٢٢	« يا زارع السقم
٢٢	« موقف يأخذ الهوى
٢٢	« أعيذك من قلم
٢٢	« تحتمل الأنفس فى إبائها
٢٤	قصيدة أروح بوجدٍ
٢٦	« مضى عصر لهوى
٣١	« أبهى زمان
٣٤	« يا تربة المصطفى
٣٩	« جمر وجدى
٤١	« لا نفس صاعد ولا حسٌ
٤٣	قصيدة بدور فضلك
٤٥	« قف فالعيون إلى سناك تشير
٥٢	قصيدة ساعة البين
٦٣	« أبداً تروح رهينة
٧٤	« أقبل فى برد العلا يخطر
٧٥	« دنف شفه الضنى
٧٥	« عجباً يطيل الدهر نحوى باعه

صفحة	
٧٦	قصيدة ليلة فى عابدين
٨١	« أيها السارى إلى دكن
٩١	« وافى كتاب من أحب
٩٤	« قضت الصبابة أن تهون الصيد
١٠٢	قصيدة ولرب جد فى اللعب
١١٦	« قربوا للمحب ذاك المزارا
١١٨	قصيدة لا تبيد الأزياء خلة نفس
١٢١	قصيدة أدركت يا بدر قصدك
١٢٣	« غواه الدهر
١٢٥	« تحية الدستور
١٣١	« أدرى المفوه مصطفى
١٣٤	« رب عطف مخفف من حمولى
١٣٨	قصيدة اقتصد يا فؤاد
١٤٠	« يا معرضاً عن صبه
١٤٢	« فداء رباب
١٤٣	« ولولا رباب ما تركت هوى الربى

الصفحة	
١٤٤	قصيدة إنما الشام والعراق ومصر
١٤٨	قصيدة لا ضاق فى الأرض
١٥١	« أيها الطائر
١٥٦	« رزء الشآم
١٦٢	« والهف نفسى
١٦٨	« ذكرى أبى شادى
١٧٣	« آب لنا صدر العلا
١٧٦	« إن إبلال مصر فى إبلاله
١٧٩	قصيدة أنت البلاد وما تقل
١٨٥	« سنرى المنى ونرى الهنا
١٩١	« يقظة المنى
٢٠٠	« أى عهد رعوه
٢٠٥	« وستذكر الأجيال صنعك
٢١١	قصيدة فى رثاء سعد زغلول
٢١٣	« رحل الزعيم
٢١٩	« جهاد سعد زغلول

الصفحة	
٢٢٤	قصيدة انزل على الرحب بعمان
٢٢٦	« دموع الأسى
٢٣٣	« فلسطين
٢٣٥	« إنا بنوك المخلصون
٢٣٧	« لولا رباب ونزار
٢٤٠	« لا يذهب السقم بعزمى
٢٤٢	« يا طير
٢٤٤	« هل مثل رغدان
٢٤٧	« إلى صديق
٢٥٤	« يالأيام الوصال
٢٥٦	« دع الدمع يكثر إكثاره !
٢٥٨	قصيدة عهود تقادم أزمانها
٢٥٩	« قلوب كلها ألم ووجد
٢٦٤	« تاريخ
٢٦٥	« تحية الحسين
٢٦٧	قصيدة عام وأنت الموئل
٢٦٧	« أقر العين
٢٦٨	« حسبك يا ليلاى
٢٧١	« لك أزكى السلام الصلوات
٢٧٣	قصيدة هل الأقدار
٢٧٧	« ومقاصر قصر التخيل
٢٧٨	« هذا الحسين
٢٨٥	« دار العز
٢٨٦	« أمط الكرب
٢٩٢	« مالنا نحن ضعفنا
٢٩٨	« قيل بدر الهدى
٢٩٩	« فما راق لى إلا بذكرك
٣٠١	« خطب ألمّ
٣١١	« حكم القضاء
٣٢١	« يأس ورجاء

فهرست هجائى للقصائد

حرف الهمزة

	صحيفة
موقف يأخذ الهوى منه ما شاء ويعطى من الهوى ما شاءا	٢٢
تحتمل الأنفس فى إبائها ما لم تكن تحمل فى رضائها	٢٢
أبهى زمان طيب الهواء ما ليس بالصيف ولا الشتاء	٣١
يا دهر غادرتنى وأحشائى بين خطوب وبين أرزاء	٣٤
محمد لا أدعوك إلا لذى ضنًى شفائى به دون الورى وهنائى	١٤٢
ضنًى أمضَّ الفؤاد أم ظمأ يفرغ مما كوى ويمتلئ	٢٤٤
من يبيد الأكدار والأقذاء ويعيد الأنوار والأضواء	٢٨٦
بى هلالًا فضل البدر سناء وغزالًا علَّم النفرَ الظباء	٢٩٢

حرف الباء

دع دموع العين فلتَصب وسهام البين فلتُصب	٨١
وافى كتاب من أحب قبل ثلاث من رجب	٩١
لعب الطبيب ولا عجبْ ولرب جد فى اللعبْ	١٠٢

حرف التاء

		صحيفة
عاقنى عن لقا الحبيب الموانى	والكريم المحيط بالمكرمات	٢٧١
ومقاصر قصر التخيّل	أن يقارب سمتها	٢٧٧

حرف الدال

يا زارع السقم بجسمى أما	آن لهذا الزرع أن يحصدا	٢٢
أبداً تروح رهينة أو تغتدى	فى طارف من وجدها أو متلد	٦٣
لمن النجائب سيرهن وخيد	تطوى وتنشر دونهن البيد	٩٤
تحية وسلام يا أبا شادى	عليك من مهج حرى وأكباد	١٦٨
كما بدا البشر لنا عادا	والتأم الجرحان أو كادا	١٧٣
غنى وردد فى البلاد	ما شاء من نغم وزاد	١٨٥
يا حبذا يوم المنى	يوم الهنا يوم السعود	٢٣٥
دارة لهو بالجزع أعهدها	يزهو بهيف الظباء معهدها	٢٤٧
صروف الدهر أهونها أشد	إذا نزل القضاء فلا مرد	٢٥٩
ألا هل إلى ماض من الدهر عائد	وهل لى إلى ماضيع القلب ناشد	٣٢١

حرف الذال

ما العرب إلا صورة مثل ذى	تلتمس الروح من المنقذ	٢٩٨

حرف الراء

		صحيفة
أطرقت مهما دار فى خلدى	ذكر الشباب وعهده النضر	١٩
ويل الألى نصروا القوىَّ وأيَّدوا	وعلى الضعيف تألَّبوا وتجمهروا	٢٢
قف فالعيون إلى سناك تشير	واهنأ فملكك فى القلوب كبير	٤٥
أقبل فى برد العلا يخطر	فهلل الأزهر والمنبر	٧٤
دنف شفه الضنى وبراه	فانتحى زورة الحبيب ليبرا	٧٥
عجبا يطيل الدهر نحوى باعه	وبباعه نحو السماء قصور	٧٥
فى مثلها يتغنى البدو والحضر	ودونها تقف الألباب والفكر	٧٦
ناشدوا الدار جهرة وسرارا	إن أردتم عن الحمى استفسارا	١١٦
أيا من وجهه كالبدر	أو كالشمس أو أنور	١٢٣
دمع الدمع يكثر إكثاره	فقد جاوز الوجد مقداره	٢٥٦

حرف السين

لا نفس صاعد ولا حس	الله ماذا ترين يا نفس	٤١
أعلمت من راض الجماح فأسلسا	أرأيت صبح البشر كيف تنفسا	٢٧٨
قيل بدر الهدى إذا غابت الشمس	عليكم يعود فى عين شمس	٢٩٨

حرف الشين

أكتب هذا وأنا فى الفراش	وأنملى من الضنى بارتعاش	٢٤٠

حرف الضاد

		صحيفة
أروح بوجد بين جنبى غائض	وأغدو بدمع فوق خدى فائض	٢٤
أدرى المفوه مصطفى	صفرت وطاب بغيضه	١٣١
دنف تخوّن جسمه	برح الضنى بمضيضه	١٤٠

حرف العين

اصغى إلى الشرق ذو التطراب واستمعا	كأن بلبله فى روضه سجعا	١٤٨
عثر الزمان فلا لعا	وقضى الأسى أن نجزعا	١٥٦
أقر العين مطلعكا	ومتعها تمتعكا	٢٦٧

حرف الفاء

أنفس منظوم يزيل العنا	ويفرج الكرب إذا التفا	٣٩
رب الجلال تحية	يهديكها رب القوافى	٢٦٥

حرف القاف

دع الوجد يصبح أو يغبق	ويشئم بالكلف المعرق	١٧
لواك على كل المنازل خافق	وذكرك فى كل المحافل عابق	١٢٥
أشرق البدر بيننا إشراقا	فأرانا أحبابنا والرفاقا	١٥١
يقولون الديار عليك ضاقت	ودار العز واسعة النطاق	٢٨٥

حرف الكاف

		صحيفة
أدركت يا بدر قصدك	وشدت فى الأفق مجدك	١٢١

حرف اللام

كلف يحن وليس يألوا	صبراً عن اللائين ولّوا	٢١
أعيذك من قلم إن طغى	على الطرس طوح بالمقتل	٢٢
لك فى الحشاشة يا أميم مقيل	ربع أغر ومنزل مأهول	٤٣
أترى الأفضلين والأبدالا	وجدوا للشكوك فيك مجالا	١١٨
رب عطف مخفف من حمولى	ومنير إلى الأمانى سبيلى	١٣٤
أى ظام عاف المعين الزلالا	ومشوق سلا الحمى والغزالا	١٣٨
علمت واعتلالها باعتلاله	أن إبلال مصر فى إبلاله	١٧٦
أنت البلاد وما تقل	أنت الأعز بها الأجل	١٧٩
أرأيت كيف نوى الرحيلا	أرأيت كيف سرى عجولا	٢٠٥
فلسطين ان القصد لا يتحول	وان صعاب الأمر سوف تذلل	٢٣٣
قربت أيام سعد	يا لأيام الوصال	٢٥٤
عام وأنت المؤئل	يمضى وعام يقبل	٢٦٧

حرف الميم

من ذا رمى الأبلج الوسيما	من ذا رمى الزهر والنسيما	١٦٢

		صحيفة
أنت لا جرم	بدرنا الأتم	١٩١
هل عند من ترك القضية عاما	آمال مصر أصبحت آلاما	٢١٣
أحصت عليك جهادك الأمم	وتناقلتك العرب والعجم	٢١٩
سقى دار نعمى الحيا المنسجم	وروّى ثراها السحاب الديم	٢٥٨
وصلت ولى قلب لديك مقيم	و بنت ولى طرف عليك سجوم	٢٩٩
ما نام عنك وهوّما ...	إلا ليوقظ نوما	٣٠١
حكم القضاء فصممى	وجرى المقدر فاحكمى	٣١١

حرف النون

أجيراننا بمحانى الحمى	ومن أين منىَ جيرانيه	٢٦
دار الأحبة خبرينا	عن أهلك الخبر اليقينا	٥٢
طلعة الزائر الكريم أرينا	ما ترينا مقادر الزائرينا	١٤٤
نطق بارمور لا تزدنا بياناً	حسبنا ما أبنته وكفانا	٢٠٠
بكيت سعدا فهاج البكاء كامن حزنى		٢١١
انزل على الرحب بعمان	وبدد الشك بايقان	٢٢٤
علام دموع الأسى جارية	وفيم تكاثر أحزانيه	٢٢٦
أشكو إلى مولاى مارابنى	ولست أعدوه بشكرانى	٢٣٧
أنا بالقدود وأنت بالأغصان	ياطير شأنك والغرام وشانى	٢٤٢
هل الأقدار تمنع ما يكون	إذا حكمت بها تلك الجفون	٢٧٣

حرف الهاء

صحيفة

مليك العرب قد سار وحلّ اليوم فى العقبة ٢٦٤

حرف الياء

محمد تشئونى إلى الطرس عبرتى ويغلبنى وجدى فأسكت لاعيا ١٤٣

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٩	١٩	المرح الشرز	المرح الشرس
٢٤	٢	قال لها يمدح	قال يمدح ...
١١٦	٣	والاختبارا	والإخبـارا
١١٧	٥	إذ زكوا محتداً ونجارا	إذا زكوا محتداً وطابوا نجارا
١١٧	١٠	فربوا	قربوا
١١٧	١٨	الغدرا	الغدارا
١٢٢	٦	يسأك	يسئك
١٢٢	٦	إن راح الحسن نقدك	إن راح يحسن نقدك
١٢٣	٣	أو الشمس أو أنور	أو كالشمس أو أنور
١٢٣	٤	قدره	قده
١٣٩	٦	الأدغالا	الإدغالا
١٤٠	٨	شجى	شج
١٤٠	١٣	صراخ	صراح
١٤٢	١	فِداء رباب ...	فَداء رباب...
١٤٣	١١	بقربى	بقرب
١٤٥	١	ينجلى	يتجلى
١٤٥	٨	الإكثرونا	الأكثرونا
١٤٦	٩	ثم آبو	ثم آبوا
١٤٦	١٠	هناناً	هنانا
١٤٦	١٤	أو وشا	أو وشى
١٤٧	٢	فذووا	فذوو
١٤٧	١٢	إخوات	أخوات
١٤٨	٢	التتراب	التطراب
١٤٨	٥	مرؤوبا	مرؤبا
١٤٩	٧	بالأعزاز	بالإعزاز
١٤٩	٩	يحصن	تحصن
١٥٠	١٠	الأبر عبد الكريم الريفى	الأمير عبد الكريم الريفى
١٥١	٣	يعد	بعد
١٥٢	٤	لاقا	لاقى
١٥٢	١٣	يعيا	يعي

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٥٣	٣	الا شفاقا	الإشفاقا
١٥٣	٥	وإتلافا	وأتلافا
١٥٣	٨	ان محل	أن حمل
١٥٤	٦	الأرعاد والأبرقا	الإرعاد والابراقا
١٥٤	٧	ذو هوى	زد هوى
١٥٤	٨	يخطب	يخطبوا
١٥٦	١٥	١٩٤٥	١٣٤٥
١٥٧	١	جعـ جمع	جمجع
١٥٩	٢	تصنت	تنصت
١٥٩	١٦	اضطجت	اضطجعت
١٦٩	١١	وينقاد جانبه	ولتنأد جوانبه
١٧٠	١٨	ببغداد	بتبداد
٢٢٤	٦	اللقط	اللغط
٢٢٥	٦	واحتل	واحتمل
٢٣٨	١٠	انجاره	انجازه
٢٦٨	١٠	فى سلطانه	من سلطانه
٢٦٨	١٣	على الساحر	على الساهر
٢٧٠	٦	العـاتر	العاثر
٢٩٣	٧	من تفانى	من تفانى
٢٩٣	١٩	ووق الشجر	ورق الشجر
٢٩٥	٥	تجد الشرق هدى	تجد الشرق هوى
٢٩٦	١٤	بنوا المجد	وبنوا المجد
٢٩٨	٦	حسين ابن على	حسين بن على
٣٠٢	٢	أيداً	أبداً

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES

00475468

الشـــرق
لتجليد الكتب والمجلات والجرائد
وبيع مواد التجليد شارع المتنبي
مقابل مكتبة المثنى ت ٨٨٨٢٤٦٧
عبد الخالق العبدلي